



إضاءات حضارية من تراث الإباضية

الجزء الأول



مهنا بن راشد بن حمد السعدي

مكتبة الغبراء

الطبعة الأولى

٢٠٠٥ م / ١٤٢٦ هـ

إثباتات متضاربة

من

تراث الإلحادية

الجزء الأول

مها بن راشد بن محمد السعيد

إضاءات حضارية من
تأليف : مهنا بن راشد
الطبعة الأولى : ٤٢٦
جميع الحقوق محفوظة
مكتبة الغبراء
سلطنة عمان - بهلا
ص.ب : ١٥٥
الرمز البريدي : ٦١٢



فهرس

٧	الإهداء
٨	١ - شكر وتقدير
٩	٢ - تقديم الكتاب
١١	٣ - المقدمة
٢٥	٤ - الرموز المستخدمة في الكتاب
٢٧	٥ - الإمام أبو حاتم المُرُوزي المُرُوف إلى الموت
٥٥	٦ - العلامة مهدي الثفُوسي إمام المناظرين
٦٥	٧ - العلامة مُحَكِّم بن هُود الهُوارِي قاضي (تَهَرَّت)
٧٥	٨ - العلامة هُود بن مُحَكِّم الهُوارِي مفسر القرآن العزيز
٨٧	٩ - العلامة عُمَرُوسُ بن فَتْح الثفُوسي (قصة إمام)
١٠١	١٠ - الشيخ سالم بن يعقوب مَورَخ في سطور
١٠٧	١١ - اغدث بكر بن حماد شاعر (تَهَرَّت)
١١٩	١٢ - الدولة الرُستَمِيَّة دولة إسلامية تجاهلها التاريخ
١٤٣	١٣ - حركة التأليف عند العُثمانيين في القرون الهجرية الثلاثة الأولى
١٥٧	١٤ - (الوَهْبِيَّة) و(الوَهَابِيَّة) النشأة والنسب
١٨٣	١٥ - الخوارج ورُؤُف التاريخ
١٩٩	١٦ - الخاتمة
٢٠٥	١٧ - المصادر والمراجع

الإهداء

إلى من علمه بأحد عن الحقيقة المغيبة تحت رحمة
التاريخ .. أهدي هذا الكتاب ...

شكرو وتقدير

ما كان لهذا الكتاب أن يخرج إلى النور بهذه الخلة البهية وهذا الثوب القشيب لولا فضل الله تعالى ، ثم تلك الأيادي الخفية التي قدّمت لي النصح والإرشاد ، والمعلومة المفيدة ، والكلمة الطبية ، والتشجيع والموازية ، فإلى كل من ساهم في هذا الكتاب وقدّم يد المساعدة ولو بالكلمة الطبية أفنّهم بمخالص الشكر والامتنان ، وأخصّ بالشكر الجزيل د/ إبراهيم بكير بخّاز والشيخ حميس بن راشد العدوي والأستاذ خالد بن مبارك الوهبي ، الذين لم ييخلوا عليّ بوقتهم الثمين ، فخصصوا لي من وقتهم جزءاً لمراجعة كتابي هذا ، فوضعوا النقاط على الحروف ، فجزاهم الله عن جهدهم خير الجزاء وجعل عملهم المبارك في ميزان حسناتهم ...

تقديم الكتاب

المختصر : إبراهيم بكير بحاز

أستاذ محاضر جامعة قسنطينة / الجزائر حاليا .

مدير وحدة الدراسات العثمانية جامعة آل البيت / الأردن سابقا .

عضو هيئة التدريس قسم للتاريخ جامعة آل البيت / الأردن سابقا .

عضو هيئة التدريس كلية الرستاق / الرستاق . سلطنة عُمان سابقا .

مفيدة جدا هي مباحث هذا الكتاب الذي يقدمه لنا الباحث الشاب الواعد مهنا بن راشد السعدي ، خريج معهد العلوم الشرعية بروي مسقط سلطنة عُمان .

لقد أنقذ استيعاب تقنيات البحث العلمي الأكاديمي عموما ، و البحث التاريخي بوجه خاص ، فمن خلال قراءتي للكتاب وجدت الباحث مهنا ، يستقصي الحقائق ، يضبط التواريخ والأسماء ، يقدم الحجج المقنعة يرتبها ترتيبا منهجيا مقبولا .

ففي هذا الكتاب ، يتناول الباحث مواضيع متعددة متفرقة إباضية وغير إباضية وإن غلبت عليها المواضيع الإباضية وهي مجموعة بحوث منشورة في الصحف أو في الإنترنت وبعضها غير منشور ، رأى الباحث جمعها ونشرها في كتاب وقد وفق في ذلك . ومن أهم تلك البحوث : " الإمام عمروس بن فتح النفوسي " وقصة لقائه بالإمام أبي غانم بشر بن غانم الخراساني ، فهل تم اللقاء فعلا ؟ ومتى كان ذلك ؟ وما هي الاحتمالات التي تسبعت أن يكون الإمامان الفيا فعلا ؟ . من المواضيع كذلك ، بحث " الدولة الرسمية دولة إسلامية تجاهلها التاريخ " وأراد به التعريف بهذه الدولة المستقلة الإسلامية الأولى بالجزائر في المغرب العربي ، يجلي بعض الجوانب من تاريخها الخائلى بالإجازات الحضارية ، يقدمها لإخوانه العمانيين وغيرهم في المشرق العربي بمخاضة .

موضوع آخر جليل وهو " حركة التأليف عند العمانيين في القرون الثلاثة المحرقة الأولى " ،
كتبه الباحث ليطلع به قراءه ما للعمانيين من مساهمة حضارية في التأليف في تلك القرون الأولى من
حضارة الإسلام .

وتصدى الباحث في موضوع دقيق وخطر قديم وجديد ، لمن أراد الخلط بين " الوَهْبِيَّة
وَالْوَهَابِيَّة " ، فقدم بحثاً جليلاً رائعاً استقصى فيه جذور مصطلح الوهبة عند الإباضية وتاريخ
إطلاقه ونسبه ، ثم عرج برد على من يريد أن يجعل الإباضية الوهبة وهي ذاتها إباضية اليوم ؛ يريد
أن يصرفها إلى الوهابية السلفية من حيث يدري أو لا يدري وفي كلا الحالتين تعامى عن الحقيقة
الناصعة وأرجف وحاول أن يجعل البريء مجرماً والجرم بريئاً ، و المتسامح اللين شديداً منتظماً .
فكان الباحث مهناً نَعْمَ اشفق والمدقق في تفاصيل المصطلحين وهبه ووهابية : مصطلحين اتفقا
صنعاً أو كاداً ، واختلفاً صَفَةً وحقيقة واتعاء وسلوكاً .

إن الإباضية بقول الباحث ، لم يخالفوا في عصر من العصور ما سطره في كتبهم من أقوال
وأحكام ، ورغم أن هذه الفرقة ينسبها غوهم إلى فرق الخوارج ، من حيث لا يعرفون إلا كونها في
المعارضة منذ البداية ، فإن الباحث كتب مقالاً يتحدث فيه عن " الخوارج وزيف التاريخ " يأتي
بمعاني الخروج من مظانها ويناقشها ثم يتساءل : لِمَ حُصِّصَتْ هذه الطائفة بالتسمية وقد خرج
غوهم كثير على الأحكام قبل التحكيم عصر الصحابة الكرام وبعد التحكيم عصر الصحابة
والتابعين وتابعيهم ...

فهذا باحث عُمانِي واعد هو أول العُمانيين المعاصرين اهتماماً بالتاريخ الإباضي في بلاد
المغرب ، وهو يسلك أغواره يقدم ثابته تنص لي كل التوفيق وتدعو له بالسؤدد والنجاح .
أهني الباحث على هذا الجهد الموفق ، وهذه البحوث النيرة التي تنم عن عقل نير هو في بداية
الطريق ينتظره الكثير ، ونحن نأمل منه الكثير ، ونرجو منه المزيد وهو لذلك أهل . كما أتمنى أن
يجد القراء الأفاضل في هذه المقالات ما يفيدهم ، وأن يكتشف فيها المخطئ خطأه ، والمتنازبون
بالألقاب إنهم ، ليعودوا إلى الصواب من العلم تائبين ، لعل الله يجمع أمة الإسلام بعد تفرق
وتشتت ، ويغير ما بالمسلمين من هوان ، وما ذلك على الله بعزيز ، وهذا عين ما هدف إليه
الباحث عند كتابته هذه المباحث ، وعند نشره لها بين دفتي هذا الكتاب ، والله من وراء القصد .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذي جعل في سير الأولين عبرة وعظة وسلوى للمتأخرين ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) ، أحده تعالى بما هو له أهل من الحمد وأني عليه ، واستغفره من جميع الذنوب والخطايا وأتوب إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه والتابعين هم يا أحسان إلى يوم الدين .

أخي القارئ الكريم إن علم التاريخ هو من الأهمية بمكان ، والعناية بتدوين التاريخ والسير والحوادث مطلب سام لا يغفل عنه أصحاب الفهم والأذهان ، كيف لا ؟؟

فيتدوين الأحداث لحفظ للأجيال القادمة ما يعرفهم بواقعنا وما وقع من أحداث في عصرنا ، ليأخذون المقيّد من تجاربنا ويعرضون عن الطاغ من أفعالنا ، كما أننا باطلعنا على تاريخ من سبقنا نستفيد من تجاربهم ونعرف على أوضاعهم وبيئاتهم وحياتهم ، ونطلع على إنجازاتهم ولا نكرر أخطاءهم ، ونبدأ من حيث وصلوا ، ونبي على ما بنوا ...

ولقد أدركت الأمم والحضارات القديمة أهمية التاريخ وحفظ المعلومات عن حضاراتهم وأنماط معيشتهم ليتعرف عليهم من يأتي بعدهم ، فنجد تلك الحضارات القديمة تسجل أنماط معيشتها والأحداث التي مرت بها على جدران الكهوف والقبور والحجارة ، ولولا قيام تلك الحضارات برسم تلك النقوشات على الحجارة والقبور لما عرفنا عليها وعلى غط حياتها وما مرت به من حروب وغيرها ، والأسباب التي أدت إلى انقراضها وزوالها .

ولقد أدركت الحضارة العربية المتقدمة في عصرنا هذا أهمية علم التاريخ ، فاهتمت به إجماع اهتمام ، فأنشأت الجامعات والكليات ومراكز البحث المتخصصة في دراسة التاريخ ، وأحدثت على الباحثين ليتفرغوا للدراسة والكتابة ، واعتنت بجميع المخطوطات والآثار المتعلقة بمختلف الأمم

(١) سورة يوسف ، آية : ١١١ .

والحضارات ، وعكفت على دراستها والاستفادة من تجارها حتى وصلت الحضارة الغربية إلى ما وصلت إليه اليوم .

ولم تكف بذلك بل تعدت نطاق الكرة الأرضية إلى الفضاء الخارجي ، فحاولت وتحاول الاتصال بالفضاء الخارجي للعرف عليه ومحاولة اكتشاف إمكانية وجود حياة به غير الحياة على كوكب الأرض ، ومحاولة تعريف الكائنات الحية الفضائية - إن وجدت - على كوكب الأرض وسكانه ، فمن ضمن تلك المحاولات إرسال مركبة (لوبجيرا) إلى الفضاء في عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٦م ، ثم تلحقها المركبة الفضائية (فوبجير) في عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، وكل منهما كانت تحمل معلومات عن المجموعة الشمسية وعن كوكبنا الأرض ومعلومات كبيرة عن سكان الأرض ، فضلا عن إرسال الإشارات الممثلة بمختلف المعلومات إلى الفضاء من على سطح الأرض ^(١) .

هذا وإن حضارتنا الإسلامية اكتشفت مدى أهمية علم التاريخ قبل الحضارة الغربية الحالية بقرون عديدة ، فسابق المؤرخون المسلمون لتقيد مختلف الأحداث التي وقعت في عصرهم وقبلهم لتعريف من يأتي بعدهم بها ، ولربط الماضي بال حاضر ، ولأخذ العبرة والعظة من الأمم السابقة ، فالفوا المطولات والمختصرات في التاريخ والسير .

ولقد تلمَّ علماء المسلمين إلى أهمية علم التاريخ وضرورة العناية به ، وأهم المواصفات التي يجب أن تتوفر في المؤرخ ، والأخطاء التي يقع فيها بعض من يحاول العناية بالتاريخ والكتابة فيه ، فوجد ابن خلدون يقول : " أما بعد فإن فن التاريخ من الفنون التي تتداولها الأمم والأجيال ، وتشهد إليه الركائب والرحال ، وتسمو إلى معرفته السوق والأغفال ، وتتالس في الملوك والأقبال ، ويتسار في فهمه العلماء والجهال ، إذ هو في ظاهره لا يزيد على إخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول تنمو فيها الأقوال ، وتضرب فيها الأمثال ، وتطرف بها الأندية إذا غصها الاحتيال ، وتؤدي إليها شأن خليقة كيف تقلبت بها الأحوال ، واتسع للدول فيها النطاق والجبال وعمروا الأرض حتى نادى بهم الارتحال وحان منهم الزوال ، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل

(١) الاتصال بالمعلم الخارجي ، انظر هذا الرابط :

<http://www.the4thspace.20m.com/phone.htm>

للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق * ^(١) .

نلاحظ من خلال النص السابق أن ابن خلدون قسم التاريخ إلى ظاهر وباطن ، ولعمري إنه أصاب كبد الحقيقة ، فالظاهر هو الذي يتسارى في فهمه العالم والجاهل ، إلا أن الغوص في أعماق التاريخ لا يتألى إلا للباحث الدارس المتمرس وليس للهاوي ، فالتاريخ ليس مجرد قصص تسرد ، بل حقيقة التاريخ تكمن في استنباط الحقائق من خلال الأحداث ومن خلال الربط بين مختلف النصوص ومن خلال استنطاق الحروف ، فالنورخ الحقيقي يرى في الحادثة ما لا يسهه القسارى العادي ، فربما من خلال حادثة واحدة يسطر لك الصفحات الطوال من حقائق والاستنباطات ، وهنا تكمن اللذة في علم التاريخ والتي لا يمكن أن يصل إليها القارئ العادي الذي لا يمتلك آلة سبر أعماق النصوص .

ثم نجد ابن خلدون يقول : " وإن فحول المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجعوهها وسطروها في صفحات الدفاتر وأردعوها ، وخلطوها المتطفلون بدسائس من الباطل وهوا فيها أو ابتدعوها ، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها ، واقضى تلك الآثار الكثير ممن بمنهم وابعوها . وأدوها إلينا كما سمعوها ، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ، ولم يراعوها ، ولا رفضوا ترهات الأحاديث ولا دفعوها ، فالتحقيق قليل وطرف التقيح في الغالب كليل ، والغلط والوهم نسب للأخبار وخليل ، والتقليد عريق في الآدميين وسليل ، والتطفل على الفنون غريز وطويل ، ومرعى الجهل بين الأنام وخيم وبيل " ^(٢) .

نجد ابن خلدون وضع لنا هنا أهم قاعدة ينبغي أن يضعها نصب عينيه كل من أراد التصدي لعلم التاريخ ، ألا وهي التحقيق وترك التقليد ، وإعمال العقل في النص ، وعدم تلقيه على علاته وهنائه ، وكذلك - وهذه نقطة مهمة - عدم إخراجها من إطاره الزمني .

فكثير من النصوص خاصة التاريخية بما ألفه والسمين ممزوجان معا ، فيجب على الباحث اللبيب تجريد ألفه من السمين ، والتمييز بينهما ، إذ النصوص التاريخية لم تسلم من أيدي العابثين

^(١) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ١/٢ .

^(٢) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ١/٢ .

والوضايع - كما ذكر ابن خلدون - وكما هو الواقع ، وأما لما أن تسلم إذا كان كلام غير البرية ﷺ لم يسلم من الوضع والكذب لما بالنا بكلام غيره وروايته ١٩

نعم هذه هي الحقيقة المرة والمؤلمة ، فالتاريخ بصفة عامة لم يسلم من التزوير والتحريف والكذب ، والتاريخ الإسلامي كذلك ابتلي هؤلاء المتطفلين والوضايع ، الذين جنوا على تاريخنا الإسلامي ، يقول جيس العدوي : * ونحدث هنا عن خطورة اتقاء المتطفلين على التاريخ وهم موجودون - للأسف الشديد - مع عمق التاريخ نفسه ، وفي الأمة الإسلامية وجد التزييف التاريخي لرويتها الحضارية منذ قدم الزمان ، منذ أن اختلقت الأمة فيما بينها ، وأخذ كل يضع الأقوال في صالحه والروايات التي تؤيد مذهبه وتتصر له ... * (١)

وهناك أسباب عديدة تدفع هؤلاء إلى تحريف التاريخ وتزويره ، فمن ضمن تلك الأسباب الصراعات السياسية ، والانتصار للمذاهب والآراء ، والعصبة القومية ، والأطماع المادية وغيرها (٢) ، فعلى المتصدي لعلم التاريخ والقارئ للنصوص التاريخية أن لا تفوته هذه الأسباب عند تناوله للنصوص والروايات التاريخية بالتحليل .

ومن الضروري أن أنه إلى أهم ضابطين ينبغي الحرص على تفعيلهما عند التعامل مع الرواية التاريخية ومن خلالهما يمكن الحكم بقبول الرواية التاريخية من عدمه ، وهذان الضابطان هما :

أ- قبول العقل لها .

ب- مطابقتها للواقع (٣)

ولئن أطيل المقام بتفصيل الحديث عن هذين الضابطين فقد أجاد في عرضهما وشرحهما جيس العدوي في كتابه (رؤية تاريخية) ، فأحث القارئ الكريم على العودة إلى هذا الكتاب القيم للاستفادة منه ، إذ إن مؤلفه خصص مبحثاً كاملاً للحديث عن الرواية التاريخية فجاء بما لا مزيد عليه (٤) .

(١) خميس بن راشد العدوي ، رؤية تاريخية ، الأجل للتصديق ، روي ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ١٦ .

(٢) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ١/٢ - العدوي ، مصدر سابق ، ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) العدوي ، مصدر سابق ، ص ٢٢ .

(٤) العدوي ، مصدر سابق ، ص ٧ - ١٠ .

وإن مما يؤسف له أن مذهباً إسلامياً عربياً ناله ما ناله من الفراء وتهميم وتظفل العديد من الكُتّاب - من المتقدمين أو المتأخرين - سواء في التاريخ أو غيره ، الذين لم يحترموا القارئ الكريم وعقله ، فقدموا له مادة ملوثةا بالتزوير والتشويه والتحريف حول هذا المذهب ونشأته وتاريخه وعقيدته ومبادئه التي قام عليها ورجالها .

وهذا المذهب أخيه القارئ الكريم هو المذهب الإباضي ، هذا المذهب الإسلامي العريق الذي نشأ منذ القرن الهجري الأول ، وارتبط أئمنه ومؤسسه بكتاب الصحابة ، فمؤسس المذهب الإباضي الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد (ت : ٩٣ هـ / ٧١١ م) أخذ العلم عن كبار الصحابة كابن عباس وابن عمر وعائشة أم المؤمنين وغيرهم كثير ، حتى أنه يقول : " أدركت سبعين من أهل بدر فحويت ما عندهم إلا البحر " ^(١) ويقصد بالبحر ابن عباس ، وقال فيه ابن عباس : " أسألو جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب نوسعهم علمه " ^(٢) .

إلا أننا نتفاجأ بعد ذلك ببعض الكُتّاب يحاول بتر الصلة والعلاقة بين الإمام جابر والإباضية ، ونفاجأ ببعض الكُتّاب لا يقر بوجود أئمة أجلاء من أئمة الإباضية كالإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة والإمام الربيع بن حبيب صاحب المسند وغيرهم ، بالرغم من أن شهرتهم قد طُفّت الاتفاق ١٩

ونفاجأ بآخرين يخلطون بين الإباضية والخوانرج ويروجون بالإباضية في صفوف الخوانرج ، بالرغم من أن الإباضية ومن القرن الهجري الأول ينوا موقفهم صراحة من الخوانرج كالأزارقة والجدات والصفرية ، وتبرأوا منهم ، ووضعوا المصنفات في ذلك ١٩

ونجد آخرين ينسبون إلى الإباضية معتقدات وأقوالاً لم يقل بها أحد من الإباضية ، وينسبون إليهم فرقاً وطوائف لا تمت إلى الإباضية بأي صلة ، وهذا من العجب بمكان ١٩

وللأسف الشديد أن كُتّاب المقالات كالأشعري والبغدادى والشهرستاني وابن حزم وغيرهم كان لهم دور كبير في تشويه حقيقة الإباضية والعديد من المدارس الإسلامية الأخرى ، عن طريق

(١) البرادي ، الجواهر المنقاة (مخ) ، ص ١٥٩ - ساسي صقر أبو داود ، الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والميدانية ، مكتبة الجليل للواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ٢٠٠٠ م ، ص ٧٨ .

(٢) أحمد بن سعيد الدرجنوي ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج ٢ ، تح : إبراهيم طلاي ، جهة النشر غير مسجلة ، ص ٢٠٥ .

المعلومات المغلوطة التي سطرها في كتبهم ، وتلقفها من جاء بعدهم وأصبحت تعد من أمهات المراجع الإسلامية المهمة فيما يتعلق بالفرق ، يقول الدكتور عمر صالح با : " والحق أن كتاب المقالات جنوا على التاريخ ، وجنوا على العلم ، وجنوا على أمة محمد ﷺ . جنوا على التاريخ لأنهم زوروه وكتبوا وقائعهم على نحو سقيم ، واعتدوا على قوم أبرياء - قلميا - وزيفوا مبادئهم وقالوا بأنفسهم ما لم يقله هؤلاء . وجنوا على العلم ، لأن كتبهم - مع عدم صحة ما ورد فيها وانشاء الثقة عنها - أصبحت مراجع يرجع إليها من يريد الإطلاع على آراء الفرق الإسلامية والنزود بمادة علمية منها ، والحال أنها خالية عن أية مادة علمية . وجنوا على أمة محمد ﷺ لحالة تفريقها ، أو الإمعان في تزييفها وبالتالي إضعافها . ولم يحاولوا فقط ^(١) تضيق الحوة الناشئة عن نتائج اجتهادات مجتهداتها لمسائل فرعية غير جوهرية في الدين ، وهي إلى السياسة أقرب منها إلى الدين " ^(٢) .

ويقول الشيخ أحمد بن سعود السبائي : " وما ذلك التخط الذي لحده عند كتاب الفرق والمقالات إلا راجع إلى عدم جمع المادة العلمية الصادقة . حيث إنهم لم تكن لديهم المعلومات الكافية عن الفرق أو الطوائف الدينية التي كتبوا عنها ، ولا نبأ عن أفعالنا لا نبأ عن إذا قلنا إن المعلومات حول ذلك عندهم معدومة لا وجود لها . فإذا هم يتخطون تحيط العشواء ، ويخلطون الأمور كحاطب ليل " ^(٣) .

ثم جاء العديد من الباحثين المعاصرين ، فحاولوا الكتابة عن المذهب الإباضي مدعين التزامهم بالمنهج العلمي في البحث وأغلبهم أبعد ما يكون عن العلمية ، إذ إنهم اكتفوا ببلوك ما سطره كتاب المقالات في كتبهم ، دون الرجوع إلى المصادر الإباضية للتأكد من صحة تلك المعلومات ومطابقتها لواقع الإباضية ، ومن عاد منهم إلى بعض المصادر الإباضية ، عاد ليحكم المعلومات الواردة في المصادر الإباضية بما ورد عند كتاب المقالات ، فجعل الحكم كتاب المقالات ، ما وافقه كان

(١) هكذا جاءت في النص ، وأظنه خطأ مطبعي إذ الأنسب للمعنى أن يقال : " ولم يحاولوا قط تضيق الحوة ... " والله اعلم .

(٢) عمر محمد صالح با ، دراسة في الفكر الإباضي ، مكتبة الاستقامة ، روي ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ٤٨ .

(٣) علي بن محمد الحجري ، الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات ، مكتبة الجيل الواعد ، معقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ١١ .

الصواب ، وما خالفه رمى به عرض الحائط ، فقدم ما يقوله كُتّاب المقالات على ما يقوله الإباضية عن أنفسهم ؟

وبعض الكُتّاب المعاصرين عاد إلى المصادر الإباضية باحثا فيها متقيا بين أسطرها عن بعض الفلقات والمئات التي ربما يستطيع من خلالها الإيغال أكثر وأكثر في تشويه حقيقة هذا المذهب في نظر القارئ موها إياه أنه يستقي معلوماته من صميم المصادر الإباضية ، بالرغم أنه ربما يكون اعتمد على بعض الأقوال المهجورة الضعيفة لدى الإباضية ، أو يتر بعض النصوص وجور وحرف ليصل إلى مبتغاه ^(١٩) ؟

ولئن اعتدنا للمقدمين بعدم توفر وسائل الاتصال والطباعة كما هي في عصرنا هذا ، فبماذا نعتلر لباحثي هذا العصر ومؤلفات الفرق الإسلامية تزخر بها أرفف المكتبات وتغص بها مواقع الشبكة العالمية (الإنترنت) ؟

يقول الشيخ أحمد السايي : * بيد أنه من العجيب حقاً - مع كل هذا - أن تكون تلك الكتب مصادر علمية أساسية معتمدة يرجع إليها كل من يريد القول أو الخوض عن الفرق أو المذاهب الإسلامية . حتى أننا لنجد كتابا وباحثين معاصرين تكاد تكون كتاباتهم ومقالاتهم - بل هي كذلك - اجتزأوا لما في تلك الكتب ذات التعصب المذهبي البغيض ، والافتراء الواضح ، ولحن في هذا العصر الذي توفرت فيه وسائل المواصلات وتوفرت فيه وسائل الاتصالات ، وأصبح العالم قرية صغيرة * ^(٢٠) ، ويقول الشيخ ناصر السابحي : * ولئن حاولنا الاعتذار عن الأقدمين بعد الشقة

^(١٩) ويمكن للقارئ الكريم أن يعود إلى بعض المؤلفات - سواء المتقدمة أو المعاصرة - لتأكد من صحة ما ذكرت أعلاه ، وليرى مدى التثوية الذي لحق بالمذهب الإباضي والإباضية على يد هؤلاء الكُتّاب إما عن قصد أو غير قصد ، فمن المتقنين على سبيل المثال لا الحصر : (مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري ، و (الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادي ، و (الفصل في الملأ والنحل) لابن حزم الظاهري ، و (التمهيد) لأبي السطفر الأسفراييني ، و (الملأ والنحل) لأبي فتح الشهرستاني ، هذا بالنسبة للمقدمين ، وأما المعاصرون فهم كثر تأخذ منهم على سبيل المثال : (تاريخ الفرق الإسلامية) للأستاذ علي مصطفى الغواني ، و (المذاهب الإسلامية) للأستاذ محمد أحمد أبي زهرة ، و (تاريخ فلسفة الإسلام في القارة الإفريقية) للدكتور يحيى هويدي ، و (الفوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام) للدكتور ناصر عبد الكريم العقل ، و (الفوارج دراسة ونقد لمذهبهم) للدكتور ناصر بن عبد الله المعوي ، و (نشأة الحركة الإباضية في البصرة ومناقشة دعوى تأسيس جابر بن زيد لها وعلاقتها بالفوارج) للدكتور محمد عبد الفلاح عليان ، و (الإباضية عقيدة ومذاهبها) للدكتور صابر طهيمية ، و (أدوار التاريخ الحضري) لمحمد بن أحمد الشاطري ، و (تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي) لأحمد بن محمد الشامي ، و (الاتجاهات المذهبية في اليمن) للدكتور محمد عيسى الحيدري ، و (تطور الفكر التربوي الإباضي في الشمال الإفريقي) للدكتور عبد الرحمن عثمان حجازي ، و (تسحيح خطأ تاريخي حول الوهابية) للدكتور محمد بن سعد الشوير .

^(٢٠) الحجري ، الإباضية ومنهجية البحث ، ص ١٢ .

وطول العهد وعدم الإطلاع على مؤلفات هذا المذهب ومصفاته علماته ، فإن العذر يتضاءل في هذا الوقت الراهن الذي تملو فيه شعارات الوحدة والموضوعية والمنهجية ، والتي ما إن تعرض على انحك حتى يتهاوى عدد منها على تراب الأرض ^(١) .

وإن أصدق وصف يمكن أن نصف به هؤلاء الكتاب هي تلكم العبارات الذهبية التي سطرها أنامل الشيخ علي يحيى معمر واصفا هؤلاء الكتاب الدخيلين المنطفلين على العلم وأهله فيقول واصفا تعاملهم مع المذهب الإباضي : " فهم يضعون هذا المذهب وأتباعه في قصص الاتهام أولا ، ويحكمون عليهم بأنهم محطون لأهم خوارج ، وبعد ذلك قد يبحثون عن الأدلة ، ولكن لإثبات هذه التهمة لا لمعرفة الحقيقة . وعندما يتقدم الإباضية بعرض عقائدهم وآرائهم والأدلة الشرعية التي استندوا إليها ، ويبينون سرقهم وسلوكهم ، يعتبر كل ذلك منهم كلاما في موقف الدفاع ، لا يجوز على القاضي الذكي ، فهو لا يسمعه ، ولا ينظر فيه ، وإذا استمع إليه فلنكتفي بملقط منه جملا تعزز التهمة ، وقد يحرفها قليلا حتى تكون صالحة كدليل للإثبات . وقد يعرض الإباضية عقيدة أو رأيا لهم بأدلته وبراهينه وهو في نفس الأمر يوافق عقيدة القاضي ، ولكن القاضي يصبر مع ذلك أن يقوم محطون وأن ما يقولونه إنما هو كلام للدفاع ، ثم يحكم برفض الدفاع ، وإثبات الدعوى ، لا لشيء إلا لأنهم حسبنا بلغ إلى علمه (خوارج) ، وحتى عندما يقول الإباضية عن عقيدة أو رأي أنه عندهم كفر وخروج من الملة ، فإن هذا القول لا يقبل منهم ، ويستمر إثباته لهم ومحاسنتهم عليه ؛ وقد يبرأون من رجل ومن أعماله وأقواله ممن لا ينتمي إليهم ، ولكن يقال لهم أيضا : بل هذا الرجل من أمتكم ، ولو أنكتم ذلك " ^(٢) .

وإلا لست هنا في صدد مناقشة ما سطره أولئك الكتاب في كتبهم من افتراءات واتهامات تجاه الإباضية ، إذ إن ذلك يحتاج إلى بحوث مستقلة ، وقد كفاني مؤونة ذلك عدد من أهل العلم والفضل جزاهم الله عن جهدهم خير الجزاء ^(٣) .

(١) المجري ، الإباضية ومنهجية البحث ، ص ١٦ .

(٢) علي يحيى معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٣ : ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ١٤-١٥ .

(٣) نذكر على مبدل المثال لا الحصر : كتاب (الرد على العقبى) لقطب الأنسة محمد بن يوسف الطفيش (ت : ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م) ، وكتاب (المسلك المحمود في معرفة الزوائد) للشيخ سعيد بن علي الجربي التماريني الثالث (ت : ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م) ، وكتاب (الفرق بين الإباضية والخوارج) للشيخ إبراهيم الطفيش =

هذا وإني لا أنكر وجود عدد من الباحثين ممن ألف حول الإباضية فأجاد المؤلف ، وأنصف وتجرد من الأهواء والتقليد ، والتزم بالمنهج العلمي الأكاديمي الرصين ، فأضحت مؤلفاتهم مهلاً عذباً يقصده الزوار ، فأحث كل من أراد التعرف على الإباضية الرجوع أولاً إلى المصادر الإباضية إذ إنها المصدر الأول للتعرف على المدرسة الإباضية ، وثانياً الرجوع والاستفادة من مؤلفات هؤلاء الأساتذة الكرام جزاهم الله عن جهدهم خير الجزاء ^(١) .

أخي القارئ الكريم قد تتساءل عن أسباب تطرفي للحديث عن التاريخ وأهمية تدوين التاريخ ، وأهمية الترجمة للرجال والأعلام ، ومدى التشويه الذي لحق بالإباضية من كُتُب المقالات ومن بعض الباحثين المعاصرين ؟

الحقيقة أنني عندما رأيت أهمية التاريخ وتدوينه ، وأهمية تعريف الآخرين بما لدينا من تراث علمي وفكري ، ومدى التشويه الذي لحق بالإباضية من قبل البعض ، دفعتني ذلك إلى توجيه جهدي للكتابة عن المدرسة الإباضية خاصة الجانب التاريخي منها ، والعناية بالترجمة لأعلام هذه المدرسة الإسلامية العريقة ، وذلك محاولة مني للإسهام في التعريف بهذا المدرسة الإسلامية ورجائها ، وإمطاة اللثام عنها ، وإزالة الشُّبُه والافتراءات التي حيكت ضدها ، علني أسهم من خلال كتاباتي المتواضعة في ردم أهوة بين المدارس الإسلامية المختلفة ، وتقريب وجهات النظر ، والنداء بما نادى به الشيخ علي بن يحيى معمر رحمه الله في مصنفاته عندما كان يكتب عن الإباضية محاولاً تعريف إخوانه

== (ت : ١٢٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) ، وكتب (الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتّاب المقالات في القديم والحديث) للشيخ علي يحيى معمر (ت : ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م) ، وكتب (دراسات عن الإباضية) للدكتور عمرو خليفة النامي ، وكتب (الحق الدامع) و (وسط القناع) لسماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي ، وكتب (الطوفان الجارف) و (السيف الحاد) للشيخ العلامة سعيد بن مبروك القنوي ، وكتب (الخوارج والحقيقة الغائبة) للشيخ ناصر بن سليمان المسبعي ، وكتب (الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وكتب المقالات) لطفي بن محمد الحجري ، وكتب (هذه مبادئنا) لمجموعة من الباحثين ، وكتب (أضواء إسلامية على المعجم الإباضي) لبكر بن سعيد أعرشيت وغيرها .

^(١) أنكر علي سبيل المثال لا الحصر : وكتب (أخبار الأئمة الرستمي) لابن الصغور عث في القرن الهجري الثالث وكان معاصراً للدولة الرستمية ، ومن البحوث المعاصرة : وكتب (الإباضية في المشرق العربي) لمهدي هاشم طالب ، وكتب (نشأة الحركة الإباضية) للدكتور عوض خليفات ، وكتب (عمان : الديمقراطية الإسلامية ، تقليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث) للدكتور حسين عبيد غيث ، وكتب (تاريخ موجز للفكر العربي) للدكتور حسين مؤنس ، وكتب (الإباضية في الخليج العربي في القرنين الثالث والرابع الهجريين) للدكتور نايف عبد جابر السهيل ، وكتب (الإمام جابر بن زيد الأزدي) للدكتور سامي صفر أبو داود ، وكتب (دراسة في الفكر الإباضي) لعمر بن الحاج محمد صالح با ، وكتب (الفكر والمجتمع في حضرموت) لكرامة مبارك بلومن ، وكتب (مشروع رؤية) لسلام عوض وغيرها .

في المدارس الأخرى بهم وردم الفجوة وتقريب وجهات النظر ، فكان يردد هذه القاعدة الذهبية التي حري بكل كاتب أن يضعها نصب عينيه : " المعرفة والتعارف والاعتراف " ، فنجده يقول : " وأنا على يقين - في نفسي - أن المذهبية في الأمة الإسلامية لا تحطم بالقوة ، ولا تحطم بالحجة ، ولا تحطم بالقانون ، لأن هذه الوسائل لا تريدنا إلا شدة في التعصب وقوة في رد الفعل ، وإنما تحطم المذهبية بالمعرفة والتعارف والاعتراف ، فبالمعرفة يفهم كل واحد ما يتمسك به الآخرون ، ولماذا يتمسكون به ، وبالتعارف يشتركون في السلوك والأداء الجماعي للعبادات ، وبالتعارف يتقبل كل واحد منهم مسلكت الآخر برضا ويعطيه مثل الحق الذي يعطيه لنفسه (اجتهد فاصاب أو اجتهد فاعط) ... " (١) .

فكانت تجربتي الأولى مع كتاب (الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصالحة) (٢) ، وقد كانت تجربة ناجحة بفضل الله تعالى ، وقد أثنى على الكتاب عدد من أهل العلم والأساتذة الجامعيين والأخوة الكرام جزاهم الله خيرا .

والحقيقة أن تجربتي الأولى مع كتاب (الشيخ عمروس ومنهجه) وهبني حصيلة لا بأس بها حول تاريخ وأعلام الإباضية بالمغرب ، فرايت ضرورة الكتابة حول بعض جوانب التاريخ الإباضي بالمغرب ، والترجمة لأعلام الإباضية هناك ، فبدأت بنشر عدد من المقالات حول عدد من أعلام الإباضية بالمغرب ، وكذلك كتبت بعض المقالات المتعلقة بالوجود الإباضي بالمغرب كمقال : (الدولة المرستية دولة إسلامية تجاهلها التاريخ) .

وقد نُشرت هذه المقالات في جريدة الوطن بسلطنة عمان بين سنتي (١٤٢٣هـ / ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٣م / ٢٠٠٥م) ، ولي عدد من مواقع الشبكة العالمية (الإنترنت) كموقع الشبكة العمانية (www.omania.net) ، وموقع شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhiyah.net) ، وموقع الأمل المشرق (www.alaml.net) .

وبعد أن تجمع لدي عدد لا بأس به من البحوث والمقالات رأيت أهمية جمعها في كتاب واحد ليسهل على القراء الكرام الاطلاع عليها ، فكان هذا الكتاب في جزئه الأول .

(١) معسر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ص/ ٥٦ .

(٢) لقد تم نشر هذا الكتاب في سنة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م من قبل مكتبة الجيل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، والكتاب متوفر في مختلف مكتبات سلطنة عمان .

وقد احترت كثيرا في العنوان المناسب لهذه البحوث والمقالات ، إلى أن أرسل إليّ أخ عزيز رسالة عبر الهاتف بلا تنسيق سابق تضمنت عبارة (إضاءات حضارية من تراث الإباضية) ، ففدح في ذهني أن هذه العبارة هي مبتغاي وهي ما كنت أبحث عنه ، وذلك أن التراث الذي خلفه الإباضية تراث ضخم ، سواء من ناحية مؤلفاتهم العلمية أو تطبيقاتهم العملية ، أو تاريخهم ودولهم التي قامت ، أو سيرهم وفعاظهم ، والتي جسدوا من خلالها عهد الراشدين الزاهر ، جاعلين من الشورى أساسهم الذي بنو عليه دولهم ، ولعمري ما أحوجتنا اليوم في حاضرتنا إلى العودة إلى التراث الإباضي المضيء واستفراجه من جديد ، وإبرازه إلى النور ، وتعريف العالم به ، وتطبيقه في واقع حياتنا اليومية .

وإني أعترف أنني لم ولن أوفي التراث والتاريخ الإباضيين حقهما من خلال هذا الكتاب أو كعب مثله ، ولكن هي إضاءات عسى أن أرفق من خلالها إلى تعريف القارئ الكريم على بعض جوانب تراث الإباضية وتاريخها الموثق تحت ركام الزمن وتناسي الأيام .

وستلاحظ أخي القارئ الكريم أن أغلب محتويات هذا الجزء الأول تناولت الحديث فيه عن تاريخ وأعلام الإباضية بشمال إفريقيا ، باستثناء ثلاث مقالات ، الأولى عن (حركة التأليف عند العمانيين في القرون الهجرية الثلاثة الأولى) ، والثانية تناولت فيها بالدراسة الفرق بين الوهّابية والوّهّابية ، تحت عنوان (الوّهّابية والوّهّابية : النشأة والنسب) ، والثالثة تحت عنوان (الحوارج وزيف التاريخ) ، والحقيقة أن السبب في كون أغلب محتويات هذا الكتاب عُثِّيت بالحديث عن تاريخ وسيرة بعض أئمة الإباضية وعلمائها بشمال إفريقيا ، كوني بدأت الكتابة أول ما بدأت عن إباضية شمال إفريقيا ، وذلك لتوفر المعلومات الجيدة لدي حول التاريخ الإباضي في تلك المناطق نتيجة كتابي الأول كما ذكرت سلفا .

وبعون الله وتوفيقه سأخصص الأجزاء القادمة من هذا الكتاب للحديث عن تاريخ الإباضية وتراثها بالشرق والترجمة لأبرز أعلام إباضية المشرق ، وقد بدأت في ذلك بالفعل ، إذ إني في هذه الفترة عاكف على كتابة بحث عن الوجود الإباضي باليمن ، وقد قطعت فيه شوطا لا بأس به ، وكذلك فإنني أقوم بالترجمة لبعض أعلام الإباضية بالشرق ...

وبخصوص محبوبات هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، فإنه تضمن إحدى عشرة مقالة ، سبع مقالات منها مُترجمة لعدد من الأعلام ، ستة منهم إباحية ، والسابع غير إباحي إلا أنه عاش في الدولة الرستمية في القرن الهجري الثالث ، ونسب إلى عاصمتها (تَهْزَتْ)^(١) ، وغدً من فحول شعرائها ، فلهذا عنت بالترجمة له ، وأعني به الشاعر المحدث بكر بن حماد التَهْزَنِي .

وأما بقية الأعلام المترجم لهم فهم : الإمام أبو حاتم يعقوب بن حبيب الشَّجْبِي المَرْزُوزِي ، والشيخ العلامة مهدي التُّوسِي الِوَيْلُوي ، والشيخ القاضي مُحْكَم بن هود المُوَارِي قاضي (تَهْزَتْ) ، والشيخ العلامة المقر هود بن مُحْكَم المُوَارِي ، والشيخ العلامة عُفْرُوس بن فصح المَسَاكِينِي التُّوسِي ، والشيخ العلامة المؤرخ سالم بن محمد بن يعقوب الجَرْزِي .

وأود التنبيه إلى أن جميع هؤلاء الأعلام عاشوا في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، باستثناء الشيخ سالم بن يعقوب فإنه معاصر توفي في سنة ١٤١١هـ/ ١٩٩١م ، وقد قمت بكتابة مقال حوله فرايت أن أضمنه هذا الكتاب .

وبالإضافة إلى الأعلام المترجم لهم ، فإن هذا الكتاب يضم بين دفتيه أربع مقالات أخرى وهي كالتالي : (الدولة الرُستَمِيَّة دولة إسلامية تجاهلها التاريخ) ، و(حركة التأليف عند العُمانيين في القرون الهجرية الثلاثة الأولى) ، و(الوَطَنِيَّة والوَطَنِيَّة : النشأة والنسبة) ، و(الخوارج وزيعة التاريخ) .

ولنعم أخي القارئ الكريم ، أن هذا الكتاب الذي بين يديك لا يعدو كونه جهد مقل ، ولن بعدم السهو والخطأ ، فأنه تعالى أي إلا أن تكون العصمة لكتابه وأنيابه عليهم الصلاة والسلام ، فإن وجدت شيئا من ذلك فلا تبخل على العبد الفقير إلى مولاه بالنصح والإرشاد .

هذا فإن أصبت لذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وفي الختام أسأل الله تعالى أن أجود ثواب عملي هذا ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ

(١) وقع للخلاف في ضبط الصحيح لـ (تَهْزَتْ) ، فقبل : تاهزت ، وقبل : تيهزت ، وقبل : تيهزت ، واللفظ الأخير هو الذي رجحه أغلب الأئمة في رسائله (الرد على المتبي) ، وقد اعتمدته في كتابي هذا (لمزيد تفصيل انظر : بحار إبراهيم بكير ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، ط٢ : ١٤١١هـ / ١٩٩٣م ، ص ٨٦ الهامش - مهنا بن راشد بن حمد السعدي ، الشيخ عمرو بن منزهة الفقهى والمقدي من خلال كتاب أصول الدينونة السالفة ، مكتبة الجيل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٩١-٩٢ الهامش) .

وَلَا تَتَوَنَّاهُ إِلَّا مَنْ أَمَرَ اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿١١﴾ ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين هم يا حسان إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا ﴿ إِنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ﴿١٢﴾ .

مهنا بن راشد بن حمد السعدي

ولاية السويق - سلطنة عمان

٢٠ من رمضان ١٤٢٦هـ / ٢٤ من أكتوبر ٢٠٠٥م

abujaiifar@hotmail.com

abujaiifar@gawab.com

(١) سورة الشعراء ، آية : ٨٨ - ٨٩ .

(٢) سورة يونس ، من الآية : ١٠ .

الرموز المستخدمة في الكتاب :

ت : تولى .

تح : تحقق .

حي : حي .

ط (في المن) : الطبقة (حسب تصنيف الدّرجيني للعلماء في كتابه طبقات المشايخ بالمغرب) ،

مثلا : ط٣ = الطبقة الثانية (٥٠ - ١٠٠هـ) ، ط٥ = الطبقة الخامسة (٢٠٠ - ٢٥٠هـ)

وهكذا .

ط (في الهامش) : الطبعة ، مثلا : ط١ = الطبعة الأولى .

ق : القرن ، مثلا : ق١ = القرن الأول الهجري .

مخ : مخطوط .

(١)

الإمام أبو حاتم المَزُوزِي

المزفوف إلى الموت زفاف العروس

الإمام أبو حاتم المنزوي المزوف إلى الموت زفاف العروس^(١)

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين .. الذي من سنته في الكون أن يقبض بين القبة والفينة أئمة عدولا يعزهم صرح الإسلام والدين ، وينشر على أيديهم العدل والأمن ويقضى على الظلم والجور ، والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين وعلى من اتقى أثره من الأئمة وسائر المسلمين ، وبعد ...

فإن أئمتنا في التاريخ الإسلامي يحده تاريخنا حافلا بالإنجازات العظام التي تمت على أيدي الكثير من الأئمة والعلماء ، والتي هي في أمس الحاجة للإبراز إلى النور ليتأسى بها أبناء هذا الجيل الذي أصبح جله فاقدًا قويته للأسف الشديد .

وإن المذهب الإباضي حوى تاريخه الكثير من الأئمة العظام ، الذين سطروا في سني حياتهم أروع الإنجازات ، والتي تستحق أن تنقش بماء النير على صفحات اللجين ، فمنهم من تمكن من إقامة الدول الإسلامية السائرة على نهج الخلافة الراشدة كالدول الإباضية التي قامت في عمان بدءا من الإمام الجلندي بن مسعود الكندي ، وكدولة الإمام طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي في اليمن ، وكدولة الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح في المغرب ، وكالدولة الرسمية التي قامت على يد الإمام عبد الرحمن بن رستم في المغرب .

ومنهم من ترك العديد من المؤلفات في مختلف فنون العلم ، والتي وصل بعضها إلى أكثر من تسعين مجلدا ، ولقد ضاع الكثير من التراث الإباضي بسبب الفتن والصراعات والله المستعان .

(١) نشر هذا البحث سابقا في :

موقع الأمل المشرق (www.alaml.net) .

شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhiyah.net) .

مواقع الشبكة العمانية ، سبلة الدين ، (www.omania.net) .

جريدة الوطن ، سلطنة عمان ، الجمعة ٢٤ من ربيع الأول ١٤٢٥ هـ / ١٤ من يونيو ٢٠٠٤ م . العدد (٧٦٠٥) ، السنة ٢٤ ، وانظروا على هذه الوصلة كذلك :

<http://www.alwatan.com/graphics/2004/05may/16,0/dailyhtml/deen.html>

ومنهم من كون طلاب العلم يرشفون من معين علمه العذب الزلال ، فخرج على يديه أعلام عظام أعز الله بهم دينه .

ولا يزال إباضية هذا العصر سائررون على نهج سلفهم في التمسك بكتاب الله تعالى والعمل بسنة نبيه ﷺ والدفاع عن حياض الدين والحمد لله رب العالمين على هذه النعمة .

وإن مما يؤسف له أن نجد الكثير من المسلمين من غير المذهب الإباضي يجهلون أمر هذا المذهب ، ويجهلون التصحيحات الجسام التي قدمها أتباعه محافظة على الدين الإسلامي ، بل وتجد بعضهم يتعنون أتباع هذا المذهب بتعوت هم منها أبرياء كبراء الذنب من دم يوسف عليه السلام ، فمن ذلك وصفهم بأنهم خوارج معتضدين في ذلك على ما سطره كتاب المقالات كالبغداديين والشهرستاني وابن حزم وغيرهم ، الذين لم يكتفوا أنفسهم عناء الرجوع إلى المصادر الإباضية وإلى علماء الإباضية لمعرفة صحة ما ينسب إليهم من عده ، بل ونسبوا إلى الإباضية الكثير من العقائد الشحرة التي لا تمت بصلة إلى العقيدة الإباضية المستطاة من الكتاب العزيز والسنة الصحيحة ، وقد تكفل علماء الإباضية بالرد على تلك الشبه في الكثير من المؤلفات وبنوا حقيقة المذهب الإباضي وأتباعه ، فيمكن الرجوع إليها ^(١) .

بل وإن مما يؤسف له كذلك أن نجد الكثير من أتباع المذهب الإباضي يجهلون تاريخ مذهبهم ونشأته ، ويجهلون أئمتهم وسرهم ، وهذا البحث هو محاولة مني تنصب في هذا الصدد ، فأحاول من خلاله تسليط الضوء على إمام من أئمة الإباضية في المغرب ، بویی بالإمامة في سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م ، فأحاول إقامة دولة إسلامية سائرة على نهج الخلافة الراشدة ، فسطر في جهاده للظلم والجور أروع الإنجازات ، هذا الإمام هو الإمام الجليل أبو حاتم يعقوب بن حبيب الشجعي الملقب بالملزوزي رحمه الله تعالى .

فأسأل الله تعالى أن أكون بهذا العمل قدمت ولو نورا يسيرا من تاريخ الإباضية ، سائلا المولى القدير أن يجعل هذا العمل في ميزان حسنتي ، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وآخر دعوانا هو أن الخُمنُ لله رب العالمين ﷻ ^(٢) .

^(١) أشرت إلى بعضها في مقدمة الكتاب .

^(٢) سورة يونس ، من الآية : ١٠ .

١ - انتشار المذهب الإباضي في المغرب :

قبل أن نتناول التعريف بالإمام أبي حاتم وسيرته ، أرى من الضروري أولاً أن أعرج باختصار على الأحداث التي سبقت بيعته بالإمامة ، وذلك حتى نربط الأحداث بعضها ببعض ...

بعد أن انتشر المذهب الإباضي في المغرب على يد دعاة الإباضية وعلى رأسهم سلمة بن سعد الحَضْرَمِي (حي : ١٣٥هـ / ٧٥٢م)^(١) الذي قدم من المشرق تحديداً البصرة ، بعد أن أخذ العلم على يد إمام الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة التميمي رحمه الله (ت : ١٤٥هـ / ٧٦٢م) .

انطلق بأمر من شيخه أبي عبيدة إلى المغرب لنشر المذهب الإباضي في تلكم الأراضي البعيدة عن عبون بني أمية^(٢) ، وبالفعل استطاع سلمة أن يوجد أتباعاً للمذهب الإباضي في المغرب وتحديداً المغرب الأدنى^(٣) ، وخاصة جبل نفوسة ، ونتيجة لجهوده ارتحل بعض من اعتنق المذهب من أهل جبل نفوسة إلى البصرة ليأخذوا أصول الدعوة وتعاليمها عن الإمام أبي عبيدة ، وكان أشهر هؤلاء أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد بن مغطير الجَنْائِي (حي بعد : ١٦٠هـ / ٧٧٦م)^(٤) .

عاد ابن مغطير من البصرة ليتعاون مع سلمة بن سعد في نشر المذهب الإباضي ، بعد وفاة سلمة بن سعد أو عودته إلى المشرق ، أصبح ابن مغطير هو الداعية الأول للإباضية في المغرب ، وكانت له جهود كبيرة في إقناع قومه بجبل نفوسة باتباع المذهب الإباضي حتى أن جبل نفوسة

(١) تناولت الحديث بالتفصيل عن دور الداعية سلمة بن سعد في نشر المذهب الإباضي في بحثي تحت عنوان (أئمة المغرب الأوائل) انظره في موقع الأمل المشرق (www.alam1.net) قسم التاريخ .

(٢) للرجيني ، طبقات المشفق ، ١/١ - محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م ، ص ١٤٧ - بحار إبراهيم بكير وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج ٢ ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ١٨٩ ، رقم الترجمة : ٤١٨ - عوض محمد خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطابع دار الشعب ، غلظ ، الأردن ، ١٩٧٨م ، ص ١٣٢ .

(٣) المغرب الأدنى يشمل اليوم شرق الجزائر ودولة تونس ودولة ليبيا ، أما المغرب الأوسط فهو وسط الجزائر إلى حدود المملكة المغربية ، وهذه الأخيرة هي المغرب الأقصى في الكتلات التاريخية الإسلامية ، وذلك بحسب بعدها أو قربها من المشرق الإسلامي ، فهو أدنى أو أوسط أو أقصى (لقاء مع د/ إبراهيم بكير بحار ، الرستاق ، سلطنة عمان ، ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ٢٤ من إبريل ٢٠٠٥م) .

(٤) علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، الحلقة (٢) ، مكتبة الضامري ، السيب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٩٣م ، ص ٢٧ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٣٦ .

أصبح المعقل الرئيسي للإباضية المغرب في تلك الحقبة أي خلال الثلث الأول من القرن الهجري الثاني، وانتشر المذهب الإباضي بين قبائل هُوَازَة وُرُكَاة وسَلْزَاة وَلَوَاة^(١).

بعد ذلك رأى دعاة الإباضية ضرورة إرسال المزيد من البعثات العلمية إلى البصرة، فتم اختيار أربعة شباب من مناطق مختلفة ممن أُمِّلَ فيهم دعاة الإباضية بالمغرب أن يكون لهم شأن كبير في المستقبل، والذين سيعرفون بعد ذلك بمجلة العلم إلى المغرب، وهؤلاء نفرهم: أبو المنجب إسماعيل بن دُرَّار اللدَّامِسي (حي: ٢١١هـ / ٨٢٦م) من غَدَامَس جنوب طَرَابُلُس، وعبد الرحمن بن رستم (ت: ١٧١هـ / ٧٨٧م) فارسي الأصل من القُسْرَوَان، وعاصم السدراي (ت: ١٤١هـ / ٧٥٨م) من قبيلة سَلْزَاة في جبال الأورَاس بشمال الجزائر، وأبو داود الفَيْلِّي الثَّقَفَاوي (حي: ١٤٠هـ / ٧٥٧م) من تَقْرَاة بوتي^(٢).

قضى حملة العلم إلى المغرب خمس سنوات يدرسون العلم على يد الإمام أبي عبيدة في سردابه بالبصرة، وهناك التقوا بأبي الخطاب عبد الأعلى بن السَّمْعِ المُقَاوِرِي السَّيِّ (ت: ١٤٤هـ / ٧٦١م)، والذي سيكون له شأن كبير في المستقبل، وبعد أن رأى الإمام أبو عبيدة جاهزيتهم للعودة إلى المغرب قال لهم: "توجهوا إلى بلادكم فإن يكن في أهل دعوتكم من العدد والعدة ما تحب معه التولية عليكم، فولوا على أنفسهم رجلا متكم، فإن أبي فاقتلوه"، وأشار إلى أبي الخطاب المُقَاوِرِي^(٣).

لعادوا إلى بلادهم، وبدأوا نشر ما تعلموه في البصرة، والإعداد لإقامة دولتهم الجديدة، وفي سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م سحنت الظروف لمبايعه أبي الخطاب بالإمامة وإعلان دولتهم الإباضية الجديدة، فقاموا بمبايعته إماما على الإباضية بالمغرب^(٤).

(١) عرض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص ١٣٦.

(٢) مفرين بن محمد البختوري، كتاب سير أهل نفوسة (مخ)، ص ٥ - يحيى بن أبي زكرياء (أبو زكرياء)، كتاب سير الأئمة وأخبارهم، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط ٢: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م، ص ٥١ - الدرر جيني، طبقات المشايخ، ١٩/١ - عرض خليفات، مصدر سابق، ص ١٣٧ - بحار وخزون، معجم أعلام الإباضية، ج ٢، ص ٥٥، رقم الترجمة: ١٠٧، ص ١٣٩، رقم الترجمة: ٣٠٣، ص ٢٣٩، رقم الترجمة: ٥٢٨، ص ٢١١، رقم الترجمة: ٥١١.

(٣) الدرر جيني، مصدر سابق، ٢١/١ - بحار وخزون، مصدر سابق، ٢١٢/٢، رقم الترجمة: ٥٣٤.

(٤) لوأب بن سلام، كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع النبي، ت: شفلرتر ومسلم بن يعقوب، الناشر دار فرانز شتايفر فيسبادن، ألمانيا، طبع بمطبع دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م، ص ١١٧ - أبو زكرياء، سير الأئمة، ص ٥٧ - عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ج ٤، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، =

استطاع الإمام أبو الخطاب والإباضية السيطرة على طرابلس والقبرون ، وسار الإمام أبو الخطاب فيهم بالعدل وأعاد الحقوق إلى أصحابها ، والحقيقة أن الحديث عن عهد الإمام أبي الخطاب يطول ويحتاج إلى بحث مستقل ، وهذا من التعرّيج على بيعة الإمام أبي الخطاب هو التمهيد لعهد الإمام أبي حاتم كما ذكرت .

على العموم لم يسكت العباسيون على هذه الهزيمة النكراء التي منوا بها على يد الإباضية ، فأرسلوا جيوشهم تروا في كل مرة تحي هزيمة ساحقة على يد الإباضية ، فأرسلوا جيشاً قوامه أربعين ألفاً بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي (ت : ١٤٩هـ / ٧٦٦م) ، ومنى كذلك بالهزيمة ، فلجأ إلى الحيلة وتظاهر بالانسحاب ، فظن الإباضية السحاب جيش العباسيين ، وكان الموسم موسم حصاد فعادوا إلى حقولهم ، وحذرهم الإمام أبو الخطاب من ذلك وأعلمهم أن العرب - وهو العربي اليمني القحطاني - أهل مكيدة ومكر ^(١) ، ولكن دون جدوى ، وبالفعل عندما رأى ابن الأشعث تفرق جيش الإمام أبي الخطاب ، عاد مسرعاً واستطاع القضاء على من بقي مع الإمام أبي الخطاب فقتلهم جميعاً ، واستشهد الإمام أبو الخطاب رحمه الله ، وكان ذلك في سنة ١٤٤هـ / ٧٦٦م في معركة (ناورِغَ) ، وتذكر بعض المصادر أن اغرام الإمام أبي الخطاب كان يعود إلى تصدع قلبي أصاب جيشه ، فاستغله ابن الأشعث لصالحه ، وقَّه الأمر من قبل ومن بعد ^(٢) .

وقد حاول عبد الرحمن بن رستم - الذي عينه الإمام أبو الخطاب والياً على القبرون - اللحاق بالإمام أبي الخطاب لتجديده ، إلا أن أخبار استشهاد الإمام أبي الخطاب وأصحابه وصلته وهو لا يزال في الطريق ، فلما عاد إلى القبرون وجد أنها ثارت عليه ، فعند ذلك

= ط ١ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ٢٢٩ - علي بن محمد الشيباني ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ت : ٥ / ص ٤٤٠ المصاحف ، دار الكتب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٣٢٧ - ابن عذاري المرآة ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٩٨٣م ، ص ٧٠ - ٧٢ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٢٦/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٤٨ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٠ .

^(١) في الحقيقة ليس الأمر في أن العرب أهل مكيدة ومكر وإنما هي الحرب والحرب خدعة ، ولعل أبا الخطاب خاطب البربر بما يفهمهم ويستفهمهم .

^(٢) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١٢١ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٦٩ - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٢٩/٤ - ابن الأثير ، مصدر سابق ، ٣٢٨/٤ - ابن عذاري ، مصدر سابق ، ٧١/١ - ٧٢ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٣٩/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٥٣ - محمد ناصر ، مصدر سابق ، ص ١٥١ .

اضطر للتوجه إلى أرض المغرب متخفياً بصحبة ابنه عبد الوهاب (ت : ٢٠٨ هـ / ٨٢٣ م)
وعبد له ، فحصن في جبل يدعى (سَوْفَجَج) ، فلحقه شيوخ الإباضية ، فسمع بهم ابن الأشعث
فلحق بهم وحاصر الجبل ، وظل محاصراً للجبل حتى وقع الجندري في جنده ولم يستطع أن يخرج
عبد الرحمن وأصحابه من الجبل ، ففكر راجعاً إلى القبروان ، فأراح الله عبد الرحمن ومن معه
من شره ^(١) .

بعد استشهاد الإمام أبي الخطاب قام ابن الأشعث بمطاعة البربر بما فيهم الإباضية ، فقتل منهم
الكثير ، وانتهج معهم منهج الإذلال والتحقير ، وأرسل أحد أتباعه ويدعى الجزيري لملاحقة البربر
فكان هذا الجزيري ظالماً فاسداً كاهن الأشعث ، فكان يشترط على البربر أن يقوم جواربهم الحرائر
بغلي لحينه ورأسه ^(٢) ، فلم يرض الإباضية خاصة والبربر عامة بهذا الإذلال المتعمد والانتهاك
لحرماتهم ، ولم تدمل جراح استشهاد إمامهم أبي الخطاب وأصحابه في معركة (تَاوَزَغَا) بعد ،
حتى بايعوا إماماً جديداً عليهم هو أبا حاتم يعقوب المُرُوزِي في طَرَابُلس في سنة
١٤٥ هـ / ٧٦٢ م .

فمن هو الإمام أبو حاتم المُرُوزِي ؟

٣ - نسب الإمام أبي حاتم :

هو أبو حاتم يعقوب بن حبيب بن مدين بن يطوفت الشجبي المُرُوزِي الهُوَارِي الكِنْدِي ، وقد
وقع الخلاف بين المصادر في اسم أبيه ، فذكر كل من أبي زكرياء والدرجيني وابن عسّاد
نقلاً عن الرقيص أنه (لب) ورأفهم على ذلك الشيخ عبد الله بن يحيى الباروني ، وذكر
أصحاب المعجم أنه (لبيد) ، وذكر ابن سلام والشماعي وابن خلدون وابن الأثير والزركلي
أنه (حبيب) ، ورأفهم على ذلك الشيخ سليمان باشا الباروني والشيخ سالم بن يعقوب
و د / محمد ناصر ود / عوض خليفات ود / إبراهيم بنساز وإسماعيل العربي محقق كتاب

(١) أبو زكرياء ، معبر الأئمة ، ص ٧٠ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٥/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ،
ص ١٥٥ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٣ .

(٢) ابن ملاح ، بدء الإسلام ، ص ١٢٧ - أحمد بن سعد الشماخي ، كتاب السير ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة
عُصْن ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ١٢١ - معبر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ٢ ، ج ١ ، ص ٦١ .

سير الأئمة^(١)، وبما أن ابن سلام هو الأقرب إلى عهد الإمام أبي حاتم، وبعد كتابه أقدم مصدر إباضي يتناول التاريخ الإباضي فالظاهر أن (حبيب) هو الأصح.

والحقيقة أن بعض الباحثين المعاصرين ذكر أن أبا حاتم ينتسب إلى قبيلة كندة بالولاء، فمعن ذهب إلى ذلك الشيخ علي يحيى معمر^(٢)، وأصحاب معجم أعلام الإباضية^(٣)، وإسماعيل العربي محقق سير الأئمة^(٤)، ود/ إبراهيم بخار^(٥)، وأما الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفيش فإنه ذهب إلى أنه عربي من قبيلة كندة^(٦)، إلا أنه لم يركز على كونه مولى من عدمه، فالظاهر أنه تجاوز ذلك ولم يطره بالبحث والتحقيق.

وقد راجعت أهم مصادر الإباضية المتقدمة في التاريخ، فوجدت أن الشماخي أشار إلى كونه مولى كندة^(٧)، وأما ابن سلام وأبو زكرياء والدرجيني والبرادي^(٨)، فلم أجد أحدا منهم أشار إلى كون الإمام أبي حاتم مولى لبني كندة أو كندي أصلاً، بل ولم يذكر أحد منهم ولو بإشارة بسيطة كونه عربياً!

(١) ابن سلام، بدء الإسلام، ص ١٢٨- أبو زكرياء، سير الأئمة، ص ٧٢- الدرجيني، طبقات الشماخي، ٣٦/١ - الشماخي، السيرة، ١٢١/١ - ابن خلّون، تاريخ ابن خلّون، ١٨٢/٣، ٢٣٠/٤ - ابن الأثير، الكامل، ١١٨/٥ - ابن عذاري، البيان المغرب، ٧٨/١ - خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٨، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط ٧ : ١٩٨٦م، ص ١٩٧ - عبد الله بن يحيى الباروني، رسالة سلم العامة والمتقين إلى معرفة أئمة الدين، مكتبة الضمايري، المص، سلطنة عمان، ط ١ : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، ص ١٦ - سليمان الباروني أبو الربيع، مختصر تاريخ الإباضية، جهة النشر غير معروفة، ص ٣٤ - سلام بن يقوت، تاريخ جزيرة جربة، دار الجويني، تونس، ١٩٨٦م، ص ٦٦ - محمد ناصر، منهج الدعوة، ص ١٥٢ - عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص ١٧٥ - بخار، الدولة الرستمية، ص ٦٩ - بخار وآخرون، معجم أعلام الإباضية، ٤٧٥/٢، رقم الترجمة: ١٠٣٥.

(٢) معمر، الإباضية في موكب التاريخ، ج ١، ص ١٠١، ق ١، ص ٦١.

(٣) بخار وآخرون، مصدر سبق، ٤٧٥/٢، رقم الترجمة: ١٠٣٥.

(٤) أبو زكرياء، مصدر سبق، ص ٧٢ الهامش.

(٥) بخار، مصدر سبق، ص ٦٩ - كمت بمحاضرة د/ بخار هاتفاً ونهشته حول العديد من القضايا ومن ضمنها هذه القضية فوجدته يذهب إلى أن أبا حاتم مولى لبني كندة كما وضع في كتابه الدولة الرستمية، وأشار إلى أنه يميل إلى كون الولاء ولائ التمسك وليس ولائ العبودية (مدارسة علمية عبر الهاتف مع د/ بخار إبراهيم بكير، الأحد ١ من محرم ١٤٢٥هـ / ٢٢ من فبراير ٢٠٠٤م).

(٦) صر بن جميع أبو حفص، مقدمة التوحيد وشروحه، شرح: أحمد بن سعيد الشماخي وداد بن إبراهيم التلاتي، تعليق: إبراهيم أطفيش أبو إسحاق، طبعة مسقط، سلطنة عمان، ص ٧٢ الهامش.

(٧) الشماخي، السيرة، ١٢١/١.

(٨) ابن سلام، مصدر سبق، ص ١٢٨ - أبو زكرياء، مصدر سبق، ص ٧٢ - الدرجيني، مصدر سبق، ٣٦، ٧/١، ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٧٤ - أبو القاسم بن إبراهيم البرادي، الجواهر المنتقاء (مع)، ص ١٧٣.

بل وجدت أن البرادي والدرجيني يعتبرانه هُواريًا ، ومن المعلوم أن قبيلة هُوارة قبيلة بربرية مغربية ^(١) ، ولكن الشيخ محمد دُبُوز اعترض على من نسب الإمام أبا حاتم إلى هُوارة وذهب إلى أنه من مَلَزُوزة ، وذكر أن مَلَزُوزة قبيلة بربرية برتية من فروع مغبلة ، وذكر أن مواطن هذه القبيلة في المغرب الأوسط ، وأن أبا حاتم أو أجداده انتقلوا إلى طرابلس فول في هُوارة فصار ينسب إليها ^(٢) .

فلاحظ أن الشيخ دُبُوز يرجع كون أبي حاتم بربري الأصل ، ولم يشر ناهيا إلى كونه مولى لكثدة ، ولكن قد يتخذ الشيخ دُبُوز كونه يتبع منهج المتقدمين في عدم الإحالة إلى المصادر التي يستقون منها معلوماتهم ، فجدد لا يذكر المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في كثير من القضايا التي طرأها في كتابه الموسوعي الضخم (تاريخ المغرب الكبير) ، إذ إنه بذلك افتقر إلى النهج العلمي الأكاديمي ، وحري بمثل الشيخ دُبُوز وهو من المعاصرين أن يستفيد مما توصل إليه من مناهج للبحث العلمي ، مع أننا لا ننقص من قدر الشيخ محمد دُبُوز وكتابه وأسبقته ، إلا أن الأمانة العلمية تقتضي ذلك ، فهو بذلك حرم من يأتي بعده من الباحثين من إمكانية العودة للمصادر والمراجع التي اعتمد عليها ، إن كانت هناك مصادر ومراجع اعتمد عليها .

والظاهر صحة ما ذهب إليه الشيخ دُبُوز من كون أبي حاتم بربريا ، إذ إن ابن خلدون ذكر أن قبيلة المَلَزُوزِي قبيلة بربرية برتية تقطن المغرب الأوسط ، وأما بطن من بطون بني فاتن بن حمصت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأمازيغي ^(٣) ، بل إن ابن خلدون صرح بمكون الإمام أبي حاتم بربريا ملزوزيا حيث قال : " وأبو حاتم يعقوب بن حبيب بن مدين بن يطوفت من ملزوزة " ^(٤) .

إلا أنه يظهر لي عدم صحة ما ذهب إليه الشيخ دُبُوز من كون قبيلة المَلَزُوزِي فرع من فروع مغبلة ؛ إذ أن ملزوزة ومغبلة وغيوها هي بطون من بني فاتن قال ابن خلدون : " ... بني فاتن من ضريسة إحدى بطون البرابرة البتر ... وهم بطون مططرة ولماية وصدينة وكومية ومدبونة ومغبلة

^(١) بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٩٤/١ .

^(٢) محمد علي ديبوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ : ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ، ص ٥٨ .

^(٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٨٤/٣ .

^(٤) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ١٨٤/٣ .

ومظامة وملووزة ومكاسة ودولة وكلهم من ولد فائق بن قصيب بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأير * ^(١).

وكذلك الذي يظهر أنه ليس هُوَ أَرِيَّا ، حيث إن هُوَ أَرِيَّة ليست من بطون البربر البير ، بل هي من بطون البربر البرانس من ولد هوار بن أوريغ بن برنس كما ذهب ابن خلدون ^(٢).

وأما قبيلة الشجيجي فهي قبيلة عربية قحطانية من كِنْدَة ، و(لُجَب) هو اسم أمهم التي ينسبون إليها ، وقيل أبوهم ، ومحلها بمصر ، قال النسابة الفلقشندي : * بنو لُجَب - بضم اللام وكسر الجيم وسكون الهمزة المشددة تحت ثم ياء موحدة - بطن من كندة وهم بنو أشرس بن شيب بن السكون بن كندة ، وكندة ... كان له من الولد أشرس وعدي ، وتجب هي أمهما عرف بنوها بها وهي تجيب بنت بولان بن سليم بن رها بن مدحج ، كذا قال أبو عبيد : وجعل في العبر تجيب هم عبارة عن بني عدي وبني سعد ابني أشرس بن شيب بن السكون ، قال القضاعي : فهو كان من ولد عدي وبني سعد قيل له تجيب ، وقال الجوهري : هم بنو تجيب بن كندة فجعل تجيب أباهم لا أما وقد ذكر القضاعي لهم خطة بمصر * ^(٣).

والظاهر أن من ذهب إلى اعتبار الإمام أبي حاتم مولى كِنْدَة اعتمد في ذلك على بعض المصادر غير الإباضية كابن الأثير وابن خلدون والزركلي ، فابن الأثير يذكر أن اسم أبي حاتم هو يعقوب بن حبيب مولى كِنْدَة ^(٤) ، ولجد ابن خلدون يوافق على ذلك فيذكر أن اسمه أبو حاتم يعقوب بن حبيب الإباضي مولى كِنْدَة ^(٥) ، والزركلي يقتبس عن ابن خلدون فيؤكد ما ذهب إليه ^(٦).

^(١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٨٤/٣ .

^(٢) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ١٨١/٣ ، ١٨٦ .

^(٣) انظر : أحمد بن علي الفلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ص ٩ ، ١٤ - عبد الرحمن بن أبي بكر البيهقي ، لب اللباب في تحرير الأنساب ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ص ٣ .

وانظر : عبد الكريم بن محمد السمعاتي ، الأنساب ، ج ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م ، ص ٤٤٨ .

^(٤) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٦٨/٥ .

^(٥) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ٢٣٠/٤ .

^(٦) الزركلي ، الأعلام ، ١٩٧/٨ .

ولم يذكر ابن الأثير وابن خلدون والزركلبي مستخدم فيما ذهبوا إليه من كونه مولى لكندة ١٩
 فلعلهم اعتمدوا على ما ذكره بعض النسابة من كون قبيلة هُوَارَة من عرب اليمن من ولد المسور
 بن السكاسك بن أشرس بن كندة ، إلا أن ابن خلدون نفسه يرد ذلك ، ويذكر أن هُوَارَة من
 بطون البرانس من البربر ^(١) ، وابن خلدون كذلك عدا أبا حاتم بربريا من مَنَزْوَرَة كما مر علينا ،
 فلماذا يذكر لي موضع آخر من كتابه أنه مولى كندة ١٩ ؟

ولكن لعلهم حاولوا الجمع بين نسبه إلى قبيلة المَنَزْوَرِي البربرية ونسبه إلى قبيلة الشَّجِيي
 الكندية العربية ، فاعتبروه بربريا تعرض للشي هو أو أحد آباءه من قبل قبيلة الشَّجِيي الكندية
 فأصبح مولى لكندة ، وهذا ما أميل إليه للجمع بين الأقوال المتضاربة ، وهو احتمال وارد .

إذاً مما سبق فإن أبا حاتم بربري الأصل ينتمي إلى قبيلة مَنَزْوَرَة البربرية ، ثم تعرض هو أو أحد
 آباءه للشي من قبل قبيلة الشَّجِيي الكندية فنسب إليها بالولاء ، ثم أعتق وعاد إلى المغرب موطن
 آباءه ، إذ إنه لو ظل مسروقاً لما بايعه الإباضية بالإمامة ، حيث إن من شروط الإمام في المذهب
 الإباضي الحرية قال ساحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي حفظه الله متحدثاً عن هذا
 المذهب : " ... وهو منصب لا يختار له إلا من كان ذا أهلية تامة ، وذلك بأن يكون رجلاً مسلماً
 ورعاً سليم الحواس والعقل ليست به عاهة وأن يكون حراً بالغاً ، متمتعاً بمؤهلات
 القيادة ... الخ " ^(٢) ، فلا يمكن أن يقوم الإباضية بمبايعة أبي حاتم وهو لا يزال رقيقاً لم يعتق .

(١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٨٦/٣ .

(٢) أحمد بن حمد الخليلي ، شرح منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد للإمام نور الدين السالمي ، مكتبة الجبل الواحد ،
 مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ١٦٧ .

٤ - طلبه لتعلم ودوره في دولة الإمام أبي الخطاب :

تذكر المصادر أنه أخذ العلم عن حملة العلم إلى المغرب وغيرهم^(١) ، فلعله تعلم على يد سلمة بن سعد وابن مغيطر ، وبعد أبو حاتم في درجة الإمام أبي الخطاب مكانة وعلمًا^(٢) .
والحقيقة أن المصادر لا تذكر شيئا عن دور أبي حاتم في عهد الإمام أبي الخطاب ، ولكن يظهر أنه كان من ضمن جيش أبي الخطاب ومن رفاقه دربه الكفاحي ضد ظلم بني العباس وجورهم ، وذلك أن أبا زكرياء وصفه أنه من بقية أصحاب أبي الخطاب^(٣) ، بل ويظهر أنه كان له شأن كبير في عهد الإمام أبي الخطاب وإلا لما بايعه الإباضية خلفا لأبي الخطاب ، فلعله شارك في المعارك التي خاضها الإمام أبو الخطاب ، وربما كلفه الإمام أبو الخطاب بولاية شيء من المناطق كما كلف عبد الرحمن بن رستم بولاية القيروان غير أن المصادر لم تذكر ذلك .

٥ - مبايعته بالإمامة :

اختلفت المصادر في سنة بيعته ، فقبل سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م^(٤) ، وقبل سنة ١٥٤هـ / ٧٧٠م^(٥) ، وذكر كل من ابن الأثير والزركلني أن أبا حاتم بويع في سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م^(٦) ، وقد رجح الشيخ سليمان داود ما ذكره ابن الأثير^(٧) .
وظل يعمل في السر ليجتمع حوله أكبر قدر من الأنصار ولينظم صفوف الإباضية من جديد ، ثم أعلن الثورة في سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م ، واستشهد في سنة ١٥٥هـ / ٧٧١م كما سبأني ،

(١) بحار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٢) بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٣) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٢ .

(٤) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، تج : محمد صالح ناصر وبحار إبراهيم بكير ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٢ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٢ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٢ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٥٨ - فرحات الجبيري ، علاقة صحن بشمال إفريقيا ، المطابع العلمية ، روي ، مطبعة صحن ، ط ١ : ١٤١٢هـ / ١٩٩١م ، ص ٢٢ - بحار ، الدولة الرستمية ، ص ٦٩ - بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٥) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١٦٨ - النرجوني ، طبقات المشايخ ، ٣٦/١ - الشماخي ، السير ، ١٢١/١ - البازوني ، رسالة سلم العامة ، ص ١٦ - أبو الربيع البازوني ، مختصر تاريخ الإباضية ، ص ٣٤ - ديوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٥٨/٣ .

(٦) ابن الأثير ، الكامل ، ١٦٦/٥ ، ١٦٨ - الزركلي ، الأعلام ، ١٩٧/٨ .

(٧) سليمان داود بن يوسف ، حقلت من تاريخ المغرب الإسلامي ، مطبعة أبو داود ، ص ٥٨ .

وهذا ما رجحه عدد من الباحثين المعاصرين ، كالدكتور محمد ناصر والدكتور الجعيري والدكتور عوض خليفات والدكتور إبراهيم بنّاز وأصحاب المعجم ، ولعل السبب في ذهاب بعض المصادر إلى كونه بويج في ١٥٤هـ هو برزه على الساحة ومنازلته للعباسين في هذه الفترة .

وقد ذهبت أغلب المصادر إلى عدّه بيعته بيعة دفاع ^(١) ، وقد اعترض الشيخ أبو إسحاق إبراهيم أطفش على ذلك ، وذهب إلى كونها بيعة ظهور ، واعتبر كلام من ذهب إلى كونها بيعة دفاع كلام فقهاء ليس لهم في التاريخ على حد تعبيره ، واحتج بكون الإمام أبي حاتم جهز الجيوش ووطد الإمامة وقاتل أهل البغي في كل صوب طالبا لا مطلوبا حتى بلغت جنوده ثلاثمائة وخمسين ألفا مشاة ، وخمسة وثمانين ألفا من الخيالة ، وكانت وقائعه نحو من ثلاثمائة وخمسين وسبعين ، وأن له فضلا عظيما في تمكين الإسلام الحق في البربر ، وقال : إن إمام الدفاع ليس له من الأمر بعد أن تضع الحرب أوزارها ^(٢) .

ولكن إذا عدنا إلى تعريف مصطلح إمامة الدفاع في المصادر الإباضية ، فنجدهم يعرفونه بأنه : " من الفروض الواجبة إذا عدم الظهور وهو اجتماع الناس على إمام يقدمونه عند مقاتلتهم العدو الذي دهمهم ، فإذا زال القتال زالت إمامته وتجب عليه جميع الأحكام التي تقع حال كونه إماما ، وتجب عليهم طاعته " ^(٣) ، وعرفها قطب الأنمة محمد بن يوسف أطفش بقوله : " والدفاع للعدو إذا جاءهم أو جاء أمواهم لمن يريدون دفع الظلم عنه بإمام يُنصب له ، وإذا زال العدو زالت الإمامة فتجدد له أو لغيره لحادث ؛ وقيل : يجوز نصبه على استمرار وإبقاؤه إذا نُصب بلا قيد استمرار وبلا نفي استمرار ، فلا يزول بزوال الحرب بل يبقى لما يحدث منها " ^(٤) ، وعرفها سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الحليّ حفظه الله بقوله : " ... الدفاع : وهو أن يجتمع

(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرسميين ، ص ٢٢- أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٢- الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٢٦/١- ابن جميع ، مقتمة التوحيد ، ص ٧٠- محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٢- عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٥٨- الجعيري ، علقة عمان بشمال إفريقيا ، ص ٢٢- بجاز ، الدولة الرسومية ، ص ٦٩- بجاز وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٢٥ .

(٢) ابن جميع ، مصدر سابق ، ص ٧٢ هاشم رقم ١٠ .

(٣) ابن جميع ، مصدر سابق ، ص ٧٠ .

(٤) محمد بن يوسف أطفش ، شرح عقيدة التوحيد ، تج : مصطفى بن الناصر وينن ، جمعية التراث ، القرارة ، الجزائر ، ط ١ : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م ، ص ١٩٥ .

المسلمون عندما يفاجئهم عدوهم بالانقضاض عليهم على مبايعة أحد منهم ليقودهم دفاعاً عن دينهم وعن حرمانهم ، إلى أن تتجلى الغمة وينكشف العدو ، وتنتهي بذلك بيعته ^(١) .

إذاً لو تأملنا وضع الإباضية عندما بايعوا الإمام أبا حاتم مجده تنطبق عليه التعاريف السابقة ، فالإباضية كانوا في عهد الإمام أبي الخطاب في فترة ظهور ، ثم انقض عليهم عدوهم ابن الأشعث وقتل إمامهم وشردهم ولعقبهم ، مما اضطرهم إلى الدلاء عن أنفسهم وحرمتهم فبايعوا إماماً عليهم ليقودهم في مرحلة الدفاع ضد من هاجمهم ، فبيعتهم بيعه دفاعاً ، ثم من شروط الظهور أن تكون للإباضية دولة آمنة يطبقون فيها شرع الله تعالى ، وهذه الدولة لم تكن موجودة في عهد الإمام أبي حاتم ، فتعريف الظهور عند الإباضية هو الظهور كالتنبي في المدينة وفي مكة بعد إسلام عمر ، وكأبي بكر وعمر يصلبان الجمعة ويجلذان ويرحمان ويقطعان ويفزوان ويقمان النور ويجمعان الزكوات والغنائم ^(٢) .

ولكن في المقابل نجد أن الإمام أبا حاتم تمكن من السيطرة على طرابلس والقبروان وعين بعض النواة ، فقد ورد أنه عين عبد العزيز المظفر (ت : ١٥٤هـ / ٧٧٦م) واليا على القبروان ^(٣) ، بل وكان يجمع الزكاة ويرسلها إلى عبد الرحمن بن رستم ^(٤) ، وهذه الأعمال لا يقوم بها إلا إمام الظهور .

إذا فعمل الإباضية بايعوا أبا حاتم بيعه دفاعاً في البداية لرد الأعداء وتوحيد الصفوف ، وعندما تمكن من السيطرة على طرابلس والقبروان ، ونعم الإباضية بقليل من الأمن انتهت مرحلة الدفاع ، وانتقل الإباضية إلى مرحلة الظهور ، وأقروا إمامهم أبا حاتم على إمامته ولم ينقضوها ، فانتقل من إمام دفاع إلى إمام ظهور ، وهذا احتمال كبير .

^(١) للخليلي ، شرح منظومة غلاة السواد ، ص ١٠٥ .

^(٢) ابن جميع ، مقدمة التوحيد ، ص ٦٩ - أطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ١٩٥ - الخليلي ، مصدر سابق ، ص ١٠٣ .

^(٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣١/١ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٧/١ - ابن الأثير ، الكامل ، ١٧٠/٥ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٤ - بحار وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٥١/٢ ، رقم الترجمة : ٥٥٣ .

^(٤) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٣ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٦/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ .

٦ - إعلان الثورة ضد الظلم :

بعد أن بويع أبو حاتم بالإمامة في سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م ، ظل يعمل بسرية وآثر عدم التصريح في إعلان ثورته ضد الولاة الظلمة من بني العباس ، حتى يستطيع أن يجمع أكبر قدر ممكن من القوات والأمناء حوله ، فظل في حالة تاهب وترقب لفرصة مواتية للثورة ضد الولاة من بني العباس ، واستطاع في هذه الفترة أن يكون جيشا عظيما لم يجمع لأحد من الإباضية مثله بأفريقية ، لقره بعض المؤرخين بثلاثمائة وخمسين ألفا ، الخيل منها خمسة وثلاثون ألفا ، وقيل خمسة وثمانون ألفا ^(١) .

وأما ابن الأخت الذي قضى على دولة الإمام أبي الخطاب فقد عاد إلى المشرق بسبب ثورة جنده عليه ^(٢) ، وعين أبو جعفر المنصور (ت : ١٥٨هـ / ٧٧٤م) عددا من الولاة على إفريقية ، إلى أن جاءت سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م - وكان الوالي للعباسيين على إفريقية في ذلك الوقت عمر بن حفص (ت : ١٥٣هـ / ٧٧٠م) الملقب بـ (هزار مرد) وهي كلمة فارسية تعني رجل عن ألف رجل ^(٣) - وجد الإباضية بقيادة إمامهم أبي حاتم الفرصة مواتية لإعلان الثورة عندما خرج عمر بن حفص من القيروان إلى مدينة طَبَّةَ لبناء سور حولها ، واستخلف على القيروان أبا حازم حبيب بن حبيب المُهَلَّبِي (ت : ١٥١هـ / ٧٦٨م) ، ولارت عليه جموع البربر من إباضية وصفرية وغيرها ، فخرج إليهم واستطاعوا هزيمته وقتله ^(٤) .

فاجتمع الإباضية في طرابلس مع إمامهم أبي حاتم متظاهرين أقام إنما اجتمعوا في أمر امرأة أساء إليها زوجها ، فبعث إليهم الجُنَيْد بن بشار الأسدي (حي : ١٥٣هـ / ٧٧٠م) - الوالي العباسي على طرابلس - خمسمائة فارس فقال لهم قائد الفرسان : أجيئوا الطاعة لأمر المؤمنين ، فقالوا : أجبنا الطاعة لأمر المؤمنين ، وهم لا يقصدون أبا جعفر المنصور وإنما يقصدون الإمام أبا

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٧/١ - ابن جميع ، مقدمة للتوحيد ، ص ٧٢ - بحث وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٢) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٢٩/٤ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٢٨/٤ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ١٧٣/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٥١ .

(٣) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ٢٣٠/٤ - ابن الأثير ، مصدر سابق ، ١٦٨/٥ - ابن عذاري ، مصدر سابق ، ٧٧/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٥٩ - بحث ، الدولة الرستمية ، ص ٦٩ - بحث وآخرون ، مصدر سبق ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٤) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ٢٢٠/٤ - ابن الأثير ، مصدر سابق ، ١٦٨/٥ - ابن عذاري ، مصدر سابق ، ٧٥/١ .

حاتم ، وقبل يقصدون عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حيث إنهم فضلوا النقية حتى لا يظهروا أمرهم سريعا ، فعاد القرسان إلى الجنبين بن بشار فأخبروه بأمرهم فلم يقتنع ، فأخرج هذه المرة حملة كبيرة تحت قيادته ، فأمرهم أن يجيئوا الطاعة لأمر المؤمنين أبي جعفر المنصور ، فقالوا : عليك لعنة الله وعلى أبي جعفر ، فوقع بين الطرفين قتال شديد كان النصر فيه حليف الإمام أبي حاتم ، وهرب الوالي العباسي وقلوب جيشه إلى طرابلس ولحقهم أبو حاتم ، فلهبوا من طرابلس إلى قانس فحاصروهم أبو حاتم فيها ، وكانت هذه الأحداث في سنة ١٥٣هـ / ٧٧٠م^(١) .

وتذكر المصادر أن بعض العوام الذين ليس له حظ من العلم والفقه في الدين من جيش الإمام أبي حاتم قام بسلب قلى العباسيين وجرحاهم ، وعندما علم الإمام أبو حاتم بذلك غضب غضبا شديدا وقال : " إن لم تردوا أسلاب هؤلاء القتلى فقد خرجت وبرئت من ولايتكم " ، فردوا أسلامهم وأعلتوا التوبة^(٢) .

٧ - دخول القيروان :

أقام الإمام أبو حاتم في طرابلس يحكم بالعدل وينطبق الشرع ، ثم نادى بالخروج إلى إفريقيا لحصار عمر بن حفص في طَبَّة^(٣) ، وقد ذكرنا أن عمر بن حفص خرج إلى طَبَّة لحصنها ، وطَبَّة هذه تقع في إقليم الزَّاب في جنوب غرب القيروان بولاية الأوراس تقريبا^(٤) ، وكذلك تقع على الطريق الرئيسي المؤدي إلى بِلِسْتَان معقل الصفرية بزعمامة أبي قرة البَغْرَبِي (حي : ١٥٤هـ / ٧٧٠م) ، فاعتبر الإباضية والصفرية هذا العمل عدوانيا وقديدا لكيافهم ، فانفقوا

(١) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١٢٨ - ١٢٩ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٣ - ٧٤ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٧/١ - الشماخي ، الصير ، ١٢١/١ - ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣/٤ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٦٨/٥ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٥/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٥٩ .

(٢) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ - أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٧٤ - ٧٥ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٣٧/١ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٢١/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٥٩ .

(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٧٥ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٣٨/١ .

(٤) هي مدينة بريكة اليوم في ولاية باتنة بشرق الجزائر جنوب القطاع للمسنطيني (لقاء مع د/ إبراهيم بكير بحاز ، الرستاق ، سلطنة عمان ، ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ٢٤ من إبريل ٢٠٠٥م) .

على محاصرة طَبْنة والقضاء على العباسيين ، فراسل عبد الرحمن بن رستم الإمام أبا حاتم في طرابلس والإباضية لي تولى للخروج محاصرة طَبْنة ^(١) .

وتجمع لدى الإمام أبي حاتم جيش عظيم مكون من الإباضية والصفوية ، فذكر المصادر أن التي عشر عسكريا أحاط بطَبْنة ، أربعين ألفا بقيادة أبي قرّة الصفري ، وخمسة عشر ألفا بقيادة عبد الرحمن بن رستم ، وستة آلاف بقيادة عاصم السُّدْرَانِي الإباضي (ت : ١٥٤هـ / ٧٧٠م) ، وعشرة آلاف بقيادة المسور الزُّبَايْنِي الإباضي (حي : ١٥٤هـ / ٧٧٠م) ، وغيرهم كثير ، وأما الإمام أبو حاتم فلهود من الجحافل ما لا يعرف عدده ، وقد مر علينا أنه اجتمع لديه من الجيوش ما لم يجتمع لأحد غيره فقدر بثلاثمائة وخمسين ألفا .

فلما رأى عمر بن حفص هذه الأعداد الهائلة التي حاصرتها عزم على الخروج لمقاتلتهم فتمنع أصحابه وقالوا له : إن أصبت تلف العرب ؛ عند ذلك لجأ إلى الحيلة لتفريق هذه الجيوش العظيمة ، فأرسل إلى أبي قرّة قائد الصفوية ستين ألفا من الدراهم ليرجع عنه ، إلا أن ذلك لم يجد وقفا في نفس أبي قرّة وقال : " بعد أن سُلِّم إلي بالخلافة - يعني عند الصفوية - أربعين سنة أبيع حربكم بعرض قليل من الدنيا ؟ " فلم يجبههم إلى طلبهم ؛ عند ذلك أرسل ابن حفص بأربعة آلاف درهم وبعض الثياب إلى أخي أبي قرّة على أن يعمل في صرف الصفوية عن أخيه ، فاستجاب لطلبهم ووقعت الحيانة ، فارتحل من ليلته ليعيه جيش الصفوية ، مما جعل أبا قرّة يضطر للانسحاب مرغما وبتمهم ^(٢) .

كان هذه الحيانة من قبل الصفوية تأثر معنوي ونفسي كبير على الإباضية مما دفعهم إلى رفع الحصار ، فانسحب عبد الرحمن بن رستم إلى منطقة قودا ، ورجع الإمام أبو حاتم وإباضية طرابلس وتونس إلى القيروان محاولين دخولها قبل عودة ابن حفص ^(٣) ، عند ذلك أرسل ابن حفص جيشا

^(١) عرض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٠ .

^(٢) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣٠/٤ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٦٩/٥ - ابن عذاري ، البيان المغرب ،

٧٦-٧٥/١ - عرض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٦٠ .

^(٣) عرض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٦٦ .

لمقاتلة عبد الرحمن في قودا ، وبالقفل هاجمه وقتل من الإباضية ثلاثة آلاف فانزوم عبد الرحمن إلى تيهرت^(١) .

وعندما علم ابن حفص بتوجه الإمام أبي حاتم إلى القيروان قرر الرجوع إليها ، واستخلف على طَبْنة ومنطقة الزَّاب المهنا بن المخارق الطَّاني (حي : ١٥٤هـ / ٧٧٠م) ، فلما علم أبو قرة بمسير ابن حفص إلى القيروان قرر مهاجمة طَبْنة ، ولعل تلك محاولة منه لرد اعتباره أمام الإباضية وبقية البربر الذين خانهم الصفرية ، ولكن محاولته لم تجد نفعا حيث إن المهنا الطَّاني تصدى له وقاتله وهزمه ، فانسحب أبو قرة إلى تَلْعَمَّان^(٢) .

وصل الإمام أبو حاتم إلى القيروان قبل ابن حفص وحاصرها لمدة ثمانية أشهر ، فصاق جند العباسيين جهدا من الحصار ونفذ عليهم الطعام فوصل بهم الأمر إلى أكل دوابهم وكلابهم ، ولحق كثير من أهل القيروان بالإمام أبي حاتم ، عند ذلك جاء الخبر بوصول ابن حفص بالقرب من القيروان لفرل مكان يسمى الغريش ، وكان في سبعة آلاف فارس ، فزحف إليه الإمام أبو حاتم وترك القيروان ، فسار ابن حفص إلى تونس ، فبعه الإمام أبو حاتم ، فعاد ابن حفص مجددا إلى القيروان ودخلها بعد أن تزود بما يحتاجه من طعام ودواب ، فحاصره الإمام أبو حاتم ، فطال الحصار حتى نفذ الطعام على ابن حفص ومن معه وأكلوا دوابهم ، وفي كل يوم تكون بينهم مناوشات ، فلما يش ابن حفص من الشجاعة قرر أن يلقي نفسه إلى الموت ، فوصل الخبر بأن المنصور أرسل يزيد بن حاتم بن قتيبة بن المهلب (ت : ١٧٠هـ / ٧٨٦م) في ستين ألف مقاتل لنجدة ابن حفص ، وأشار أصحاب ابن حفص عليه بعدم الخروج لمقاتلة الإمام أبي حاتم حتى يصل يزيد ، فلم يستمع لهم وخرج وقاتل حتى قتل في سنة ١٥٤هـ / ٧٧٠م^(٣) .

تولى أمر بقايا العباسيين في القيروان بعد مقتل ابن حفص حميد بن صخر (حي : ١٥٤هـ / ٧٧٠م) وهو أخو ابن حفص لأمه ، فصالح الإمام أبا حاتم على أن حميدا ومن معه لا يخلعون

(١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣١/٤ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٦٩/٥ - ابن عذاري ، البيان المغرب ، ٧٦/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦١ .

(٢) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ٢٣١/٤ - ابن الأثير ، مصدر سابق ، ١٦٩/٥ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٦١ .

(٣) ابن خلدون ، مصدر سابق ، ٢٣١/٤ - ابن الأثير ، مصدر سابق ، ١٦٩/٥ - ابن عذاري ، مصدر سابق ، ٧٦/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

المنصور ولا يتازعهم أبو حاتم في سوادهم وسلاحهم ، فذكرت بعض المصادر أن الإمام أبا حاتم وافق على ذلك ^(١) ، إلا أن بعض المصادر تشير إلى رفضه لتلك الشروط وأنه قاتلهم حتى دخل القُيُروان ^(٢) .

٨ - استشهاد عاصم السُذْرَاطِي :

تذكر المصادر الإباضية أن عاصم السُذْرَاطِي - أحد حلة العلم الخمسة إلى المغرب - استشهد في حصار القُيُروان ، حيث إنه أصيب بمرض فوصف له القَاء ، وعندما علم العباسيون المحصورون داخل القُيُروان بذلك ، أرسلوا شخصا يتظاهر ببيع القَاء وسَمُوا واحدة منها وأمروه أن يبيعهم السمومة ، وبالفعل اشترى أصحاب عاصم القَاء السمومة وعندما أكل منها عاصم استشهد رحمه الله ، فناداهم المحصورون : أين عاصم السُذْرَاطِي اليس قد قتلناه ؟ فعلم الإمام أبو حاتم أنهم هم من قتله ، فقرر أن يكيد بهم كما كادوا بعاصم ، فأمر أصحابه بالتظاهر بالانسحاب والهزيمة ، فأصبح معسكر أبي حاتم خاليا ، فظن العباسيون أنهم انهزموا ، فبعوهم إلى أن وصلوا إلى مكان يسمى (الرقادة) ، فتفاجأوا بجيش الإمام أبي حاتم قد كمن هناك وثار في وجههم ، وقتلهم ولاحقوا فلولهم المهزومة إلى القُيُروان ^(٣) .

ولعل هذا حدث في إحدى المعارك حيث إن المعارك تحدث بشكل يومي بين الطرفين في فترة الحصار ، والحقيقة أن بعض المصادر ذهبت إلى كون عاصم السُذْرَاطِي استشهد في عهد الإمام أبي الخطاب ، وتذكر نفس القصة إلا أن الحاصر قبيلة وَزْجِيْمَة بالقُيُروان ^(٤) ، ولكن الظاهر أن الأصح أنه استشهد في عهد الإمام أبي حاتم ، حيث إن المصادر غير الإباضية تشير إلى وجود دور له في قتال أبي حاتم للعباسيين ، وأنه خرج بـ ستة آلاف مقاتل وانضم تحت نواء الإمام أبي حاتم كما مر علينا ، كذلك فإن أقدم مصدر إباضي وهو (بدء الإسلام) لابن سلام يشير إلى استشاده في

^(١) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣١/٤ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٧٠/٥ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

^(٢) ابن عذاري ، البيان المُغرب ، ٧٦/١ - ٧٧ - ديوز ، تاريخ المغرب ، ٦٩/٣ .

^(٣) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١٢٩ - الشماخي ، السير ، ١٢١/١ - ١٢٢ ، ١٢٦ .

^(٤) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٦٢ - ٦٣ - النرجوني ، طبقات المشايخ ، ٢٨/١ - ٢٩ - بحار وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٣٩/٢ ، رقم الترجمة : ٥٢٨ .

عهد الإمام أبي حاتم ، وأورد هذه القصة عند حصار الإمام أبي حاتم للقيروان ، وابن سلام قريب من عهد الإمام أبي حاتم حيث إنه كان حيا في سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م^(١) .
بل إن جده وعمه ممن شارك مع الإمام أبي الخطاب في حروبه^(٢) ، وكذلك فإنه يروي الأحداث مشافهة ممن حضر ذلك الحصار وقد أشار إلى ذلك بنفسه^(٣) ، وهذا ما دفع الشماخي إلى ترجيح ما ذكره ابن سلام على ما ذكره أبو زكرياء واللرجيني حول فترة استشهاد عاصم السدزاني^(٤) .

٩ - العباسيون يرسلون يزيد بن حاتم :

عندما اقترب يزيد بن حاتم من الطريقة ، خرج إليه عدد من جند العباسيين الموجودين بالطريقة وانضموا إليه ، والظاهر أن هذا السبب الذي دفع الإمام أبا حاتم إلى أن يأمر أصحابه بأن يجردوا الجند العباسي الموجود بالقيروان من سلاحهم خلافا للصلح المبرم بينهم سابقا ، وفي هذا رد على من اتهم الإمام أبا حاتم بأنه خان العهد والمواثيق كما ذهب ابن الأثير وعوض خليفات^(٥) ، ورد آخر أن الإمام أبا حاتم لم يوافق على ذلك الصلح لثانيا بل قاتل حتى فتح القيروان كما ذكر ابن عذارى وقد مر الحديث عن ذلك .

وتذكر المصادر الإباضية أن قبيلة بربرية من هؤارة يقال لها مَلَيْلَة انضمت إلى جيش يزيد ضد الإمام أبي حاتم ، فسأل الإمام أبو حاتم عن أعان عليه من البربر ، فقالوا له مَلَيْلَة ، فقال : " اللهم ذلَّ مَلَيْلَة " ، فاستجاب الله تعالى دعاءه ، فلم يزالوا في مذلة من الجند والظلمة لا ينقطع عنهم دون البربر أبدا^(٦) .

على العموم رأى الإمام أبو حاتم أن مواجهة جيش يزيد الكبير القادم من المشرق بالقيروان ستكون خطيرة وفي غير صالحه ، خاصة وأنه توجد بعض القلول العباسية بمدينة طَبْنة ، فقرر

(١) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ٤٠ - بحر وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٣٥٠/٢ ، رقم الترجمة : ٧٦٠ .

(٢) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص ٣٧ ، ١١٨ .

(٣) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص ١٢٠ .

(٤) الشماخي ، السير ، ١٢٢/١ ، ١٢٦ .

(٥) ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٧/٥ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٤ .

(٦) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص ١٣١ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٩ .

الاعتصام بجبل نفوسة في أوساط الإباضية حيث تقطن قبائل نفوسة وهوارة الإباضية ، فبضمن الإمام أبو حاتم سندا قويا له من الخلف ، هكذا خطط الإمام أبو حاتم ، ولكن حكمة الله تعالى اقتضت غير ذلك كما سرى .

تمكن الإمام أبو حاتم من هزيمة مقدمة جيش يزيد التي كانت تحت قيادة سالم بن سودة الشمعي (حي : ١٥٥هـ / ٧٧١م) ، ولعل هذه هي موقعة (مَعْنَدَاس) التي تذكرها المصادر الإباضية ، وهذا ما مال إليه محمد دُبُوز^(١) ، فأبو زكرياء يقول عن هذه الواقعة : " وبلغنا أن أبا حاتم سمع بطوانع أقلت من المشرق فخرج من مدينة طَرَابُلُس ، فلتقاهم بموضع يقال له (مَعْنَدَاس) ، وهو على مسيرة ثمانية أيام من مدينة طَرَابُلُس ، فلما وصلهم أبو حاتم لاقوه ، فالتلوا قتالا شديدا ، فهزم الله له العدو ، ومنحهم أكتافهم ، فقتل منهم ستة عشر ألفا " ^(٢) . ويرى أن رجلا من غير الإباضية سأل رجلا من الإباضية : ما تفسير تَاوَزْغَا ؟ ، وكان يقصد من هذا السؤال الاستهزاء بالإباضية ومقتل إمامهم أبي الخطاب في معركة (تَاوَزْغَا) ، ولكن الإباضي كان لفظا فأجابه بقوله : تفسيرها : مَعْنَدَاس فيه أربعة أكداس في كل كدس أربعة آلاف ^(٣) .

والحقيقة أن الشماخي اعترض على ما ذكره أبو زكرياء من أن موقعة (مَعْنَدَاس) وقعت في عهد الإمام أبي حاتم ، وذهب إلى أنها وقعت في عهد الإمام أبي الخطاب أو أن تكون وقعت موقعة أخرى في (مَعْنَدَاس) في عهد أبي حاتم ، وأشار إلى أن ابن سلام والرقيق أشارا إلى كون موقعة (مَعْنَدَاس) وقعت في عهد الإمام أبي الخطاب ^(٤) ، وبالفعل فإن ابن سلام أشار إلى ذلك ^(٥) ، ولكن لعل أكثر من موقعة وقعت في (مَعْنَدَاس) إحداها في عهد الإمام أبي الخطاب والأخرى في عهد الإمام أبي حاتم ، والله أعلم .

(١) دُبُوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٧٤/٣ .

(٢) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٧ - الدرر جيني ، طبقات المشايخ ، ٣٨/١ - ٣٩ .

(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٧٨ - المرجعي ، مصدر سابق ، ٣٩/١ - الشماخي ، السير ، ١٢٣/١ .

(٤) الشماخي ، مصدر سابق ، ١٢٣/١ .

(٥) ابن منكم ، بدء الإسلام ، ص ١١٨ .

١٠ - موقعة جنى واستشهاد الإمام أبي حاتم :

بعد أن هزمت طلائع جيش يزيد على يد الإمام أبي حاتم ، قام بمهاجمة الإمام أبي حاتم في جبل نفوسة ، وجرت بين الطرفين معركة قاسية في ربيع الأول من سنة ١٥٥هـ / ٧٧١م في مكان يسمى (جنى)^(١) ، وليس في (مَعْنَس) كما ذكر أصحاب المعجم^(٢) .

فقتل في تلك المعركة الزهبة خلق كثير من كلا الطرفين ، ولكن كانت النتيجة في نهاية المطاف لصالح يزيد ، واستشهد الإمام أبو حاتم مع جل أصحابه ، وتذكر المصادر أن عدد القتلى من أصحاب الإمام أبي حاتم ثلاثين ألفا^(٣) .

ويروى أن الإمام أبا حاتم رحمه الله عندما رأى مقتل أصحابه وأن الهزيمة لا محالة واقعة قال لمن بقي من أصحابه : " زفوني إلى الموت في سبيل الله زفاف العروس وفتوا لي قليلا " ، فقاتل حتى استشهد^(٤) .

وتذكر بعض المصادر الإباضية أن الموضع الذي استشهد فيه الإمام أبو حاتم وأصحابه ثرى فيه الأنوار ، إذ يروى أبو زكرياء أن الموضع الذي كانت فيه معركتهم بضى من كل ليلة جيس ، ويصير ضياؤه من بعيد ، بل وينقل عن أشخاص عاصروهم أنهم رأوه ، وهو نور ساطع وضياء عظيم^(٥) .

ويعلق الشماخي على ما ذكره أبو زكرياء فيقول : " وقد اشتهر عندنا من غير أن أراه أن النور يول على قبره [يعني قبر الإمام أبي حاتم] وقيل لم يزل يول حتى دفن إلى جنبه أعرابي فكفناه والله أعلم " ^(٦) .

في الحقيقة لم أكن أريد ذكر أمثال هذه الفصوص البعيدة عن العقل والواقع ، إلا أن الأمانة العلمية اقتضت مني ذكرها ، وكذلك ذكرها لتقدها والتحذير من الانجرار وراءها ؛ وإنه مما

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٩ - الدرر جني ، طبقات المشايخ ، ٣٩/١

(٢) بحار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٧٥/٢ ، رقم الترجمة : ١٠٣٥ .

(٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ٢٣١/٤ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ١٧٠/٥ - ١٧١ - ابن عثري ، البيان المغرب ، ٧٨/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٤ - ١٦٥ .

(٤) الدرر جني ، مصدر ملحق ، ٤٠/١ .

(٥) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٧٩ - ٨٠ .

(٦) الشماخي ، السير ، ١٢٤/١ .

يؤسف له أن كتب التراث الإسلامي تزخر بالكثير من أمثال هذه الفصوص ، فحري بنا ألا نلغف إليها ونضيق الجهد العلمي والعقلي والمادي عليها ، وإن ذكرناها فمن باب نقدها وتحجير العقل المسلم من سيطرة هذه الخرافات ليكون عقلا منتجا واقعا آخذا بالأسباب ، لا يعيش في الوهم والجري وراء القدرات الخارقة الخارجة عن الطبيعة الإنسانية التي فطر الله الناس عليها : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

والملاحظ أن أغلب المدارس الإسلامية يحاولون أن تحيط أنمتها وأعلامها بصفات تضفي عليهم نوعا من الخصوصية والتميز ، وربما للعوام والبسطاء دور - بحسن نية ومحبة لأئمتهم وعلمائهم - في نسج أمثال هذه القصص التي تخرج عن نطاق العقل والواقع إلى الأساطير والخرافات ، ثم يقبدها المؤرخون في مصنفاتهم من باب التقييد للتاريخ والحوادث بغض النظر عن صحتها من عدمه ، يقول حميس العنّوي : * ... عندما نأقن إلى خبر معين ، فنجد غير صحيح أو الواقع والعقل لا يقبلانه ، ليس معناه الطعن في المؤرخ الذي ينقله .. قطعاً ، لا . لا يحاسب المؤرخ على الرواية والروايتين ، وإنما هو ينقل تاريخاً عريضاً فيه الصحيح والسقيم ، لعدم صحة الخبر لا يطعن في المؤرخ ، وقد ينقل المؤرخ الأخبار بغض النظر عن صحتها وبطلانها ... فالمؤرخ قد يجمع المادة التاريخية عن حقبة زمنية معينة بدون أن يبدى رأيه فيها بالتحليل أو المقارنة ، ولكن أن يكون هدفه جمع المادة فقط وحفظها وليس إلزام تلك الحقبة بها ، لفهم ذلك فإنه دقيق بخسفى على الكثيرين * ^(٢) .

ومن ضمن القصص حول الإمام أبي حاتم ومن معه من الشهداء ما يذكره الشماخي فيقول : * وبذلك الجهة مقبرة يقال إنها للذين ماتوا عنده يوجد بأطرافها تراب أحر يقال إنه دمهم لم يغيره الزمان يترك الناس به ويجعلونه للمرضى وهذا في مثلهم ليس بغريب ، وقد شاهدت بنفوس دماء رجال ثلاثة سقحت على صفا مسيل ماء المطر مضى عليها منون من الأعوام وهي

^(١) سورة الزوم ، آية : ٣٠ .

^(٢) العنوي ، رؤية تاريخية ، ص ٣٧ - ٣٨ .

باقية وكل ما وقع مطر جرى عليه ومسحته بتوي ملولاً بالريق فأثر لسه وشمسه فإذا هو رائحة الدم ... * وأشار إلى كونهم صالحين أي الرجال الثلاثة ^(١) .

ونو تأملنا ما ذكره أبو زكرياء والشماني نلاحظ أنهما ينفلان عن غيرها ولم يبقا على الأنوار بنفسيهما ، وإغما سمعا من بعض الأشخاص ، والظاهر أن من يروي لهما هذه الروايات والقصص من عوام الناس وليس من العلماء النضات ، وحتى إن كان من العلماء فلعله متأثر في اللاوعي بما راج في تلك العصور المتقدمة من أمثال هذه القصص في التراث الشعبي .

وأما القصة الثانية التي أوردها الشماني ، فمن المعلوم أن الدم لا تتشربه الأرض كما تشرب الماء ، حيث إن كثافة الدم أكبر من كثافة الماء ^(٢) ، فيظل على سطحها ولو إلى مئات السنين ، فلعل دم الشهداء من أصحاب أبي حاتم ظل على سطح الأرض واختلط مع التراب ، وكذلك بالنسبة لدم الرجال الثلاثة ، فهو أمر غير مستغرب ، وأما قضية الاستشفاء بالتراب المعترج بدمهم فرمجا الجانب النفسي له دور في إحساس المرضى بالصحة والله أعلم ^(٣) .

(١) الشماني ، السير ، ١٢٤/١ .

(٢) كثافة الدم ١٠٦٠ كجم / م^٣ عند ٣٧° م وكثافة الماء ١٠٠٠ كجم / م^٣ عند ٤° م انظر : خواص السوائل المساقنة ، موقع موزان مبارك الاستكشافي للمعلوم ، على هذا الرابط :

<http://www.smsec.com/encyc/phys/٢.htm>

(٣) إن مما يؤسف له انتشار أمثال هذه الخرافات والأساطير في أوساط الممثلين ، وإستلاء كتب السير بها ، وعدها من التراث الإسلامي ، وعدها من الكرامات التي يهبها الله لمن أسقط من عباده . ولا زالت هذه الخرافات منتشرة في أوساط الممثلين إلى عصرنا هذا عصر التكنولوجيا والفرة واختراق الفضاء ، وصل الغرب إلى ما وصلوا إليه لأنهم اكتشفوا سر القوة والتقدم وهو (الأخذ بالأسباب) ، ونحن الأمة التي خاطبها الله تعالى وأمرها بتخيل الأسباب ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ مِنْ حَيْثُ مَنَاسِبَتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُؤْتِيُونَ بِهِ خَيْرٌ اللَّهُ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ لَا تُعَذِّبُهُمْ فَلَا يُعَذِّبُهُمْ ﴾ (الأنفال : من الآية ٦٠) . ﴿ وَالْأَخْرُوفُ يُنْشَرُونَ فِي الْبَرِّ يَتَّقُونَ مِنَ اللَّهِ لَعَلَّ اللَّهَ يَرْحَمَ مَن يَتَّقَ ﴾ (الزمر : من الآية ٢٠) ، لا زلنا نعيش في عالم الأساطير والخرافات ، بسبب ضعفنا وخورتنا وهزيمتنا المديانية أمام أعدائنا ، مما ولد هزيمة نفسية كبيرة ، نجم عنها ما نشاهده من التوجه إلى تصديق هذه الخرافات والميث في عالم الأوهام وعدم الرغبة في الخروج منه حتى لا نعدم بولغاا الإسلامي المبرير ، وهؤلاء الذين وهبهم الله أمثال هذه الخوارق - كما يزعمون - لمعاد لا يسمخونها في تحرير المسلمين وبقيّة بلدان الإسلام من نير الاحتلال ؟! لماذا الرسول ﷺ كان يعد الجيوش الجواررة ويضع الخطط لخوض المعارك ؟! لماذا الصحابة الكرام قتلوا الجيوش الجواررة لفتح فارس والروم ، ولم يجلسوا في بيوتهم على الفراش الوثير يحركون الأنهار والصخور والجبل لتقوم بمهمة الفتح بدلا عنهم ؟! بل اتسلق الواحد منهم مستطبا فرسه مستكبا سلاحه حاملا روحه على كفه نواقة نفسه للوزن بمشاهدة ، فهل هؤلاء الذين يزعمون هذه القدرات أكثر صلاحا وإيمان من أبي بكر وعمر وحزمة عم رسول الله ﷺ ؟!

ثم إن هذه القصص تتعارض مع النقل والواقع والسنن الكونية ، فضلا عن تعارضها مع القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة ، فلهذا تعالى في كتابه الكريم أخبرنا أن للكون سنا ثابتة دائمة لا تتغير أو تتبدل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولا أدى ذلك إلى إختلال موازين الكون قال تعالى : ﴿ مِنْ مَّثَلِ ظُلْمٍ فِي الدِّينِ ظُلْمًا مَنْ قَلِيلٌ وَكَانَ يُجِدُ بِلِسَانِهِ اللَّهَ يُبْخِلُ ﴾ (الأحزاب : ٦٢) ، وقوله تعالى : ﴿ مِنْ مَّثَلِ ظُلْمٍ فِي الدِّينِ ظُلْمًا مَنْ قَلِيلٌ وَكَانَ يُجِدُ بِلِسَانِهِ اللَّهَ يُبْخِلُ ﴾ (الفتح : ٢٣) ، =

= ويقول تعالى : ﴿ لَا تَشْعُنْ بِتَبَيُّهِ لَهَا أَنْ تَشْرَقَ الْقَمَرُ وَلَا اللَّيْلُ مَنَاقِبُ اللَّهِ كُلُّ فِي فَلَكٍ يَمُسُونَ ﴾ (يس : ٤٠) ، وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَلَمْزْ أَنْ لَمْ يَلَمْزْ لَوْلَا إِلَهٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَيُؤَيِّدُ الْفَلَاحُ فِي الْفَلَكِ وَتَسْتَفْزِجُ السَّمْعُ كُلُّ نَجْدٍ إِلَى أَجَلٍ مُعَيَّنٍ وَأَنَّ إِلَهَ مَا تُغْتَمُونَ خَيْرٌ ﴾ (نجم : ٢٦) ، والرسول ﷺ أخبرنا أن هذه الأجرام السماوية لا تخضع لموت أو مولد أحد ، فمنها مات ولده إبراهيم وخسفت الشمس ظن الصالحة أنها خسفت بسبب موت إبراهيم ، فأعادهم الرسول ﷺ إلى جادة الصواب فقال : " إن الشمس والقمر آيات من آيات الله لا يخسفان لموت بشر ولا لحياة فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وتضرعوا وتصدقوا " روى الإمام الربيع حديث رقم (١٩٤) ورقم (١٩٥) ، والبخاري حديث رقم (١٠٤٣) ، ومسلم حديث رقم (١٠) .

ولمساحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليفي - حفظه الله - محاضرة قيمة تحت عنوان (الأخذ بالأسباب وبوره في نهضة الأمة) ألقاها بجامعة السلطان قابوس ضمن سلسلة الدروس الفكرية التي يلقاها بالجامعة ، فيقول متحدثاً عن الصلوة الإسلامية وما أصيبت به من التكرار والانجراف وراه أمثال هذه الخرافات والأوهام التي تتعارض مع سنن الله في الكون : " ... ولكن مما يؤسف له أن هذه الصلوة أصيبت بشيء من غيظ التصور في بعض الأمور ، وذلك مما جعل أبناءها يعيشون في عالم الأوهام ، أسارى للخيبات المختلفة ، وقد دفعهم ذلك إلى تجاهل سنن الله سبحانه وتعالى في خلقه ، مع أن الله سبحانه خلق الخلق ، وجعل لخلقهم منلاً لا يتبدل حتى يرث الله الأرض وما عليها ، وما يقع من الغفارات التي قد تكون رأي العين خارجة عن هذه السنن ؛ فإما ذلك يرجع إلى أمر الله سبحانه عندما يريد أن يقطع شيء من السنن في قضية معينة ، مع أن هذه الحالة لا يمكن أن يقطع عنها ، وهي حالات في عهد النبوات لا يمكن أن تتكرر مرة أخرى ؛ لأن السنن تميز حسب ما شاء الله سبحانه وتعالى مما رسمه لهذا الكون من نواميس معينة لا تتبدل ولا تتغير حتى يرث الله الأرض ومن عليها . ولكن غيظ التصور هو الذي يولّد بين البصائر والرواية الصحيحة لمخلوق الأشياء ، وذلك مما يجعل هذه الفئوس أسيرة الأوهام فتتبدل كل البعد عن هذه الحقائق " .

فلتحذر هنا أن مساحة وضع أن الأمور الخارقة للعادة التي خصن الله تعالى بها أنبيائه من معجزات ، وكذلك ما ذكر في القرآن من بعض القصص كقصة أصحاب الكهف والرجل الذي أسماه الله مائة عام ، فإن تلك الحالات حدثت في عهد النبوات لا يمكن أن تتكرر مرة أخرى بعد انقطاع الوحي واكتمال الدين ، فضلاً عن ورودها بنصوص قطعية ، أي الكتب المبكرين .

ووجه إلى مساحته سؤال حول بعض الكرامات التي تنسب إلى بعض الأئمة والعلماء وتتعارض مع السنن الكونية ، ونص السؤال : هناك الكثير من القصص التي تنسب إلى الأئمة والعلماء - رضي الله تعالى عنهم - ومن ذلك مثلاً ما يروي عن الشيخ محمد بن علي بن عبد الباقي - رحمه الله - أنه أخذ طلع الغنق في نزوى وأجرها في مكة ، وما يروي عن الشيخ سعيد بن خلفان الخليفي - رحمه الله - كان يفهم منطق الطير ؟!

وهذا نص جواب مساحة الشيخ حفظه الله تعالى : هذه القصص راجت في وقت من الأوقات كثيراً ، وكل أمر لا يقبله العقل لا يمكن أن يسلم له ، ولابد من تلك ما ذكره أخيراً ولم يذكر أولاً من أن أبا عبيدة - رضي الله تعالى عنه - دعا الله ، ففترجت السماء الأولى ثم الثالثة ثم الثالثة وأبصر العرش ، فهذا الكلام لا يصح ولا يقبل لأنه مخالف للسنن الكونية . فخطر : الإمام الرابع بن حبيب الأزدي ، الجابح الصحيح ، مكتبة مسقط ، مطبعة عمان ، ط ١ : ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م ، كتاب الصلاة ووجوبها ، باب (٣١) ، حديث رقم (١٩٤) ورقم (١٩٥) ، ص ٥٦ - ٥٧ . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ٦٦٦/٣ ، كتاب الكسوف (١٦) ، باب (١) ، حديث رقم (١٠٤٣) - يحيى بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م ، ١٨٤/٦ . ١٨٥ ، كتاب الكسوف (١٠) ، باب (٣) ، حديث رقم (١٠) - أحمد بن حمد الخليفي ، محاضرة الخرافة والأخذ بالأسباب ، محاضرة ضمن سلسلة الدروس الفكرية التي يلقاها مساحة الشيخ أحمد بن حمد الخليفي بجامعة السلطان قابوس ، أقيمت في يوم الإثنين ٢٢ من رجب ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م في مكتبة الجول الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، كتاب (إعادة صياغة الأئمة) لمساحة الشيخ الخليفي ، الحلقة الأولى ، ط ١ ، مكتبة الجول الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ص ٩٤ - ٩٥ ، ص ١٢٢ - ١٢٣ . ومشورة كذلك بموقع الأمل المشرق (www.alami.net) .

إذاً وباستشهاد الإمام أبي حاتم - رحمه الله - طويت صفحة مشرقة من صفحات التاريخ الإباضي ، سطر فيها الإباضية تحت لواء إمامهم أبي حاتم أروع الإنجازات وأعظم التضحيات رغبة في نيل الحرية من تسلط وظلم الدولة العباسية ، ورغبة في تطبيق شرع الله تعالى وأحكامه ، ورغبة في إعادة الحقوق إلى أصحابها ، ولكن قدر الله ألا يتمكن الإباضية تحت لواء الإمام أبي حاتم من إقامة دولتهم المنشودة ، ففر من لحى من معركة (جنى) ومن ملاحقة العباسيين لهم إلى المغرب الأوسط ، إلى تِهَـرْتْ ، فأقاموا دولتهم المنشودة ، وانتخبوا إماماً لهم هو عبد الرحمن بن رستم ، والذي بالفعل استطاع أن يحقق حلم الحرية ، فأقام الدولة الرسمية العظيمة في سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م .

فاحس الإباضية في كنفها بظعم العدل والأمان والحرية ، ليس هذا لحسب بل وقصدها الكثير من المسلمين من غير الإباضية ، والذين أصبحت لهم فيها مدتهم ومساجدهم التي يعرفون بها ، بل وسكنها اليهود والنصارى ، راضين بحكم الأئمة الرسميين ، ففتحت صفحة جديدة في التاريخ الإباضي الناصع المشرق ^(١) ...

هذا وأرجو أن أكون قد وفقت في إبراز سيرة هذا الإمام الجليل ، فإن أصبت فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى أصحابه وأتباعه وحزبه إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا ﴿ إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

(١) انظر مقال (الدولة الرسمية دولة إسلامية تجاهلها التاريخ) المقال رقم (٨) من هذا الكتاب .

(٢) سورة يونس ، من الآية : ١٠ .

(٢)

العلامة مهدي النُّفُوسِي
إمامُ المناظِرِين

العلامة مهدي النقوسي إمام المناظرين^(١)

ما فنى جبل نفوسة ذلكم الجبل الشامخ الأسم الواقع في ليبيا ، يخرج لأمة الإسلامية الرجال الأشاوس الذين سطروا على مر التاريخ وتتابع الحقب أروع الإنجازات ، التي تستحق أن تنقش بماء البير على صفحات اللجين ، وإن أردنا أن نستعرض هؤلاء الأئمة العظام الذين خرجوا من هذا الجبل لما وسعنا المجلدات ، ولكن ما لا يدرك جلله لا يترك كله ، وسنحاول في هذا المقال تسليط الضوء على علم من أعلام جبل نفوسة يعد من أئمة المناظرة وعلماء الكلام ، ليس هذا فحسب بل وفارسا مقداما لا يشق له غبار في ميادين القتال ... فمن هو هذا الإمام ؟

إنه إمام المناظرين الشيخ العلامة مهدي النقوسي الويلوي^(٢) ، لم تذكر المصادر نسبة كاملا ، عاش في القرن الهجري الثاني^(٣) ، ويظهر من نسبة أنه من أهل قرية (ويلو) الواقعة بجبل نفوسة ، وتعيدنا بجبل شروس الواقع بجبل نفوسة^(٤) .

وقد أخذ العلم عن حملة العلم إلى المغرب ، الإمام أبي الخطاب عبد الأعلى بن السَّمح المَعَارِي ، والإمام عبد الرحمن بن رستم ، وعاصم السُّنَرَانِي ، وإسماعيل بن دُرَّار الغَدَامَسِي ، وإبي داود القَيْلِي ، الذين تتلمذوا على يد الإمام الكبير أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة في البصرة^(٥) .

ولقد برع الشيخ مهدي في المناظرة ، فكان له الفضل في تفيد شبه المعتزلة ، وذلك أن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن - الإمام الثاني من أئمة الدولة الرستمية (حكم من ١٧١هـ /

(١) نشر هذا البحث مسبقا في :

جريدة الوطن ، سلطنة عمان ، الجمعة ٨ من ربيع الثاني ١٤٢٥هـ / ٢٨ من مايو ٢٠٠٤م ، العدد (٧٦٦٩) ، السنة ٣٤ .

موقع الأمل المشرق (www.alaml.net) .

شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhiyah.net) .

موقع الشبكة العمانية ، سبله الدين ، (www.omania.net) .

(٢) النرجيني ، طبقات المشايخ ، ٥٨/١ ، ٣١٢/٢ . الشماخي ، السير ، ١٤٨/١ . سليمان بن عبد الله البهاروني (بقا) ، الأظهر الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، دار بوسلامة ، شارع فرنسا ، تونس ، ط ١ : ١٩٨٦م ، ١٢٧/٢ - ١٢٢ ، ١٣٨ - ١٤٥ . بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٢٧/٢ ، رقم الترجمة : ٩١٨ .

(٣) النرجيني ، مصدر سابق ، ٣١٢/٢ . الشماخي ، مصدر سابق ، ١٤٨/١ - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٤٢٧/٢ ، رقم الترجمة : ٩١٨ .

(٤) بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٣١٥/١ .

(٥) النرجيني ، مصدر سابق ، ١٩/١ - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٤٢٧/٢ ، رقم الترجمة : ٩١٨ .

٧٨٧م - ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) - ثارت في عهده المعتزلة وقامت ببعض الفلاقل والفن ، وقد كان فيهم - أي المعتزلة - شاب شجاع مقاتل أعين الفرسان أمره ، وهو ابن أمير المعتزلة ، وفيهم كذلك مناظر متكلم ، حتى الإمام عبد الوهاب - مع جلالة علمه - لم يتمكن من تفهيد شبهه !

عندما رأى الإمام عبد الوهاب ذلك أرسل إلى أهل نُفُوسَة يطلب منهم إمداده بجيش عرمرم يكون فيه رجل مناظر عالم بفنون الرد على المخالفين ، ورجل عالم بفنون التفسير ، ورجل فارس شجاع مبارز ، فلما وصلت رسل الإمام إلى نُفُوسَة ، تشاوروا فيمن يرسلونه للإمام ، واتفق رأيهم جميعاً على أن يعينوا له بأربعة نفر : أحدهم مهدي الويلوي ليتولى أمر مناظرة عالم المعتزلة ، وأيوب بن العباس (حي : ٢٠٤هـ / ٨١٩م) لمبارزة فارس المعتزلة ، ومحمد بن يانس الدركلي القُفُوسِي عالم النضر (ط ٥ : ٢٠٠ - ٢٥٠هـ / ٨١٥ - ٨٦٤م) ، وأما الرابع فقليل أن اسمه محمد أبو محمد (ق : ٣هـ / ٩م) ، وقيل أبو الحسن الأبهلاني (ق : ٣هـ / ٩م) ^(١).

ولما وصل الوفد إلى العاصمة الرسمية تَهَرَّت ، أعلمهم الإمام بالمناظرة التي دارت بينه وبين العالم المعتزلي ، وعرضها عليهم ، فجعل يذكر سؤال كل واحد منهما وجواب الآخر ، فكان الشيخ مهدي كلما وجد من كلام المعتزلي حيدة قال : يا أمير المؤمنين زاغ في الحجة ، وزاغ في الحجة ، حتى أطلع الإمام على جميع ما ليس فيه المعتزلي ، ومواضع حيداته ، فوثق الإمام بأن مهدياً سيقطر بالمعتزلي ^(٢).

ويذكر أن مهدياً لما صار يتَهَرَّت جعل يغيب عن أصحابه أياماً لا يدرون له مستقراً ، فلما كان ذات ليلة قدم عليهم ، فقالوا له : قد استبطناك فقيم كان مغيبك ؟ فقال لهم : إني قد رددت إلى مذهب الحق سبعين عاماً من أهل الخلاف ^(٣).

ولما حان موعد اللقاء بين الإباضية والمعتزلة ، واصطفت الصفوف سأل المعتزلة الإباضية المناظرة ، فخرج مهدي للمناظرة ومعه جماعة من أصحابه ، وخرج عالم المعتزلة من الجانب الآخر ، وقد كان المعتزلي قبل ذلك أرسل إلى الشيخ مهدي في خفية إن أتا ناظرتك لظفرت بي سترت

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٠١ - ١٠٢ - الدرر الجني ، طبقات المشايخ ، ٥٧/١ - ٥٨.

(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ - الدرر الجني ، مصدر سابق ، ٦٠/١.

(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ - الدرر الجني ، مصدر سابق ، ٦٠/١.

علمي ، وإن ظفرت بك سرت عليك ، فليس منا أحد يدري لمن يكون الظفر ؛ فأرسل مهدي إلى أصحابه أن علامة ظفري بالمعتزلي أن أنزع القلنسوة عن رأسي ، وأضعها تحت ركبتي ...^(١) .

ثم تناظرا وجرت بينهما وجوه من المناظرة والناس يعلمون ما يقولون ، فلم يظفر أحد بصاحبه ، ثم دخلا في مناظرات لم يفقهها أحد غير الإمام عبد الوهاب ، ثم دخلا في وجوه لم يفقهها أحد حتى الإمام ، فظفر الشيخ مهدي بالمعتزلي وألقى القلنسوة تحت ركبته ، فكبر أصحاب مهدي ، فلما رأى المعتزلي ذلك قال غدرت يا مهدي ، فافترقا وقد نصر الله مهديا^(٢) .

وبارز بعد ذلك فارس المعتزلة مع أيوب بن العباس ، فظاهر أيوب بعدم الخذاقة في ركوب الفرس ، فصحك منه عامة القريتين ، فقال زعيم المعتزلة أبو الفتح المعتزلي : " هيهات ، الآن جاء من يقتل ابني ، أفلا ترون فرسه حين ركه كيف أدنى واسترسل ؟! ولا يفعل الفرس ذلك إلا تحت الفارس الحاذق الممارس " ^(٣) ، وبالفعل صدق زعيم المعتزلة ، فكان الظفر لأيوب وقتل الفارس المعتزلي ؛ ثم التحم الجيشان ، فكان النصر للإمام عبد الوهاب رحمه الله تعالى^(٤) .

ويذكر عن الشيخ مهدي أنه كان يقول : حدث الله علي ثلاث ، واحدة أنني إذا قُدم إليّ الطعام ما أبالي أي طعام كان ، فإني أقضي منه حاجتي ، والثانية إذا أخذت غفوة من النوم اجتزيت بها ، والثالثة لست أعترف بخالفنا على نفسي أن يغلبني في حجة إلا إن ركنت في دين الله^(٥) .

وقد كان رحمه الله يمتلك أرضا زراعية يعمل فيها بنفسه وزوجته ، وكان زاهدا في متاع الدنيا طالبا للآخرة ، فيروى أن له ابن خالة اسمه فرج طالبا للآخرة من غير إعراض عن الدنيا ، فاختصما يوما بتَّهَرَّت عند الإمام عبد الوهاب ، فقال مهدي : يا أمر المؤمنين إن ابن خالتي قد شغله دنياه حتى كاد يضر بآخروته ، فقال فرج : إن هذا قد شغله رفض دنياه حتى كاد يضر بآخروته ، فأعرض عنهما الإمام ودعا لهما بالخير ؛ فلما توجه الإمام إلى جبل نُقُوسَة أصابه مطر بين منازل نُقُوسَة ، فقصده دار مهدي فوجدها دار عابد زاهد ليست له رغبة في الدنيا ، فلم يجد بها ما ينقي عن نفسه القطر ، فرغب إليه فرج وسأله انتقال الإمام ومن معه إلى داره ، وأعلمه أن ذلك

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - الدرر الجني ، طبقات المشايخ ، ١/١ - ١١ - ٦٢ .

(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - الدرر الجني ، مصدر سابق ، ١/١ - ٦٢ - ٦٢ .

(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٠٩ - ١٠٩ - الدرر الجني ، مصدر سابق ، ١/١ - ٦٢ .

(٤) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ - الدرر الجني ، مصدر سابق ، ١/١ - ٦٢ - ٦٢ .

(٥) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ - ١٠٧ .

أرفق بالإمام لما هو فيه من اليسار ، فأجاب سؤاله ، فخرجوا إلى دار فرج ومهدي معهم فوجدوها دار ذي نعمة وبسطة ، وسعة رزق ، فأخرج فرج لكل واحد منهم ثيابا جديدة لم يصبها المطر ، وفرش فرشاً ولثيرة ، وأحضر أطعمة حافلة ، وأظهر لهم من صفوف البر ما استحسنته الإمام ، فقال الإمام عبد الوهاب للشيخ مهدي : الآن خصمك فرج فيما اختصمتا ، وبأن أن حجته قامت على حجبتك ^(١) .

وقد أتى عليه الدرجيني فقال : * ... هو المقوم في علم الجدال ، الذي له اليد العليا في البرهان والاستدلال ، وهو احتج على إمكان الممكن واستحالة الخصال ، وعلى الفرق بين الحرام والحلال ... الراوع لقيام أهل البدع والضلال * ^(٢) .

وقد استشهد الشيخ مهدي - رحمه الله - في حصار الإمام عبد الوهاب لمدينة طرابلس سنة ١٩٩٦م / ٨١١هـ ، وذلك أنه خرج من المسكر إلى شاطئ البحر لرآه أهل المدينة فسبحوا إليه وتولوه وقطعوا رأسه وعلقوه على سور المدينة والله المستعان ^(٣) .

وينبغي التنبيه على وجود شخصية إباضية أخرى تحمل نفس اسم الشيخ مهدي وكذلك من قرية ويلو ، وكان كذلك من أهل العلم والمناظرة ، إلا أنه متأخر عن الشيخ مهدي الأول بقرن ، حيث إنه ظهر في القرن الثالث الهجري وكان معاصراً للشيخ غفرس بن فتح الثَّقُوسِي (ت : ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) وقرينه له ، وقصتهما أي الشيخ غفرس ومهدي الثاني في مناظرة نفاث بن نصر مشهورة ^(٤) ، ومهدي الثاني هذا له كتاب باللسان البربري يرد فيه على أباطيل نفاث ، ويعتبر هذا الكتاب أقدم كتاب إباضي بالبربرية ألف ثرا ^(٥) .

^(١) مقرين بن محمد البنطوري ، سير أهل نفوسة (مخ) ، ص ٧٥-٧٦ . أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١١٢-١١٣ .

الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٦٤/١-٦٥ . الشماخي ، السير ، ١١٩/١-١٢٠ .

^(٢) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٣١٢/٢-٣١٤ .

^(٣) البنطوري ، مصدر سابق ، ص ٧٦ . أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١١٦ . الشماخي ، مصدر سابق ، ١٥٠/١ .

^(٤) ورد في بعض المصادر أن جماعة اجتمعت في " تبتين إزدرشل " لطلب العلم ، وفيهم أبو نصر التميمي ، وكان هو المفتي ، وفيهم نفاث بن نصر وهو يلقب عليهم من الممائل العويصة ما لا يفهمون ، فأقبل مهدي وعصرون ، فسكت نفاث ، فقال أبو نصر : " الآن جاء الضالوكان للذان يحزران الحي من الذئب ، وأما جررة أبي نصر فتدبح على الخنم وتتهزم " (انظر : الدرجيني ، مصدر سابق ، ٣١٤/٢ . الشماخي ، مصدر سابق ، ١٤٩/١ ، ١٩٩/٢-٢٠) .

^(٥) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٣١١/٢ . بحار وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ٤٢٧/٢ ، رقم الترجمة : ٩١٨ .

والحقيقة أن أغلب المصادر خلطت بينهما فلم تفرق بين الشخصين ، عدا مصدر واحد أشار إلى وجود الفرق وهو كتاب السير للشماعي ، فالشماعي يذهب إلى أن مهديا الويلوي صاحب الشيخ غمروس والمناظر لفات هو غير مهدي الويلوي صاحب الإمام عبد الوهاب ومنجد تَهَرَّتْ ، فقال بعد أن ذكر قصة مناظرة غمروس ومهدي لفات : " ... والصواب أن هذا غير مهدي المعاصر للإمام [يقصد الإمام عبد الوهاب] لأنهما متاخران أعني مهديا وغمروسا ... " (١) .

ومستند الشماخي في التفريق بينهما أن مهديا صاحب الإمام عبد الوهاب مات سنة ١٩٦هـ / ٨١١م ، ومهدي صاحب غمروس عاش في القرن الثالث الهجري (٢) .

إلا أن هناك من تعقب الشماخي فيما ذهب إليه ، وهو الباحث محمد حسن - محقق كتاب السير - فقد ذهب إلى أنهما الشخص نفسه ، وأن الشماخي أخطأ فيما ذهب إليه بسبب اعتماده على مراجع مختلفة ومتباينة ، وهذا نص كلامه : " ذكر الشماخي شخصين تحت هذا الاسم : مهدي المتكلم الويلوي الأول صاحب الإمام عبد الوهاب توفي سنة ١٩٦هـ ، والثاني عاش في القرن الثالث ، ولا شك أن هذا الخطأ مصدره اعتماد الشماخي على مراجع مختلفة ومتباينة ، فقد ذكر اعتمادا على كتاب سير مشايخ نفوسة للبطوري أن مهديا المتكلم توفي سنة ١٩٦هـ ، بينما يورد الدرجيني (طبقات ، ج ٢ ، ص ٣١٣) نفس العلم ضمن رجال الطبقة الخامسة (٢٠٠هـ / ٢٥٠هـ) . مما يفسر هذه التفرقة الخاطئة للشماعي بين شخصين يحملان نفس الاسم ، لاسيما أن الرواية التي ذكرها مباشرة بعد هذه الفقرة جاءت في الدرجيني (طبقات ، ج ٢ ، ص ٣١٤) خاصة بمهدي الويلوي ، صاحب الإمام عبد الوهاب " (٣) .

والحقيقة أن ما ذكره الباحث محمد حسن من أن الشماخي وقع في خطأ فيما ذهب إليه مرده اعتماده على مراجع مختلفة ومتباينة ، الظاهر - من وجهة نظري - أنه يحتاج إلى إعادة نظر ، وذلك أننا إذا تأملنا كلام الشماخي بدقة نجد أنه بين سبب ترجيحه كون مهدي الأول صاحب

(١) الشماخي ، السير ، طبعة وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان ، ١٤٩/١ ، ١٩/٢ .

(٢) الشماخي ، مصدر سابق ، ١٩/٢ .

(٣) الشماخي ، السير ، تج : محمد حسن ، كلية الآداب العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، شركة أوربوس للطباعة ، تونس ، ١٩٩٥ ، ص ٢٨٥ ، هامش المحقق .

الإمام عبد الوهاب مختلف عن مهدي الثاني صاحب غَمُوس ، فقد ذكر أن مهديا الثاني وغَمُوسا متأخران عن الإمام عبد الوهاب ^(١) ، هذا دليله الأول ، ودليله الثاني كون مهدي الأول صاحب الإمام عبد الوهاب مات في سنة ١٩٩٦هـ / ٨١١م ، وأن مهديا الثاني كان في القرن الثالث الهجري ^(٢) ، إذا لابد من وجود مهدي آخر غير الأول صاحب غَمُوسا وكانت له مناظرات مع لُقَات ، والظاهر أن ما ذهب إليه الشماخي هو الصحيح ، وذلك أن مهديا الأول صاحب الإمام عبد الوهاب استشهد في سنة ١٩٩٦هـ / ٨١١م أثناء حصار الإمام عبد الوهاب لمدينة طرابلس ^(٣) .

ونُقَات ظهر في القرن الثالث الهجري في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب ، وليس في عهد الإمام عبد الوهاب ، فقد كان نُقَات من طلاب الإمام أفلح ^(٤) ، والإمام أفلح حكم من سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٣م إلى ٢٥٨هـ / ٨٧١م ^(٥) ، وقد عُدَّه التُّرَجِمِي في الطبقة الخامسة (٢٠٠ - ٢٥٠هـ) ، وهي نفس الطبقة التي ذكر فيها التُّرَجِمِي مهديا وغَمُوسا المناظرين لُنُقَات ، إلا أنه لم يفرق بين مهدي الأول ومهدي الثاني ^(٦) .

كذلك فإن الشيخ غَمُوس ولد في أواخر القرن الثاني فيما يقارب سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م ، وبالتالي سيكون عمره عند وفاة مهدي الأول ست سنوات تقريبا ، ومن هو في مثل هذه السن لا يستطيع الخوض في غمار المناظرات ، أما إذا أتينا إلى القرن الثالث فإن الشيخ غَمُوسا سيكون قد بلغ من السن ما يؤهله للمناظرة ، والخوض في علم الكلام .

إذا فالذي يظهر أن مهديا الويلوي المناظر لُنُقَات مع الشيخ غَمُوس هو غير مهدي الويلوي صاحب الإمام عبد الوهاب ، فلعله مجرد تشابه في الأسماء أدى إلى هذا الخلط بينهما في المصادر ، والحقيقة أن جميع المصادر والمراجع التي وقعت بين يدي لم تفرق بينهما وعدتُهما شخصية واحدة ،

(١) الشماخي ، المصدر ، طبعة وزارة التراث والثقافة بسلطنة صنف ، ١٤٩/١ .

(٢) الشماخي ، مصدر سابق ، ١٩/٢ .

(٣) الشماخي ، مصدر سابق ، ١٥٠/١ ، ١٩/٢ - الببطوري ، سير أهل نفوسة (مخ) ، ص ٧٦ - الباروني ، الأزهار ، ١٤٥/٢ - بحار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٢٧/٢ ، رقم الترجمة : ٩١٨ .

(٤) الدرجيني ، طبقات الشافعي ، ٧٨/١ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٦٧/١ ، ١٨٤ - بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ٦١/٢ ، رقم الترجمة : ١١٦ ، ٣٣٨/٢ ، رقم الترجمة : ٧٣١ .

(٥) بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ٦٠/٢ ، رقم الترجمة : ١١٦ - بحار ، الفتوة الرسمية ، ص ١٢٠ ، ١٢٢ .

(٦) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢٩١/٢ ، ٣١٤ .

عدا الشماخي صاحب السر فقد تنبه لهذا الخلط وفرق بينهما ، والظاهر أن ما ذهب إليه هو الصحيح ، والله أعلم .

(٣)

الْعَلَّامَةُ مُحَكَّمُ بْنُ هُوْدِ الْهُوَّارِي

قَاضِي (تَيْهَرْت)

الشيخ العلامة مُحَكَّم بن هُود الهُوَارِي قَاضِي (تَيَهَّرَت) ^(١)

اعنت الدولة الرسمية (١٦٠هـ / ٧٧٦م - ٢٩٦هـ / ٩٠٨م) بالقضاء ، وجعلته من أولى اهتماماتها بعد الإمامة ^(٢) ، وذلك لنشر العدل والأمن وتطبيق شرع الله تعالى ، يقول د/ إبراهيم بخاز : " وبأن القضاء في المرتبة الأولى بعد الإمامة مباشرة ، وعمل القضاة الطبقة الأولى في ترتيب الموظفين الرئيسيين من عمال الإمام وأعوانه ... " ^(٣) .

وقد كانت سلطة القضاء منفصلة عن سلطة الإمام وسلطة ولاية الأقاليم ، فلا يتدخلون في مهام القضاة ، يقول د/ بخاز حول ذلك : " وكانت سلطته منفصلة عن السلطة المركزية ، فلا دخل للإمام ولا للوأي في شؤون القاضي ، مع أنهما هما اللذان يعينه في منصبه " ^(٤) .

إن هذه العناية الكبيرة التي أولاهها أئمة الدولة الرسمية بالقضاء أبرزت لنا قضية قلَّ لهم نظير ، اتسموا بالعدل والحكم بشرع الله تعالى ، أصحاب خبرة علمية ومقدرة وكفاءة ، الأمر الذي دعا كُتَّاب السير والطبقات إلى تسجيل مآثرهم وحفظ أخبارهم وأسمائهم ^(٥) .

وفي هذا المقال ستحاول تسليط الضوء على قاضٍ برز نجمه في سماء الدولة الرسمية ، اتصف بالعلم والعدل وقوة الشخصية فلا تأخذه في الصدع بالحق لومة لائم ، يطبق شرع الله على الغني والفقير والكبير والصغير ...

إنه الشيخ القاضي مُحَكَّم بن هُود الهُوَارِي قاضي (تَيَهَّرَت) العاصمة الرسمية ، وقد وقع الخلاف في ضبط اسمه ، فيذكر الأستاذ شريقي أنه سأل بعض مشايخه ، فوجدهم يروونه بإسكان الحاء وتخفيف الكاف المكسورة أو المفتوحة (مُحَكَّم أو مُحَكِيم) ، على اختلاف بينهم ^(٦) .

^(١) نشر هذا البحث سابقاً في :

موقع الأمل المشرق (www.alam1.net) .

موقع الشبكة العمانية ، سلة الدين (www.omania.net) .

^(٢) لمزيد الاطلاع حول القضاء في الدولة الرسمية وأشير قضائياً انظر : بخاز إبراهيم بكير ، القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية ، دار البقاوت ، غُتَّان ، الأردن ، ط ١ : ٢٠٠١م ، ص ١٦٩ - ١٩٠ ، ص ٤٩٠ ، ص ٤٩٥ .

^(٣) بخاز ، مصدر سابق ، ص ١٦٩ - ١٧٠ .

^(٤) بخاز ، مصدر سابق ، ص ١٨٩ .

^(٥) بخاز ، مصدر سابق ، ص ١٨٦ .

ولقد قام الأستاذ شريقي بعملية استقراء في مختلف المصادر اللغوية وغيرها بحثا عن الضبط الصحيح لهذا الاسم ، فنوصل إلى أن الكاف في (محكم) وردت في أغلب المصادر بالتشديد المفتوح أو المكسور ، لا بالتخفيف ، ثم رجح تشديد الكاف المفتوحة معتمدا على ما ذكره أبو عبيد البكري في كتابه (فصل المقال) وهو يشرح كلمة حُكْمُ البعامة حيث قال : " وفي كتاب النسب للكلبي : قيل له محكم لأنهم جعلوه حكما وحكموه بينهم " ^(١) .

إذا فالراجع أنه مُحَكَّم بتشديد الكاف المفتوحة ، وهذا ما رجحه كذلك أصحاب المعجم بالاعتماد على ما ذهب إليه الأستاذ شريقي ، وكذلك د/ الجعيري حيث ضبط الاسم بتشديد الكاف المفتوحة ، وكذا الباحث سلطان الشيباني ^(٢) .

وقبله (الهوارى) التي ينسب إليها الشيخ مُحَكَّم من قبائل البرانس البربرية ، وقد سكنت بطوناً عدة مواطن في إفريقيا والمغرب ، حيث جاورت هُوَازَة قبيلة نُفُوسَة بجبل نُفُوسَة جنوب طرابلس الغرب ، وسكنت بطون منها بلاد الجريد جنوب الحدود الجزائرية التونسية الآن ، وسكنت بطون منها جبل أوراس ونواحيه شرق الجزائر ، وهو الموطن الذي ينتمي إليه الشيخ مُحَكَّم رحمه الله ^(٣) .

ولقد لغى الرحالة والجغرافيون بوصف جبل أوراس موطن شيخنا ، ونكتفي هنا بما قاله البكري (ق : ٥٥ هـ) واصفا الطريق من مدينة فأس إلى القَيْرَوَان حيث قال : " ومن أدنة إلى مدينة طينة مرحلتان ... ثم تمشي ثلاث مراحل في مساكن العرب وهوارة ومكناسة وكينة وورقلة ، يطل عليها وعلى ما والاها جبل أوراس ، وهو مسيرة سبعة أيام ، وفيه قلاع كثيرة يسكنها قبائل هُوَازَة ومكناسة ... وفي هذا الجبل كان مسقر الكاهنة إلى مدينة باغاية ، وهي حصن صخر قديم حوله رضى [ما حول المدينة من النواحي] كبير من ثلاث نواح ، وليس فيما

^(١) هود بن محكم الهوارى ، تصدير كتاب الله العزيز ، ج ١ ، تح : بلحاج بن سعيد شريقي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٩٩٠م ، ص ١٠ .

^(٢) الهوارى ، مصدر سابق ، ١١/١ .

^(٣) فرحات الجعيري ، البلد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الإكوان الحديثة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ١٤٤ - بحار وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٥٥/٢ ، رقم الترجمة : ٧٧٢ - سلطان بن مورك الشيباني ، الإنتاج الإباضى في علم التفسير ، الحلقة (١٣) ، مخطوط بخط المؤلف ، ص ١٠ ، وقد تم نشر هذه الحلقات في جريدة (الوطن) الثمانية بين عامي ١٤١٩هـ / ١٤٢٠هـ .

^(٤) الهوارى ، مصدر سابق ، ٨/١ .

بلي الناحية الغربية بوض ، إنما يتصل بها بساتين وغر ، ولي أرباضها فنادقها وحمامها وأسواقها ، وجامعها داخل الحصن ، وهي في بساط من الأرض غريض ، كثير المساه ، وجبل أوراس مظل عليه ... إلى أن قال : " وأهلها كلهم اليوم على رأي الإباضية " (١) .

عاش الشيخ مُحَكَّم في القرن الثالث الهجري ، وكان لا يزال حياً بين (٢٠٨ هـ / ٨٢٣م - ٢٥٨ هـ / ٨٧١م) (٢) ، وذلك أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب (ت : ٢٥٨ هـ / ٨٧١م) عينه قاضياً - كما سيأتي - على العاصمة تَبَهَّرَت في عهده (حكم : ٢٠٨ هـ / ٨٢٣م - ٢٥٨ هـ / ٨٧١م) .

فيما يتعلق بنشأة الشيخ مُحَكَّم وطلبه للعلم لجد المصادر صامدة ولا تسع بما يفيد حصول ذلك ، ولكن نلعه أخذ العلم على يد علماء موطنه أوراس ، وكذلك يحتمل أن يكون هاجر في شبابه إلى تَبَهَّرَت العاصمة الرسمية لأخذ العلم عن أئمتها وعلمائها ، فلعله أخذ العلم عن الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن (حكم ١٧١ هـ / ٧٨٧م - ٢٠٨ هـ / ٨٢٣م) .

ولقد كان الشيخ مُحَكَّم عالماً جليلاً ، وقاضياً فحلاً ، وصفه الشماخي بقوله : " ... وكان في الطبقة العليا علماً وتقى ... " (٣) ، وقال فيه الشيخ علي يحيى معمر : " ... هو شخصية من الشخصيات اللامعة التي تتهرب من الظهور وتتأد عن الأضواء ، ولكن الناس يلاحقونها ويسلطون عليها أنوارهم الكاشفة ... وقد كان مُحَكَّم منذ صغره ذكياً قوياً الخلق ، فتعلم العلم ونبع فيه ، وأنشأته أسرته المؤمنة على دين وتقوى ، فشب لا يخاف إلا الله ، ولا يرجو غير الله ، عازفاً عن الدنيا مترفها عن ملاذها وشهواتها ، مجابياً لعبيدها " إلى أن قال : " وقد عرفه الناس كما هو بعلمه وبخلقه ودينه وبشدة في الحق وتعلقه بالله فاحترموه لهذا الخلق وأحبوه من أجلها " (٤) .

بعد أن نبغ الشيخ مُحَكَّم في العلم وبلغت شهرته الآفاق ، عينه الإمام أفلح قاضياً على تَبَهَّرَت بعد وفاة قاضيتها ، الذي كان في منصب القضاء منذ عهد الإمام عبد الوهاب كما يظهر من كلام ابن الصغير حيث يقول : " وأول ما امتحنه الشراة [يقصد امتحان الشراة للإمام أفلح لما تولى

(١) الفكري ، المغرب ، ص ١٤٥ نقلاً عن : الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ٩/١ .

(٢) بحار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٥٥/٢ ، رقم الترجمة : ٧٧٢ .

(٣) الشماخي ، السير ، ١٦٧/١ .

(٤) معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٢٨ .

الإمامة [أن قاضيا من قضاة أبيه مات في أيامه فاجتمعت إليه وسألوه أن يولي القضاء من يستحق ذلك ... ^(١) .

والظاهر أن ابن الصغير لا يعرف اسم القاضي المتوفى والذي استلم منصبه الشيخ مُحْكَم ، فنجد أنه لما تحدث عن تعيين مُحْكَم قال : إن القوم قالوا له : " إن فلان ابن فلان القاضي توفي وقد أجمع رأي المسلمين ورأي الإمام عليك " ^(٢) .

إذا بعد وفاة قاضي تَهَيَّرَت قبل أهل العلم إلى الإمام أفلح يطلبون منه تعيين قاض خلفا للقاضي الأول ، فقال لهم الإمام : " اجمعوا جمعكم ، وقدموا خيركم ، ثم أعلموني به أجبره لكم وأعضده على ما يكون فيه الصلاح لكم " ^(٣) .

ولعلنا نفق وقفة مع هذه الفقرة السابقة لنستلهم منها العدل والشورى السائدين في الدولة الرسمية ، وأن أمتها لم يكونوا يستألفون بالقرارات لوحدهم ولخدمة أغراضهم الشخصية ، بل نلاحظ أن لهم مجلسا استشاريا يتكون من كبار العلماء يوكل إليهم الإمام اتخاذ القرارات المناسبة لصالح الدولة والشعب ، وليس هذا فحسب بل ويوجههم إلى اختيار من تتوفر فيه الصفات المطلوبة ، ثم بعد ذلك - كما سأتى - نلاحظ أن الإمام يناقشهم في القرار الذي أجمعوا عليه إذا رأى فيه ما لم يروه ، إلا أنه لا يجبرهم على تغييره ، بل يقرهم على إجماعهم تطبيقا للمبدأ الإسلامي العظيم ألا وهو الشورى .

وبعد مداولات بين مستشاري الإمام وقع اختيارهم على الشيخ مُحْكَم المؤازري فأخبروا الإمام أفلح بقرارهم ، فقال لهم الإمام : " وبحكم دعوتي إلى رجل كما وصفتم في ورعه ودينه ولكن هو رجل نشأ في بادية ولا يعرف لذي القدر قدره ، ولا لذي الشرف شرفه ، وإن كان ليس أحد منكم يحب أن يُظلم ولا يُظلم ، ولكن تخبون أن يُجرى فيكم الحفوق على وجهها بلا نقص لأغراضكم ولا امتحان لأنفسكم " ، فقالوا : " إنا لا نرضى لقضائنا أحدا غيره " ^(٤) .

^(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستبيين ، ص ٥٧ .

^(٢) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٥٨ .

^(٣) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٥٧ .

^(٤) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٥٧ - ٥٨ - الشماخي ، السير ، ١٦٧/١ .

وهنا نلاحظ أن الإمام أفلح نبههم إلى جوانب في شخصية الشيخ مُحَكَّم قد يكونون غفلوا عنها ، وهي كونه بالرغم من علمه وفضله وصلاحه إلا أنه رجل نشأ في بادية فتعود على حياة الجفاف ولم يتعود على حياة المدينة والحضارة ، والتي تحتاج إلى أساليب خاصة في التعامل مختلفة عن البادية ، ولا يفهم من كلام الإمام أنه يرمز إليهم ليختاروا رجلا متهاونا بدهانهم ، حيث لمجده يقول كما جاء في النص أعلاه : " ... وإن كان ليس أحد منكم يجب أن يظلم ولا يُظلم ... " ، أي أنكم من الورع والصلاح بحيث تقبلون بالحق وتسعون إليه ، ولكن تخشون أن يُجري فيكم الحق على وجهها بلا نقص لأغراضكم ولا امتحان لأنفسكم " ، أي لا يتعامل معكم بشدة وغلظة كما يتعامل مع أهل البادية ؛ يقول الشيخ علي معمر : " حين اختار الناس مُحَكَّمًا لتنصيب القضاء ورفعوا رأيهم هذا إلى الإمام ناقشهم الإمام في اختياريهم هذا وأخبرهم أن في الدولة كثيرا من الرجال لا يقولون علما ودينا وذكاء ونحريا عن مُحَكَّم ، وهم يعيشون في وسط الدولة ، ويعرفون كيف يتصرفون مع الناس في لطف ولباقة ، وأن مُحَكَّمًا في طبعه الصريح الجاف ، ومواقفه الصامدة ، وقوته في الحق ، ومعيشته في حياة البادية قد لا يلائم طابعهم المتحضرة ، وأذواقهم المرفهة الحساسة ، وسلوكهم الذي تقبده آداب المدينة وأعرافها " (١) .

بعد أن أصروا على مُحَكَّم ولم يأخذوا بنصيحة الإمام أفلح ، أقرهم الإمام أفلح على اختياريهم ، فأرسلوا رسالتين إليه ، الأولى من الإمام والثانية من العلماء ، جاء فيها : " أما بعد فقد نزل بالمسلمين أمر لا غنى لهم عن حضورك وهم منتظرون لقدومك ولا يسعك التخلف فيما بينك وبين الله عن اللحوق بهم والاجتماع معهم ليجتمع رأيك ورأيهم على ما فيه صلاح المسلمين " (٢) .

ونلاحظ في مضمون الرسالة أقم لم يذكروا له السبب في دعوته ، وذلك أنهم يعلمون إن أخبروه بإزماعهم توليته منصب القضاء لتخلف ولما استجاب لورعه وزهده في هذا المنصب (٣) .

فلما وصل رسل تَبَهَّرت إلى الشيخ مُحَكَّم وقرأ مضمون ما يحملون من رسائل ، ابتدر إلى دابة له وركبها وأخذ كسائه وعصاه ميمعا شطر تَبَهَّرت ، فلما وصلها قصد المسجد الجامع ونزل به ،

(١) معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ٣ ، ص ٤٠٤ ، ص ١٣٩ .

(٢) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستوميين ، ص ٥٨ - الشماخي ، السير ، ١٦٧/١ - ١٦٨ .

(٣) معمر ، مصدر سابق ، ج ٣ ، ص ٤٠٤ ، ص ١٣٩ .

فاحاط به علماء تَبَهَّرَتْ ، وقالوا له : " إن فلان ابن فلان القاضي توفي وقد أجمع رأي المسلمين ورأي الإمام عليك ، واعلم أنك مهما تخلفت عما دعوناك إليه كنت المسؤول عن كل دم يراق بغير حِلِّه ، وكل فرج يوطأ بغير وجهه ، فائق الله ولا تخالف الإمام والمسلمين عما دعوك إليه ، فإنك إن خالفنا أجبرناك وإن أعطنا شكرناك " (١) .

نلاحظ هنا أن علماء تَبَهَّرَتْ حاولوا إلزام الشيخ مُحْكَمَ بعدة إلزامات حتى لا يجد له مخرجا من قبول تولي القضاء ، فمن ذلك إجماع المسلمين والإمام عليه ، فإن رفض كان المسؤول عن الدماء التي ستسفك بالخرام وعن الفروج التي ستوطأ بالخرام ، بمعنى أنه يتحمل مسؤولية الجرائم التي ستقع لأن مرتكبها لم يجدوا القاضي العادل الذي يهابونه ، ثم يجبرونه أنه إن رفض فإنهم سيجبرونه على ذلك شاء أم أبى ، فماذا كان رد الشيخ مُحْكَمَ عليهم ؟

قال لهم : " إن الحق مُرٌّ ، أمرٌ من شرب الدواء ولا يُشرب الدواء إلا كرها ، وأنتم مرفهون أبناء نعم ، وغوي أحب إليكم مني وقد نصحتكم فاقبلوا نصيحتي " ؛ فحدث بينهم نقاش طويل وأخذ ورد ، ثم قال لهم : " فإذا أبيتم إلا هذا فارجعوا إلى إمامكم فأعلموه بما أعلمتم به وشارروه في أموركم " ، فقالوا : " قد فعلنا " ، فقال : " على بركة الله " (٢) .

لعمري ما أعظمه من ورع وخوف من الله تعالى ، وما أعظمه من زهد في المناصب اتصف به الشيخ مُحْكَمَ رحمه الله ١٩ ، فإن بعض أصحاب النفوس المادية التواقفة إلى تسمُّ أكبر المناصب والمراكز قد تطوّر فرحا إن عرض عليها منصب كمنصب القضاء ، وأين ؟ إنه في العاصمة ، وبعض النفوس قد تسعى بكل قوة للحصول على بعض المناصب مضحية حتى بدينها وآخرها إن كان في ذلك المنصب ما يضر آخرها ؛ ولكننا وجدنا الشيخ مُحْكَمَ ضرب بكل ذلك عرض الحائط ، ورفض المنصب على الفور ، وحاول أن يقدم ما يستطيع من الأعذار لكي لا يحصل على منصب القضاء ؛ وعندما وافق ، وافق مرغما مجبرا ، حيث إنه ذُكِرَ بالآخرة ، وبغضب الله عليه إن هو ترك منصب القضاء إذ إنه لا يوجد من العلماء من هو أجبر منه بذلك المنصب ، وعُلقَ ذنب الجرائم التي سترتكب في تَبَهَّرَتْ بقرينه إن هو تخلى ورفض القضاء ، فوافق ليس حيا في المنصب

(١) ابن الصغور ، أخبار الأنسة الرسنيين ، ص ٥٨ .

(٢) ابن الصغور ، مصدر سبق ، ص ٥٩ - الثمناضي ، المير ، ١٦٨/١ .

بل خوفاً من الله تعالى أن يؤاخذ به إن هو ترك هذا المنصب لمن هو غير جدير به ، وقد تضيع الأحكام وحقوق الناس ^(١) ...

بعد أن قبل منصب القضاء ، أنزلوه في دار القضاء واشتروا له خادماً وأجروا عليه من بيت المال قوته ، فسار فيهم السيرة التي أمثلوها منه ورجوها عنده ^(٢) .

ونذكر هنا حادثة تدل على عدله وعلى شدته في الحق ، وكذلك على تحقق توقعات الإمام الملقح من أن أهل تَهْرَتَ لم يتحملوا منهجه الشديد في تطبيق الحق مع أنهم لا يرغبون في الظلم لا بحالة ، فيذكر ابن الصغير أن أبا العباس أحمأ الإمام الملقح تنازع في أرض مع صهر الإمام الملقح ، فرفعا أمرهما إلى الإمام الملقح ، فقال لهما الإمام : " كلاكما يعز علي ولكن ارفعا إلى مُحْكَم " ، فاغتم أبو العباس كلام الملقح وبادر إلى الشيخ مُحْكَم بدار القضاء فسبق خصمه ، فلم يجد معه أحداً فاجلسه مُحْكَم بجنبه وأقبل عليه بجدله ، وفي تلك الأثناء أقبل خصمه فجلس بباب الدار ، ولم ينتبه إليه الشيخ مُحْكَم ، فلما رأى أبو العباس خصمه بباب الدار نادى على جارية الشيخ مُحْكَم يستسقيها الماء ليرى خصمه دلالة على القاضي ، فقال الخصم في نفسه : " إلى من أحاكم ؟ خصمي جالس إلى جنب القاضي ويستسقي الماء من داره ، وأنا ملقى على باب الدار لا يلتفت إلي ولا ينظر نحوي " ، فحانت من الشيخ مُحْكَم الفتاة فرأى الرجل جالسا بالباب ، فقال له : " ما بالك يا هذا وما قصدك ؟ " ، فقال : " جئت خصماً لأبي العباس فوجدته جالسا إلى جنبك فجلست موضعي هذا " ، فغضب الشيخ مُحْكَم على أبي العباس فقال : " يا أبا العباس تأتي مع خصمك فجلس إلى جنبي دونه وتستسقي الماء من داري على يد جاريتي ، يا غلام خذ بيد أبي العباس وأقعده مقعد خصمه ولا يرح ، وخذ بيد خصمه وأقعده إليّ ، ومر الجارية فلنفسه ماء " ، ففعل الغلام ما أمره به ، فخرج أبو العباس مضطرباً حتى دخل على أخيه الملقح فلما رآه ، قال له : " ما لك وما عراك ؟ " ، قال : " نزل بي من هذا الهَوَارِي الشرس الجاني ما لم يزل بأحد " ،

(١) إن هذه الصفات المماثلة التي اتصف بها الشيخ مُحْكَم ليست غريبة على الإباضية وما يتصفون به من خوف وورع وصلاح ، من ذلك مثلاً قصة أبي عبيدة عبد الحميد الجنائني الذي عينه الإمام عبد الوهاب والياً على جبل نفوسة ، فتردد في قبول المنصب وقال : " أنا ضعيف أنا ضعیف فقلت أقدر على القيام بأمور المسلمين " ، فأنصر الإمام عليه ، فاستشار عجزاً معروفة بالعلم والأدب ... الخ النصبة ، وهناك نماذج أخرى كثيرة على تواضع وزهد علماء الإباضية (انظر : أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٢٢-١٢٥ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٧٠١-٧١) .

(٢) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرسميين ، ص ٥٩ - السماخي ، السور ، ١٦٨/١ .

لفص عليه القصة ، فقال له الإمام أفلح : * يا أبا العباس قد كنت أعلمتك بهذا من قبل ، والصواب ما فعل والحق أولى أن يؤثر ، ولو فعل غير هذا لكان مدهانا * ، فوصل خبر ما فعل الشيخ مُحْكَم إلى علماء تَهْرُت فسروا بذلك واعتجوا به ^(١) .

والظاهر أن الشيخ مُحْكَم استمر في منصب القضاء طوال عهد الإمام أفلح ، حيث لا تذكر المصادر قاضيا غيره ، وأما عهد الإمام أبي بكر (حكم ٢٥٨هـ / ٨٧١م - ٢٦١هـ / ٨٧٤م) الذي خلف الإمام أفلح لم يرد / إبراهيم بن عيسى أن أبا اليقطين بن أفلح أخا الإمام أبي بكر تولى مهام القضاء وربما يكون قاضي المظالم ^(٢) ، والذي يظهر أنه كان يوجد قضاة في تَهْرُت في عهد أبي بكر إلا أن المصادر لا تذكر أسماءهم ، فنجد ابن الصغير يشير إلى وجود القضاة في سياق حديثه حيث يقول : * وكان أبو اليقطين يركب إلى أعلى مسجد في المدينة فيجلس فيه ، فمن تكلم إليه من الناس بين العمال والقضاة وأصحاب الشرطة نظر في ذلك نظرا شافيا وأجرى الحق على من رضي وسخط وعظم قدره أو صغر * ^(٣) .

فالذي يظهر أن أبا بكر كلف أخاه بشؤون الحكم في تَهْرُت فكان حاكما أكثر منه قاضيا ، ويظهر ذلك من كلام ابن الصغير حيث يقول : * ... وكان أبو بكر يحب اللذات ويميل إلى الشهوات فصرف النظر في المدينة وأحوالها إلى أخيه أبي اليقطين ... * ^(٤) .

وبعد أن استلم الإمامة أبو اليقطين (حكم ٢٦١هـ / ٨٧٤م - ٢٨١هـ / ٨٩٤م) عين أبا عبد الله محمد بن عبد الله قاضيا على تَهْرُت ، ثم عين شعيب بن مدعان بعد استقالة أبي عبد الله من القضاء ^(٥) .

وفيما يتعلق بوفاته الشيخ مُحْكَم فإن المصادر لا تذكر شيئا يفيد هذا الخصوص ، إلا أننا نلاحظ أن المصادر لا تذكره في الأحداث التاريخية بعد وفاة الإمام أفلح (ت : ٢٥٨هـ / ٨٧١م) فهل توفي في نفس الفترة ؟ أم هل اعتزل القضاء وعاد إلى أوراس بعد وفاة الإمام أفلح ؟ الله أعلم .

^(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٥٩ - ٦١ - للشماسي ، السيرة ، ص ١٦٨ .

^(٢) بحر ، القضاء في المغرب ، ص ٤٩٠ .

^(٣) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .

^(٤) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .

^(٥) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٨٨ ، ٩٠ - بحر ، مصدر سابق ، ص ٤٩٠ .

(٤)

الْعَلَّامَةُ هُودُ بْنُ مُحَكَّمِ الْهُوَّارِي
مُفَسِّرُ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ

الشيخ العلامة المفسر هود بن مُحَكَّم الهُوَارِي^(١)

هو الشيخ العلامة المفسر هود بن مُحَكَّم بن هود الهُوَارِي^(٢) ، وقد اكتفت جميع المصادر التي ولفت عليها بذكر اسمه واسم أبيه وقبيلته ، إلا ما وجدته من ذكر اسم جده (هود) في مقدمة تفسير كتاب الله العزيز من قبل محققه الباحث الأستاذ بالحاج شريفي ، حيث ذكر أنه نقل ذلك عن الشيخ علي يحيى معمر في رسالة خاصة كتب لها إليه الشيخ علي يحيى معمر من دون أن يذكر المصدر الذي اعتمد عليه ، وذكر أن العهد بالشيخ علي معمر استقاء معلوماته من مصادر موثوق بها ، وهو كذلك ؛ وأضاف أنه بهذا يكون الشيخ مُحَكَّم الهُوَارِي سمي ابنه هودا باسم أبيه ، وهذا ما لجده كثيرا في الأنساب^(٣) .

وينتسب الشيخ هود إلى قبيلة (الهُوَارِي) وهي من قبائل البرانس البربرية^(٤) ، وأما موطن الشيخ هود فهو جبل (أوراس) شرق الجزائر^(٥) .

هذا ولم تحدد المصادر العام الذي ولد فيه الشيخ هود ، ولكن يقدر أنه ولد في العقد الأول أو الثاني من القرن الثالث الهجري (٢٠٠ هـ / ٨١٥ م - ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م)^(٦) .

^(١) نشر هذا البحث سابقا في :

جريدة الوطن ، سلطنة عمان ، الجمعة ١٥ من ربيع لثاني ١٤٢٥ هـ / ٤ من يونيو ٢٠٠٤ م ، العدد (٧٦٦٦) ، السنة ٢١ ، على هذه الوصلة :

<http://www.alwatan.com/graphics/٢٠٠٤/٠٦jun/٩٠٦/dailyhtml/deen.html>

موقع الأمل المشرق (www.alaml.net) .

شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhuyah.net) .

موقع الشبكة العمانية ، مجلة الدين ، (www.omania.net) .

^(٢) الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ٨/١ - الهواري ، الفواهر المنققة (مخ) ، ص ٢١٩ - لدرجيني ، طبقت المشايخ ، ٣٤٥/٢ ، ٣٩٨ - ٣٩٩ . الشماخي ، السير ، ٥٩/٢ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٤٣/٢ ، رقم الترجمة : ٩٦٦ - الشهباني ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٣) ، ص ١ .

^(٣) الهواري ، مصدر سابق ، ٨/١ الهامش .

^(٤) لمزيد تفصيل عن قبيلة الهُوَارِي انظر مقال (قلنسي تهرت) المقل رقم (٢) من هذا الكتاب .

^(٥) الهواري ، مصدر سابق ، ١٢/١ - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٤٤٣/٢ ، رقم الترجمة : ٩٦٦ - سليمان داود بن يوسف ، مصاحفة علماء الإباضية في علم التفسير والحديث والفقه واللغة ، مطبعة أبو داود ، ١٩٩٢ م ، ص ٢٥ - عمرو خليفة التلمسي ، دراسات عن الإباضية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ٢٠٠١ م ، ص ١٢٢ - الشيباني ، مصدر سابق ، الحلقة (١٣) ، ص ١ .

ووالد مفسرنا هو الشيخ مُحَكَّم بن هود المُوَارِي، كان عالماً جليلاً، وقاضياً فحلاً، عنه الإمام المُلح قاضياً على تَبَهَّرَت عاصمة الدولة الرسمية، وقد تناولنا الحديث عنه بالتفصيل في المقال رقم (٣) من هذا الكتاب.

وقد خلط بعض الباحثين بين الشيخ هود ووالده، فوجد الشيخ الجعيري يذكر أن هوداً هو قاضي الإمام عبد الوهاب^(١)، والصحيح أن مُحَكَّمًا هو القاضي، وكذلك هو ليس قاضياً للإمام عبد الوهاب كما يذكر الشيخ الجعيري بل لابنه الإمام المُلح، ونجد الشيخ سليمان بن يوسف يذكر كذلك أنه كان قاضياً للإمام عبد الوهاب^(٢)، ووقع أصحاب المعجم في هذا التناقض فنجدهم في ترجمة الشيخ هود يذكرون أن الشيخ مُحَكَّمًا كان قاضياً للإمام عبد الوهاب، وفي ترجمتهم للشيخ مُحَكَّم يذكرون أنه كان قاضياً للإمام المُلح^(٣).

في أحضان هذا العالم الجليل والقاضي الفحل تربى مفسرنا، فوضع لبانة العلم منذ نعومة أظفاره، فالظاهر أنه أخذ العلم أول ما أخذ على يد والده الشيخ مُحَكَّم، يقول الشيخ علي يحيى معمر: * «وُلِدَ مُحَكَّم وَلَهُ سَمَاءُ هودا، رباه على الإسلام، وأنشأه على تقوى الله ودربه على المعارف الإسلامية منذ صغره، فاستمر في الدراسة حتى أصبح عالماً من الأعلام ... »^(٤)، وهذا ما مال إليه الباحث شريفي حيث قال: * «... والذي يبدو لنا أنه يكون قد أخذ العلم أولاً في مراتع طفولته ومرايع صباه عن والده، بعد حفظه لكتاب الله ... »^(٥)، وكذلك نجد أصحاب المعجم يذهبون إلى ذلك^(٦).

والظاهر أنه استمر فترة ليست بالقصيرة في بلده - كما يرى الباحث بالحاج شريفي - يتغفله في مجالس العلم وحلقات الدروس التي كانت تعقد بالمساجد في القرى الجبلية أو في البوادي تحت الحيام^(٧)، وهذا ما مال إليه الباحث سلطان الشيباني كذلك^(٨).

(١) الجعيري، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية، ص ١٤٤ - فريجات الجعيري، نظام العزابة عند الإباضية الوهبية في جربة، المعهد القومي للآثار والفنون، المكتبة التاريخية، تونس، ١٩٧٥م، ص ٢٧٢.

(٢) سليمان داود، حلقت من تاريخ المغرب الإسلامي، ص ١٥٨.

(٣) بحث وأخرون، معجم أعلام الإباضية، ٣٥٥/٢، رقم للترجمة: ٧٧٢، ٤٤٣/٢، رقم للترجمة: ٩٦١.

(٤) مصر، الإباضية في موكب التاريخ، المجلد الثالث: الحلقة (٤)، ص ١٤٢.

(٥) الهواري، تفسير كتاب الله للقرآن، ١٢/١.

(٦) بحث وأخرون، مصدر سابق، ٣٥٥/٢، رقم للترجمة: ٧٧٢، ٤٤٣/٢، رقم للترجمة: ٩٦١.

(٧) الشيباني، الإنتاج الإباضي في علم التفسير، الحلقة (١٣)، ص ١.

وقد ذهب الباحث شريفى إلى عدم استبعاد كون الشيخ هود هاجر إلى القفر وأن تَهَيَّرَت لطلب العلم ، فوجود هذين المركزين جدير بأن يشد انتباه طالب العلم الناشئ الطموح ، وأن يستحث همه فبروي وجهه شطريهما لينهل منهما ما يشبع فمه العلمي ، وبروي ظمأه للمعرفة^(١) ، إذا فعلل الشيخ هودا تلمذ على يد الإمام أفلح وعلماء تَهَيَّرَت في أثناء وجود أبيه في منصب القضاء .

هذا وقد ذهب الباحث سلطان الشيباني كذلك إلى عدم استبعاد كون الشيخ هود في أواخر حياته قد رحل إلى الأندلس ، وقرأ على مشايخها وتلمذ عليهم ، وقد استند في ذلك إلى ما ذكره لطلب الأئمة في رده على العقبي حيث قال : " وإن لم تعرف الإباضية فقد عرفهم الأندلسيون إذا لرا فيهم الشيخ هود الهواري ، وقال له شيخه : لا يقبل الله ديناً يخالف ما أنت عليه " ، وقد نفرد الإمام القنطري هذه المعلومة ولم يشر إلى مصدرها ، كما يذكر الشيباني^(٢) .

إذا وبعد هذه الرحلة الطويلة التي قضاها الشيخ هود في طلب العلم عاد إلى موطنه أوراس محملاً بالعلم ، فللمع اسمه بين العلماء ، وأصبح محط الأنظار ، وكمة يقصدها طلاب العلم خاصة ليقبضوا جذوة من علومه ، والناس عامة ليتلقوا منه التوجيهات الرشيدة والرأي السديد والحل المرضي لمشاكلهم ، فيقتضي كل من قصده مأربه وينال بغيه^(٣) .

ولقد بلغ الشيخ هود من المولة والرفعة شأواً بعيداً ، فها هو الشيخ الشماخي يصفه قائلاً : " ومنهم هود بن محكم الهواري ... وهو عالم متفنن غائص ، وهو صاحب التفسير المعروف ، وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب ، بل على طريقة المتقدمين " ^(٤) .

وما يدل على المولة الرفيعة التي حظي بها الشيخ هود تلك القصة التي يرويها الشيخ أبو زكرياء في سيره حيث قال : " وذكر الشيخ ميمون بن حمودي أن هود بن محكم الهواري جاءه رجل من العزابة يستعين به على مايفك كتباً له مرهونة عند رجل من الشُّكَّار في حمة دنانير ، فدعا

^(١) الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ١٤/١ .

^(٢) الهواري ، مصدر سابق ، ١٤/١ .

^(٣) الشيباني ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، المجلد (١٣) ، ص ١ .

^(٤) الهواري ، مصدر سابق ، ١٦/١ .

^(٥) الشماخي ، السير ، ٥٩/٢ .

هود بن محكم رجلا فقال له : سر مع هذا الرجل إلى مواطن مَرَّاة ، فجاءهم وأخبرهم القصة ، وتسارعوا فيما يصنعون له ، ويجمعون له من الأموال ، فبسطوا بساطا ، فطفق الرجال والنساء يرمون فيه الدنانير والدراهم وما أمكن كل واحد منهم ، فجمع من ذلك مالا كثيرا ، للموا أطراف البساط لرفوه ، فأتوا به هود بن محكم ، فعمد الرجل صاحب الكتب إلى الخمسة دنانير فأخذها وترك الباقي ، فقال لهود : أنت أولى به يا شيخ ، فإن المؤونة عليك كبيرة فمن يقصدونك ويعتروك ^(١) ، ونجد اللرجيني يذكر نفس هذه القصة ^(٢) .

ونستج من خلال هذه القصة عدة أمور ، منها فضل علما ومولته بين قومه ، ومركزه بين أفراد قبيلة (هَوَارة) ، وعظيم مولته في قبيلة (مَرَّاة) المجاورة ، ونستج كذلك أنه أصبح مقصدا لكل مكروب ومهموم لفلح كبرته وبزبل هم ، ونستج أيضا أنه يؤمه الكثير من الناس والزوار وطلاب العلم ، وذلك من قول الرجل للشيخ هود : " فإن المؤونة عليك كبيرة فمن يقصدونك ويعتروك " ، فلا يستبعد أن يكون قد أسس مدرسة عظيمة يؤمها طلاب العلم بل ويقومون عنده يعتمدون عليه في مآكلهم ومسكنهم ، وقد كان هذا الشائع في المغرب في تلك القرون والله أعلم .

هذا وقد يتبادر إلى ذهن القارئ سؤال حول هذه القصة ، وهو كيف يمكن أن نعلل استخدام ميمون بن حودي لمصطلح (الغَزَابة) ؟ ، حيث إنه من المعلوم أن مصطلح (الغَزَابة) (و الغَزَابي) ^(٣) ظهر بعد قرن من عهد الشيخ هود ، أي في القرن الرابع الهجري ، في عهد الشيخ أبي عبد الله محمد بن بكر (ت : ٤٤٠ هـ / ١٠٤٨ م) المؤسس لنظام (الغَزَابة) ^(٤) .

^(١) يحيى بن أبي بكر أبو زكرياء ، كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، مخ : عبد الرحمن أيوب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٣١٠ .

^(٢) اللرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٩٩-٣٩٨/٢ .

^(٣) (الغَزَابة) جمع (غَزَاب) ينتج العين ، مأخوذ من غَزَبَ عن أهله انقَرَضَ عنهم ، سَمُوا بذلك لانقطاعهم إلى الله بالاشتغال بأمر دينهم وطالب العلم والزهدي في الدنيا وزخرفها ، وليس المقصود بالمصطلح عدم الزواج كما ذهب المستشرق روبلنكسي في تفسيره لهذا المصطلح ، إذ إن (للغَزَابة) يتزوجون ويكونون الأسر الناجحة كما هو معلوم من سيرتهم وواقعهم . انظر : محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ٢٧٤ . بحار إبراهيم بكير ، محاضرة نظام الغزابة وآثره في المجتمع الميزابي ، شريط سمعي ، ألقاها في منطقة عمان ولاية الصويف ، الأربعاء ٤ من محرم ١٤٢٥ هـ / ٢٥ فبراير ٢٠٠٤ م ، وقد نشرت هذه المحاضرة في الشبكة المعانية (سبلة الدين) على هذا الرابط : <http://www.omania.net/avb/showthread.php?m=١٢٣٢٢٠&page=1>

^(٤) اللرجيني ، مصدر سابق ، ١٦٧/١ بحار وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٣٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٨٠٣ .

حول هذا الجانب يرى د/ إبراهيم بخاز أن مصطلح (الفُزَّابة) ظهر بعد عهد أبي بكر محمد بن عبد الله ، إذ إن هذا النظام في عهد مؤسسه كان يعرف بنظام (الحلقة) ، ثم تطور إلى نظام (الفُزَّابة) ^(١) ، ويرى أن ورود هذا المصطلح في بعض المصادر المتقدمة - كما هو الحال مع هذه القصة عند أبي زكرياء - ربما يعود إلى تصرف من قبل المؤلفين أو من قبل النساخ ، وهناك من يرى أن مصطلح (الفُزَّابة) كان متداولاً في الوسط الإباضي قبل تفعيد أبي عبد الله لقواعده ، وكان يستخدم للتفريق بين الإباضية والثُكَّار ، وعلى هذا الرأي الباحث سلطان الشباني ^(٢) ، إلا أن د/ بخاز يستبعد ذلك ويرى أن الأمر يحتاج إلى مزيد بحث .

ولما يخص نمطه في الدين وشيوخه الذين جلس إليهم وأخذ عنهم ، فإن المصادر لا تسعف بما يفيد أو يذكر اسم أحد منهم إذا استثنينا أباه محكما ، وكذلك الأمر بالنسبة لتلاميذه الذين تلقوا عنه العلم أو تربوا على يديه ، ولقد حاول الباحث شريفي جاهداً أن يجد إشارة إلى بعض شيوخه في لنيا تفسيره فلم يعثر على أي واحد منهم ^(٣) .

وكذلك نجد المصادر صامتة فيما يتعلق بتاريخ وفاته ، ويقدر الباحث شريفي أنها كانت في العقد الثامن أو التاسع من القرن الثالث الهجري ، أي حوالي سنة ٢٨٠هـ / ٨٩٣م ، حيث إن كل من ذكره من المؤرخين وكتاب السير يؤكد أنه من علماء الطبقة السادسة (٢٥٠هـ / ٨٦٤م - ٣٠٠هـ / ٩١٢م) ، فهل أدرك نهاية الدولة الرسمية سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٨م ؟

يقول الأستاذ شريفي : " أنا أستبعد ذلك ، ولكن لا أستطيع أن أجزم بشيء في الموضوع " ^(٤) ، وعلى العموم إن لم يكن أدرك سقوط الدولة الرسمية فإنه عاش في أواخرها والله أعلم .

هذا وقد ترك لنا الشيخ هود - رحمه الله - تفسيراً جليلاً كاملاً للقرآن الكريم ، حفظته يد القدر من الضياع والاندثار عنوانه - (تفسير كتاب الله العزيز) ، ولقد قام الأستاذ الباحث

^(١) مناقشة علمية عبر الهاتف مع د/ بخاز إبراهيم بكير ، السبت ٢٥ من ربيع الأول ١٤٢٥هـ / ١٥ من مايو ٢٠٠٤م .

^(٢) مناقشة علمية عبر الهاتف مع الأستاذ سلطان بن مبارك الشيباني ، ربيع الأول ١٤٢٥هـ / مايو ٢٠٠٤م .

^(٣) الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ١٧/١ - الشيباني ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٢) ، ص ٢ .

^(٤) الهواري ، مصدر سابق ، ١٧/١ - ١٨ - الشيباني ، مصدر سابق ، الحلقة (١٢) ، ص ٢ .

بالحاج بن سعيد شريفي بتحقيق هذا السفر الثمين ، فظل يعمل فيه لما يقارب من عشرين سنة ، وقد طبع في أربعة مجلدات بدار الغرب الإسلامي .

ولقد ظل هذا التفسير أكثر من أحد عشر قرناً منسياً مفموراً إلى أن ظهرت مخطوطاته المنفرقة في بعض الخزائن الخاصة ، موجودة في مدن وادي ميزاب بالجزائر ، وجزيرة جربة بتونس ^(١) .

ونجد أن المصادر الإباضية المتقدمة أشارت إلى هذا التفسير قبل أن يتم اكتشافه ، فقد أشار إليه أبو زكرياء (ق : ٥٥ هـ) في سيرة حيث قال : * وذكر أن رجلين اختصما على تفسير هود بن محكم الهواري حتى بلغ تشاجرهما قبيلتهما ، وحتى كادت الثورة تقوم بينهما ، وتصاف الفريقان ، وكاد الشرى يقع بينهما ، فلما رأى ذلك أبو محمد جمال ، نزع المصحف (التفسير) من بينهما ، فقسمه نصفين ، فوافق قرطاسا بين النصفين لم يكتب ، وأعطى لكل نصفاً ، وزال الشر واصطلحوا * ^(٢) .

وكذلك نجد الشرجيني (ق : ٧٥ هـ) أشار إليه ، فذكر هذه القصة وزاد بتفصيل أكثر وزاد عليها أن الشيخ أبا محمد جمال قال لهما : من شاء منكما الآن إكمال الكتاب فليسخ النصف الذي فاتته ^(٣) .

وذكره البرادي (ق : ٩٥ هـ) في جواهره حيث قال : * ومن تأليف أصحابنا أهل المغرب التفسير الذي هود بن محكم الهواري في سفرين كبيرين * ^(٤) ولم يذكر هل رآه أم لم يره ، والمراجع أنه رآه لأنه عادة يشير إلى الكتب التي لم يرها كقوله مثلاً : * وكتاب الشيخ أبي الربيع سليمان بن يخلف في الكلام مجلدان الأول والثاني ، لم ألق على الأول * ، وكقوله مثلاً : * ويذكرون كتاب أبي عمران موسى بن أبي زكريا ولم ألق عليه * ^(٥) .

وكذلك ذكره الشماخي (ق : ١٠٥ هـ) في سيرة ، وقد ذكر القصتين اللتين ذكرهما أبو زكرياء والشرجيني ، والظاهر أن الشماخي وقف على التفسير واطلع على محتواه حيث قال كما مر علينا سابقاً : * ومنهم هود بن محكم الهواري ... وهو عالم مطن غائص ، وهو صاحب التفسير

^(١) الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ٥/١ .

^(٢) أبو زكرياء ، كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، تب : عبد الرحمن أيوب ، ص ٣٥٩ .

^(٣) الشرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٤٥/٢ - ٣٤٦ .

^(٤) البرادي ، للجواهر المتقدمة ، ص ٢١٩ .

^(٥) البرادي ، مصدر سبق ، ص ٢٢٠ .

المعروف ، وهو كتاب جليل في تفسير كلام الله لم يتعرض فيه للنحو والإعراب ، بل على طريقة المتقدمين ^(١) .

هذا وإن أقدم نسخة المخطوطة تعود إلى القرن ١١هـ ، وللشيخ محمد بن عمر بن أبي سة الغنشي (ق : ١١هـ) حاشية على تفسير الشيخ هود لم يتمها ، ورجع إليه الشيخ إبراهيم بن بهيخان في تفاسيره (ق : ١٣هـ) ، وكذلك قطب الأئمة محمد اطفش (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) في (تيسر التفسير) وفي (هيمان الزاد) وفي (شرح النبل) ، وكذلك الشيخ صالح نعمي (ق : ١٤هـ) في تفسيره (القول الوجيز) ^(٢) ، وذكره الإسماعيلي (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) في (اللمعة المرضية) ^(٣) ، وذكره الشيخ أبو إسحاق اطفش في تقديمه لكتاب (الوضع) للشيخ الجناوني ^(٤) ، وذكره د/ محمد حسين الذهبي (ت : ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) في كتابه (التفسير والمفسرون) ^(٥) ، وذكره الشيخ سليمان بن يوسف (ت : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) في كتابه (حلقات من تاريخ المغرب) و(مصاحبة علماء الإباضية) ^(٦) ، وأشار إليه د/ عمرو النامي في كتابه (دراسات عن الإباضية) ^(٧) ، وذكره صالح باجي في كتابه (الإباضية بالجريد) ^(٨) ، وذكره د/ بنّاز في كتابه (الدولة الرستمية) ^(٩) ، وذكره الباحث الأستاذ علي أكبر ضيائي في كتابه (معجم مصادر الإباضية) ^(١٠) ، وغيرهم من الباحثين المعاصرين .

(١) السماخي ، السير ، ٥٩/٢ .

(٢) الشاذلي ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٣) ، ص ٣ .

(٣) عبد الله بن حميد الصالمي ، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ، وزارة التراث والثقافة ، مطبعة عمان ، ط ٢ : ١٩٨٣م ، ص ١٩ .

(٤) وهي بن أبي الخير الجناوني ، كتاب الوضع ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، مطبعة عمان ، ط ٢ ، ص ١٠-١١ مقدمة الفصح أبي إسحاق إبراهيم اطفش .

(٥) شاذلي ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٢) ، ص ٢ .

(٦) سليمان بن يوسف ، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي ، ص ١٥٨-١٥٩ ، سليمان بن يوسف ، مصاحبة علماء الإباضية ، ص ٢٥ .

(٧) النامي ، دراسات عن الإباضية ، ص ١٢٢ .

(٨) صالح باجي ، الإباضية بالجريد في المصور الإسلامية الأولى ، دار بوسلامة ، تونس ، ط ١ : ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ، ص ٥٥ .

(٩) بعلل ، الدولة الرستمية ، جمعية التراث ، ص ٣٠١ .

(١٠) علي أكبر ضيائي ، معجم مصطلح الإباضية ، مؤسسة الهدى ، طهران ، إيران ، ط ٢ : ١٤٢٤هـ ، ص ٢٠١ .

ولقد حاول عدد من أهل العلم التصدي لطباعة هذا السفر الثمين بعد اكتشافه ، والظاهر أن محاولاتهم لم يكتب لها النجاح إلى أن بسر الله تعالى خروجه إلى النور على يد الأستاذ بالحاج شرفي وطبع طبعته الأولى في سنة ١٤٦٠هـ / ١٩٩٠م بدار الغرب الإسلامي كما ذكرنا في أربعة مجلدات ضخام .

ومن حاول طباعته الشيخ أبو إسحاق إبراهيم اطفيش في منقاه بمصر ^(١) ، فظلت إحدى مخطوطاته معه لسنوات عديدة ، ولما تعذر تحقيقها وطباعتها رجع لها الشيخ ناصر المرموري إلى مدينة (القفزة) بميزاب سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٥م ^(٢) .

وكذلك حاول الشيخ سليمان بن يوسف طباعته ، إلا أنه كذلك لم يوفق ، والذي يظهر أن الشيخ سليمان بن يوسف هو من اكتشف مخطوطات تفسير هود بن مُحْكَم ، أو ممن اكتشف بعض مخطوطاته ، حيث يقول : " ... والحمد لله أنني وجدت نسخة من هذا التفسير [يعني تفسير هود بن مُحْكَم] في خزانة جدي الشيخ أحمد بن أيوب كتب في آخرها " جلت في البلاد كثيرا بحثا عن التفسير فوجدت نسخة ببلد أربع ممرشة فعبت في نسخها ولا تزال تحتاج إلى تصحيح أرجو ممن تمكن أن يزيد ، أن يزيد في تصحيحها وله الأجر " فعزمت أنا على تقديم هذا التفسير الجليل للطباعة فوجدت جزءا في خزانة قطب الأئمة الشيخ اطفيش ، وجزائري في خزانة الشيخ بلحاج بالقرارة ، وجزءا بتونس ، نسأل الله أن يوفقنا لطبعه ونشره " ^(٣) .

وهذا ليس بهرب على الشيخ سليمان بن يوسف وهو الذي كلفه رئيس جمهورية الجزائر هواري بومدين ^(٤) بمهمة التقيب عن المخطوطات الجزائرية بالخارج ، فخلص في بحثه الذي عرضه

^(١) فناء الاستعمار الفرنسي للعالم للجزائر ، فكان ذلك الذي خيرا له ولتضيعة الجزائر والمغرب ، إذ كان له دور كبير في تعريف العالم بما يحدث في الجزائر من انتهاك وفجر من قبل الاستعمار على شعوب تلك المنطقة ، وقد توفي رحمه الله في منقاه بمصر في سنة ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م ، بسبب اشتداد مرض (البروستاتا) عليه (انظر : محمد ناصر ، الشيخ إبراهيم اطفيش في جهاده الإسلامي ، مكتبة الضامري ، الميـب ، سلطنة عمان ، ط٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ١٩ - ٢٦) .

^(٢) الشيشي ، مصدر سابق ، الحلقة (١٢) ، ص ٢٠ .

^(٣) سليمان بن يوسف ، حلقت من تاريخ المغرب الإسلامي ، ص ١٥٨ - سليمان بن يوسف ، مساهمة علماء الإباضية ، ص ٢٥ .

^(٤) اسمه الحقيقي بوخرورية محمد إبراهيم ، واشتهر باسم هواري بومدين ، ولد في سنة ١٣٥١هـ / ١٩٣٢م بقرية بني عدي على بعد ١٥ كلم من مدينة قلعة بالجزائر من عائلة ريفية فقيرة ، في عام ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م قاد انقلابا على الرئيس الجزائري أحمد بن بلة فأودعه السجن وتولى الرئاسة ، وكان قبل ذلك يشغل منصب وزير الدفاع ، توفي =

على الرئاسة آنذاك إلى ثروات عظيمة من المخطوطات الجزائرية بتعين محتواها ومؤلفيها والمكتبات الأوربية التي توجد فيها^(١) ، والحقيقة أن الأستاذ شريفي لم يشر إلى الشخص أو الأشخاص الذين كانت لهم اليد البيضاء في اكتشاف مخطوطات هذا السفر الجليل .

ولقد وهم البعض وظن أن تفسر هود بن مُحَكَّم ناقص ، ومن وهم د/ محمد حسين النجدي حيث جاء بمعلومات ناقصة جدا وأحكام مجانية للحق والصواب في كتابه (التفسير والمفسرون) حول تفسر هود بن مُحَكَّم^(٢) ، والعجيب أن الشيخ فرحات الجعيري كذلك ظن أن الشيخ هودا تولى قبل أن يتم تفسر القرآن كاملا ، وأنه وصل إلى الآية (٢٣٨) من سورة البقرة^(٣) ، والصحيح أن تفسر الشيخ هود بن مُحَكَّم كامل غير ناقص ، وإنما الناقص هو الحاشية التي وضعها الشيخ أبو ستة على تفسر الشيخ هود ولم يتمها كما ذكر الأستاذ شريفي فوقع الخلط والوهم عند بعض الباحثين^(٤) .

وأخيرا وقبل اختتام ينبغي التنبيه أن تفسر الشيخ هود بن مُحَكَّم إنما هو عبارة عن اختصار لتفسير آخر سبقه بقرن من الزمان ، وهو تفسر يحيى بن سلام المصري (ت : ٢٠٠هـ / ٨١٥م) ، وقام الشيخ هود بالزيادة عليه وإبراز آراء الإيضاحية في بعض القضايا ، وتذكر المصادر أن ابن سلام هاجر إلى القَيْرَوَان وأخذ الناس عنه تفسره ومنهم ابنه محمد وتلميذه أبو داود العطار ، فذكر الأستاذ شريفي أنه ربما يكون الشيخ هود هاجر إلى القَيْرَوَان وأخذ تفسر ابن سلام مباشرة عن محمد بن يحيى بن سلام ، أو ربما يكون أخذه عن أبي داود العطار^(٥) .

وتكمن القيمة العلمية لتفسر الشيخ هود بن مُحَكَّم - كما يرى الأستاذ شريفي - أن الشيخ هودا تعقب ابن سلام في القضايا التي تتعارض مع العقيدة الصحيحة ، فبين الصواب ولم يأخذ تفسر ابن سلام على علاته وهناته ، وكذلك لأن تفسر الشيخ هود يعد بحق أول مختصر لتفسير

= إلى مرض مفاجئ في سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٨م . انظر : هوارى بومدين أكبر مساند لجبهة البوليساريو في المبعينيات ، موقع قناة الجزيرة على هذا الرابط : <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/9CEC9C6D-E1٧٥-٤٨C٢-١D٤٨-EB٧FE8BBFDCA.htm>

(١) بحار وأخرون ، معجم أعلام الإيضاحية ، ٢٠١/٢ ، رقم الترجمة : ٤٤٦ .

(٢) الهوارى ، تفسير كتاب الله العزيز ، ٢١/١ .

(٣) الجعيري ، نظام العزاية ، ص ٢٧٣ .

(٤) الهوارى ، مصدر سابق ، ٢١/١ .

(٥) الهوارى ، مصدر سابق ، ٣٢/١ .

ابن سلام ، وقد حاول ابن أبي زمنين (ت : ٣٩٩هـ / ١٠٠٨ م) اختصار تفسير ابن سلام فألف مختصراً عنوانه به (مختصر تفسير ابن سلام) ، إلا أن الشيخ هودا مقدم عليه وأقرب إلى عهد ابن سلام ، أضاف إلى ذلك أن تفسير الشيخ هودا أكبر حجماً وأغزر مادة وأكثر فائدة من تفسير ابن أبي زمنين ، وكذلك فإن الشيخ هودا ساهم في حفظ الصورة الكاملة أو القريبة من الكمال لتفسير ابن سلام ، حيث إن مخطوطات تفسير هذا الأخير لا تزال ناقصة ^(١) .

ومما يلاحظ على تفسير الشيخ هودا أنه يروي في بعض الحالات أسباب الدلول ، ويعتمد على الأحاديث النبوية ، وكثيراً ما يشير إلى مصادره كروايات ابن عباس ومولاه عكرمة وابن الكلبي ومجاهد وغيرهم ، ولم يتبع هودا في تفسيره طريقة النقل فقط ، بل كثيراً ما كان يسوق الرواية لينفيها نفياً قاطعاً ، واهتم خاصة باستخراج معاني الآيات وما تضمنته من حكم وأحكام ^(٢) .

ولقد كنت أود تبسيط الضوء أكثر على هذا التفسير الجليل إلا أن الأستاذ بالحاج شريقي محقق تفسير الشيخ هودا ، والباحث سلطان الشيباني في سلسلته الرائعة (الإنتاج الإباضي في علم التفسير) والتي نشرت تباعاً في جريدة الوطن بسلطنة عمان ، أتيا بما لا مزيد عليه ، وكما يقال : لا عطر بعد عروس .

(١) الهوارى ، تفسير كتاب الله العزيز ، ٣٤/١ ، ٣٨ .

(٢) بحتر ، الفولة الرسمية ، ص ٣٠١ .

(٥)

الْعَلَّامَةُ عَمْرُوسُ بْنُ فَتْحِ النَّفُوسِي
قِصَّةُ إِمَامٍ

العلامة عمرو بن فتح النفوسي (قصة إمام^(١))

إمام جليل من أئمة الدين ، وعلم عظيم من أعلام الإسلام ، نشأ وترعرع في مكان بعيد ناء ، وضع العلم منذ نعومة أظفاره فبز أقرانه حتى أصبح أعلم أهل زمانه بشهادة علماء عصره ، بلغت شهرته الآفاق ، وترك العديد من المؤلفات ، كان فارساً في ميدان العلم لا يشق له غبار وكذا كان يجتهد الأبطال في ميدان الجهاد ، سجد في سبيل ربه حتى نال ما يمتناه كل مؤمن حق الإيمان ، كان منظاراً بارعاً نافع عن عقيدة الإسلام ، وكان قاضياً عادلاً حكم بشرع الله ، كان مؤمناً بالله حق الإيمان والثقة به حق الثقة لا يخاف في جنب الله لومة لائم ...

لمن هو هذا الإمام الفارس ؟ وأين نشأ ؟ وكيف كانت سيرته ؟

إنه الشيخ العالم العلامة إمام عصره وأعلم أهل زمانه عمرو بن فتح المَسَاكِي النفوسي ، ويكنى بأبي حفص^(٢) ، ولقب بالمَسَاكِي لأنه من أهل قرية (مَسَاكِي) الواقعة بجبل نفوسة^(٣) ، ولقب بالنفوسي لأن نسبه ينتمي إلى قبيلة (نفوسة) البربرية ، التي نسب الجبل الغربي لطرائس (لها) في ليبيا^(٤) .

ذكر بعض الباحثين أن الشيخ عمرو ولد في قافلة كانت متوجهة إلى الديار المقدسة لأداء مناسك الحج ، مما اضطر أمه إلى العودة به وعدم مواصلة الطريق^(٥) ، ولما يتعلق بسنة مولده

(١) نشر هذا البحث سابقاً في :

موقع الأمل المشرق (www.alami.net) .

موقع الشبكة المعنانية ، مجلة الدين ، (www.omania.net) .

وكذلك لي مقال مختصر حول الشيخ عمرو تحت عنوان : (الشيخ المجاهد عمرو بن فتح) ، نشر في جريدة فؤاد المغانية ، الجمعة ٤ من محرم ١٤٢٤ هـ / ٧ من مارس ٢٠٠٣ م ، العدد (٧١٧٢) ، السنة ٣٢ .

(٢) قرين بن محمد البظطوري ، كتاب سير أهل نفوسة ، (مع) ، ص ٩٢ . أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر فستلة (مع) ، ص ٢١٩ . عمرو بن فتح النفوسي ، أصول الديونة الصافية ، مع : أحمد حمو كروم ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ١١ . جلال بن قتي وعبد القاهر بن خلف ، أجوبة علماء الزمان ، مع : عمرو خليفة الثامي ، مطابع دار البيت ، فلسطين ، الجزائر ، ص ٢٠ . الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٢٠/٢ . الشماخي ، المير ، ١٩٢/١ . بشار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٣٢١/٢ ، رقم الترجمة : ٦٩٠ .

(٣) البظطوري ، مصدر سابق ، ص ٩٢ .

(٤) عمرو ، مصدر سابق ، ص ١٢ . محمد بن عبد الرحمن بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ١٣٤/٦ .

(٥) عمرو ، مصدر سابق ، ص ١١ . إسماعيل بن موسى الجبيلي ، كتاب قواعد الإسلام ، ج ١ ، ت : بكلي عبد الرحمن بن عمر ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، ص ١٣ وانظر كذلك : قواعد الإسلام ، مع : بشير بن موسى الحاج موسى ، ج ١ ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، ط ١ : ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م =

لأخليفة أن بما إشكال كبير لا يسع المقام لسطها هنا ، وقد ناقشتها باستفاضة في كتابي (الشيخ عمروس ومنهجه) ، وقد خلصت إلى احتمال مولده في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ تقريباً ^(١) .
نشأ الشيخ عمروس في قرية (قُطْرُس) من جبل نفوسة ^(٢) ، ويحتمل أنه نشأ يتيماً ، وذلك أن أمه لما حضرته الوفاة ، كتبت وصيتها وأشهدت عليها ، ولما سنلت عن وكلته لإنفاذها ، أشارت إلى الشيخ عمروس وهو في المهد لإنفاذها ؛ فلو كان أبوه حياً لأوكلت تنفيذ الوصية إليه بدلاً من طفل لا يزال في المهد ^(٣) .

ولكن في المقابل قد يكون والده حياً في تلك الفترة ، حيث إنه يصح أن يختلف الطفل لإنفاذ الوصية مع وجود أبيه أو خليفته ، جاء في شرح النيل : * ولا ينفذها [أي الوصية] أبو الطفل أو خليفته إن استخلف ... ^(٤) .

ولكن الظاهر أن أبا الشيخ عمروس توفي قبل أن يصل الشيخ عمروس إلى سن الإدراك ، وذلك أن الشيخ عمروس لما بلغ مبلغ الرجال - ولتقل ثمانية عشر سنة - أراد أن ينفذ وصية أمه ، ويؤدي عنها الحج ، فلم يجد أحداً يعلم بصلاحتها ويشهد بذلك ، إلا امرأة واحدة شهدت بصلاحتها ، فأدى الحج عنها بشهادة تلك المرأة ^(٥) .

فلم يكن والد الشيخ عمروس قد توفي والشيخ عمروس لا يزال طفلاً لم يدرك ، لسأل أباه عن أمه وصفاتها وصلاحتها من عدمه ، وأخبره أبوه عنها .

= ص ٢٧١-٢٧٢ - السلمي ، اللسعة للمرضية ، ص ١٢ - بحث وآخرون ، مصدر سابق ، ٢٢١/٢ ، رقم الترجمة : ٦٩٠ .

^(١) مهنا السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه ، ص ١٨٥-١٩١ .

^(٢) عمروس ، التدوينة الصافية ، ص ١٢ - معمر ، الإيضاح في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ١٢٧ .
البيهقي ، قواعد الإسلام ، تح : بكري عبد الرحمن ، ١٢/٢ هاشم المسحق - يحيى بن الخير بن أبي الخير الجناوني ،
كتاب النكاح ، تعليق : علي يحيى معمر ، للطابع العلمية ، روي ، سلطنة عمان ، ص ٢٩ لهامش - بحث وآخرون ،
معجم أعلام الإيضاح ، ٢٢١/٢ رقم الترجمة : ٦٩٠ .

^(٣) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٢٢٤/٢ - الشماخي ، السير ، ١٩٥/١ - عمروس ، مصدر سابق ، ص ١١ .

^(٤) محمد بن يوسف لطفيل ، شرح كتاب النيل وشقاء الطبل ، ج ١٢ ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط ٢ : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م ، ص ٧٠ .

^(٥) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢٢٥/٢ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٩٥/١ . الظاهر أن هذه القصة بها شيء من التبالغة وعدم الواقعية ، إذ أن أسرة الشيخ عمروس كانت تقيم بجبل نفوسة الفاصل بالمكان ، فليس من المعقول ألا يبقى لحد من معاصريه والله يعلم بصلاحتها من عدمه إلا امرأة واحدة |

والظاهر أن الشيخ غفروس بدأ بتلقي العلم في قريته (قُطْرُس) التي نشأ وترعرع فيها ، فعليه التحق بشيء من الكتابات الموجودة في قريته ، لحفظ القرآن الكريم ، وتعلم الآداب ، وبعض قواعد النحو والأحكام الفقهية المبدئية ، وقد أشار الشيخ علي يحيى معمر - ولو من بعد - إلى ذلك حين قال : " نشأ في (قُطْرُس) [يقصد الشيخ غفروس] ... وفيها درس ، وبلغ هذه المرحلة السامقة من العلم " (١) .

وللأسف الشديد فإن المصادر تبخل في ذكر أسماء شيوخه ، الذين تلقى عنهم العلم في هذه المرحلة الأولى من تعليمه فلم أجد حسب المصادر التي تولفت بين يدي إشارة إلى ذلك ، وهذه المشكلة نفسها عانى منها الباحث أحمد كروم فقال : " هذا ما كتبه المصادر عن تعلمه بصفة إجمالية دون العرض لأي تفصيل يشير إلى مشائخه ورفقائه في الدراسة أو العلوم التي درسها أكثر من الأخرى ... " (٢) .

وأما مراحل تعليمه التي تلت المرحلة الأولى أو الابتدائية ، فقد ذكرت بعض المصادر أنه هاجر إلى المغرب لطلب العلم ، وانقطع لمدة عشرين سنة في المغرب طلباً للعلم (٣) ، وقد ذكر الباحث أحمد كروم أن المقصود بالمغرب هو (تَنْجَزْت) العاصمة الرسمية ، معللاً استنتاجه هذا بأن الاستعمال السائد آنذاك عند الإباضية هذه الكلمة هو (تَنْجَزْت) ، إذ كانت كمية الطلاب والعلماء والمتكلمين حيناً من الدهر ، حتى غدت تعرف بـ (بغداد المغرب) ، كما أنها جاءت في غرب جبل نفوسة (٤) .

ولكن في المقابل فإن الشيخ فرحات الجعيري ذهب إلى أن المقصود بالمغرب هو (بلاد الجُرَيْد) حالياً (٥) ، ولا يستبعد أن يكون المقصود بالمغرب هو (تَنْجَزْت) ، حيث إن تَنْجَزْت - كما ذكر الباحث أحمد كروم - كانت مقصد طلاب العلم ومريديه ، وذلك لوجود الأئمة وكبار العلماء فيها .

(١) معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ٢ ، ق ١ ، ص ١٢٧ .

(٢) عروس ، النبوة الصافية ، ص ١٤ مقدمة المحقق .

(٣) البظطوري ، سير أهل نفوسة (مخ) ، ص ٩٢ - الشماخي ، السير ، ١٩٥١ - الباروني ، الأزهري ، ٢٠٤١/٢ - الجعيري ، البعث الحضاري ، ص ١٠٩ - الهامش - عروس ، مصدر سابق ، ص ١٢ مقدمة المحقق .

(٤) عروس ، مصدر سابق ، ص ١٢ الهامش ، مقدمة المحقق .

(٥) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ١٠٩ الهامش .

فالظاهر أنه أخذ العلم في تَبَهَّرَتْ على يد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن والإمام أفلح بن عبد الوهاب وعلى يد بعض علماء تَبَهَّرَتْ كمزور بن عمران الهَوَازِي (حي بين : ١٧٦هـ / ٧٨٧م - ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) وزير الإمام عبد الوهاب ، ومُحَكَّم الهَوَازِي قاضي الإمام أفلح ، وأبي الربيع سليمان الهَوَازِي (ط : ٣٠٠هـ / ٩١٢م - ٣٥٠هـ / ٩٦١م) ، الذي يعد من كبار علماء تَبَهَّرَتْ ، وأبي عبيدة الأعرج التَّبَهَّرِي (حي : ٢٦١هـ / ٨٧٤م - ٢٨١هـ / ٨٩٤م) ، الذي كان عالماً بالفقه والكلام والوفاق والنحو واللغة ... وغيرهم من العلماء ^(١) .

أما أهم العلوم التي من الممكن أن يكون درسها في أثناء وجوده في تَبَهَّرَتْ ، علم التفسير فقد يكون تلقاه على يد الإمام عبد الوهاب والإمام أفلح والعلامة مُحَكَّم الهَوَازِي ؛ وعلم الحديث لعله أخذه عن الإمام أفلح الذي كان مهتماً بعلم الحديث ، وأبي عبيدة الأعرج الذي أخذ عنه ابن الصغير (حي : ٢٦١هـ / ٨٧٤م - ٢٨١هـ / ٨٩٤م) كتاب (إصلاح الغلط في غريب الحديث) لابن قتيبة ^(٢) ، واللغة والفقه والعقيدة وعلم الكلام عن الإمام عبد الوهاب والإمام أفلح ؛ وقد يكون أخذها كذلك عن العلماء الذين ذكرهم قبل قبل ، أو عن غيرهم والله أعلم ^(٣) .

وإذا كان درس العشرين سنة في بلاد (الجَرِيد) ^(٤) كما ذهب الشيخ الجعيري ، فإنه من المحتمل أن يكون درس في مدينة (قَنْطَرَاة) ، إذ إن قنطرة في عصر الشيخ عَمْرُوس كانت تعد مركزاً علمياً وحضارياً للإباضية ، وهي مركز الدولة الرسمية ببلاد (الجَرِيد) ، وكانت بها جمالية كبيرة من أهل قُفُوسَة ، وكان طلاب العلم يقصدون مسجد (قَنْطَرَاة) لأخذ العلم ^(٥) .

^(١) بهذا السعدي ، الشيخ عَمْرُوس ومنهجه ، ص ٢١٩ .

^(٢) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٩٦ .

^(٣) دراسة الشيخ عَمْرُوس على الإمام عبد الوهاب ، والإمام أفلح ، والعلماء الذين ذكرت ، يظل مجرد احتمال قليل للصواب والخطأ ، فلمصنف لا تساعد في ذلك كما ذكرت ، فارجو التنبه لهذا .

^(٤) أود التنبه أنني في كتابي (الشيخ عَمْرُوس ومنهجه) وقعت في خطأ غير مقصود عندما تناولت بالحديث دراسته بـ (المغرب) والمقصود بها ١ ففكرت أن للباحث كَرْوَم نسر (المغرب) أنها (تبهرت) ، وأما الجعيري فإنه ذهب إلى أن المقصود بها بلاد (الجريد) ، ثم عندما أرادت الحديث عن احتمال دراسته ببلاد (الجريد) ذكرت بدلاً من ذلك سبوا (وارجلان) ، وفكرت أسماء بعض العلماء المعاصرين للشيخ عَمْرُوس بـ (وارجلان) ، والذين يحتمل أن يكون أخذ العلم عنهم ، وكان الأصل أن أتحدث عن بلاد (الجريد) وعلمائها المعاصرين للشيخ عَمْرُوس ، فأرجو التنبه لذلك (انظر : منها السعدي ، الشيخ عَمْرُوس ومنهجه ، ص ٢٢٠) .

^(٥) بلجيه ، الإباضية بالبحر ، ص ١٠ ، ١٢ .

فربما يكون الشيخ غفروس أحد العلم عن علماء (قُطْرَاة) ، ومن أشهر علمائها المعاصرين للشيخ عمروس ، والي (قُطْرَاة) في عهد الإمامين عبد الوهاب (حكم : ٧١٧هـ / ٧٨٧م - ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) ، وألح بن عبد الوهاب (حكم : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م - ٢٥٨هـ / ٨٧١م) ، أبو يونس وسيم بن يونس التَّقُوسِي الطُّغْرَيْبِي (حي بين : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م - ٢٥٨هـ / ٨٧١م) ، الذي كان عالما فقيها ، ذا حكمة وذكاء^(١) ؛ فربما يكون الشيخ غفروس أحد العلم عنه .

ولكن الظاهر أن احتمال دراسة الشيخ غفروس بـ (تَهْرَت) أكبر منها ببلاد (الجريد) ، وذلك أن الشيخ أبا يونس وسيم أرسل ولده سعدا (ت بعد : ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) إلى (تَهْرَت) ليدرس على يد الإمامين عبد الوهاب وألح^(٢) ؛ فليس من المنطق أن يهاجر ولده متحملا الغربة ومشاق السفر لطلب العلم ، بينما والده وعلماء (قُطْرَاة) يحيطون به ويقصدهم طلاب العلم من نُفُوسَة وغيرها ١٢

إذاً بعد عشرين سنة - من الغربة والترحال طلبا للعلم - أفى الشيخ غفروس دراسته في (تَهْرَت) أو بلاد (الجريد) ، فعاد إلى جبل نُفُوسَة عالما متضلعا في مختلف فنون العلم ، ليصبح أعلم أهل زمانه كما وصفه أهل العلم^(٣) .

ولم يكتف بما تلقاه من العلم في المغرب ، بل استمر في طلب العلم في جبل نُفُوسَة ، ولا يستبعد أن يكون من أوائل طلاب العلم الذين التحقوا بإملاق العلم التي كان يقمها الإمام عبد الوهاب في جبل نُفُوسَة حين زاره^(٤) ؛ وروي عنه كذلك أنه كان يتردد برفقة مهدي الويلوي

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٣٨ - ١٣٩ . الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٧٧/١ - ٧٨ - الشماخي ، السير ، ١١٨/١ - ١٦٩ - ١٨٤ . يحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١٧٠/٢ - ١٧١ ، رقم الترجمة : ٢٧٤ ، ٤٤٦/٢ ، رقم الترجمة : ٩٦٧ .

(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٧٧/١ - ٧٨ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٨٤/١ - يحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ١٧٠/٢ - ١٧١ ، رقم الترجمة : ٢٧٤ .

(٣) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢٢١/٢ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٩٢/١ .

(٤) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١١٦ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٦٦/١ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٤٠/١ - يحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ٢٨٢/٢ ، رقم الترجمة : ٦٠٩ .

(ق : ٣ هـ) ، على موضع يسمى (تين أزدوشل) يجتمع فيه جماعة لطلب العلم ، والملقى فيهم أبو نصر التَّمَصُّصِي (ق : ٣ هـ)^(١) .

ومن مشايخ الشيخ غُروس الذين ثبت تلقيه العلم عنهم ، والتفاؤه بهم عالمان جليلان من علماء أهل الحق والاستقامة ، وهما العلامة أبو غانم بشر بن غانم الحُرَّاسَانِي (ت : ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) ، صاحب المدونة المشهورة ، والعلامة أبو عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل القُرَشِي (ت : ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) .

فالعلامة أبو غانم الحُرَّاسَانِي التقى به الشيخ غُروس عند خروج الأول من المشرق إلى المغرب للقاء الإمام عبد الوهاب ، حاملا معه مدونه المشهورة ليهديها للإمام عبد الوهاب ، فمر في طريقه على الشيخ غُروس بجبل نُفُوسَة ، وترك عنده نسخة من المدونة ، وذهب بالآخرى إلى تَبَهَرْت ، فقام الشيخ غُروس بمساعدة أخته العاتلة بنسخ المدونة ، فكان له الفضل في المحافظة على هذا السفر الثمين ، حيث إن النسخة الثانية احترقت مع ما احترق من المخطوطات العظيمة عندما قام الفاطميون بحرق مكتبة المعصومة عند هجومهم على تَبَهَرْت^(٢) .

وأما الشيخ العلامة محمد بن محبوب فإن الشيخ غُروس التقى به عند ذهابه إلى المشرق لأداء مناسك الحج ، فسأله عن الكثير من المسائل ، حتى قال ابن محبوب : " هذا من مَكُون العلم لا يعلن به في قوم جُهَال " ، والقصة في ذلك مشهورة^(٣) .

والظاهر أن الشيخ غُروس اشتغل بالتدريس ونشر العلم ويستشف ذلك من بعض النصوص مع غموضها وعدم تصريحها بذلك وليس هنا مقام عرضها^(٤) .

وقد اشتغل الشيخ غُروس بالتحاليف ، فذكرت المصادر وجود بعض المؤلفات التي تسب إليه ، فمن مؤلفاته : كتاب (الغُروسي) ، وكتاب (أصول الدينونة الصَّافِيَة) ، وكتاب (الحكم والمعارف) ، وكتاب (أعلام الملة) ، وكتاب (غُروس بن فتح) ، وكتابان

(١) الدرَجيني ، طبقات المشايخ ، ٣١٤/٢ - الشَّماخي ، السير ، ١٤٩/١ ، ١٩٩/٢ - ٢٠ .

(٢) الدرَجيني ، مصدر سابق ، ٣٢٢/٢ - الشَّماخي ، مصدر سابق ، ١٩٤/١ - ١٩٥ - الباروني ، الأزهري ، ٢٥٣/٢ - مصر ، الإيضاحية في موكب التاريخ ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٣٨ - ١٣٩ .

(٣) البغدادي ، سير أعلام نفوسة (مخ) ، ص ٩٢ - الدرَجيني ، مصدر سابق ، ٣٢٤/٢ - الشَّماخي ، مصدر سابق ، ١٩٣/١ - ١٩٤ - الباروني ، مصدر سابق ، ٢٥٣/٢ - مصر ، مصدر سابق ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤٠ .

(٤) انظر : منها السَّعدي ، الشيخ غُروس ومنهجه ، ص ٢٢٤ - ٢٢١ .

في الأصول والفقه ، وكتاب في (الرد على التائكة وأحمد بن الحسين) ، وقد أراد الشيخ غفروس أن يؤلف كتابا يقسمه على ثلاثة أوجه : التويل والسنة والرأي ، مضما كل قسم ما يتعلق به من مسائل ، إلا أن النية داهته قبل إتمام مشروعه ^(١) .

هذه هي المؤلفات التي تركها الشيخ غفروس ، حسب ما ذكرته المصادر ، وقد ذهب د/ النامي إلى الجزم بأنه لم يبق من تراث الشيخ غفروس غير رسالتين ، هما (أصول الدنونة الصافية) و (الرد على التائكة وأحمد بن الحسين) ^(٢) .

وذهب الشيخ فرحات الجعبري إلى الجزم بوجود (أصول الدنونة الصافية) فقط ، وأنه وجد مخطوطه في دار التلاميذ بمدينة العطف بوادي ميزاب ، وذكر أن كتاب (أصول الدنونة الصافية) هو القسم الأول من كتاب في الفقه حسب المخطوطة التي وجدها في دار التلاميذ ^(٣) ، وهذا ما أشار إليه د/ النامي فذكر أن (أصول الدنونة الصافية) قسم من مخطوطة متعددة اختيريات ^(٤) .

والحقيقة أن الباحث أحمد كروم لم يشر إلى ما ذكره الجعبري والنامي عند تحقيقه للدنونة ^(٥) ، ولكن أصحاب معجم أعلام الإباضية ذكروا وجود كتاب (الرد على التائكة وأحمد بن الحسين) ، وأنه لا يزال مخطوطا ^(٦) .

هذا وللشيخ غفروس فتاوى في مختلف المسائل مبثوثة في بطون الكتب والمؤلفات كالتطبيقات وغيره ، وقد كان - رحمه الله - متمكنا من علم الكلام ومناظرا فحلا تصدى لقمع أصحاب

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٥٠ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٨٤/١ ، ٢٢٠/٢ - الشماخي ، السير ، ١٩٢/١ ، ١٩٦ - البرادي ، الجواهر (مخ) ، ص ٢١٩ - البغطوري ، سير أهل نفوسة (مخ) ، ص ٩٣ - الجوهلي ، قواعد الإسلام ، ١٢/١ - الهامش - الباروني ، الأذهار ، ٢٥٢/٢ - معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ص ١٣٩ - النامي ، الدراسات عن الإباضية ، ص ٤٩ ، ٢٢١ - صرو خليفة النامي ، وصف مخطوطات إباضية مكتشفة حديثا في شمال إفريقيا ، (مخ) ، مقال منشور في المجلد (١٥) العدد (١) من مجلة (الدراسات الصافية) ، ١٩٧٠م ، ترجمة سلطان بن مبارك الشيباني ، ص ٢٠ ، ٢١ - الجعبري ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، ص ١٠٩ - دليل المؤلفين الذين ، ص ٣٠٠ نقلا عن : عروس ، الدنونة الصافية ، ص ٢١ المقدمة .

(٢) النامي ، الرد على جميع المخالفين ، ص (ي) محققة مرقونة ، المقدمة نقلا عن : عروس ، الدنونة الصافية ، ص ٢٢ المقدمة .

(٣) الجعبري ، البعد الحضاري ، ص ١٠٩ - الجعبري ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، ص ٢٤ .

(٤) النامي ، وصف مخطوطات إباضية (مخ) ، ص ٢٠ .

(٥) عروس ، مصدر سابق ، ص ٧ - ٨ ، ص ٤٣ - ٥٦ .

(٦) بحث وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٢٢/٢ ، رقم الترجمة : ٦٩٠ .

العقائد الفاسدة فألحم حججهم ببراهينه الساطعة ، وقد ذكرت المصادر له مناظرات مختلفة كمنابرته لنفّاث وغيره ^(١) .

وقد تولّى القضاء على جبل نفوسة في عهد إمامين من أئمة الدولة الرستمية ، وهما الإمام أبو اليقظان محمد بن أفلح (ت : ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م) ، والإمام أبو حاتم يوسف بن محمد بن أفلح (ت : ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م) ، حيث كلفه والي جبل نفوسة أبو منصور إلياس بن منصور الثَّقُوسِي (حي : ١٦٦ هـ / ٧٧٧ م - ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م) بتولي منصب القضاء ^(٢) .
وما يؤثر عنه أنه قال لأبي منصور : " إن لم تأذن لي بقتل ثلاثة فحدّ خاتمك ، قتل مانع الحق ، والطاعن في دين الله ، والدال على عورات المسلمين " ^(٣) .

هذا وفي سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩٦ م تعرضت الدولة الرستمية لهجوم من قبل إبراهيم بن الأغلب (ت : ٢٨٩ هـ / ٩٠١ م) ^(٤) الذي كان متوجها إلى تِهْرْت للقضاء عليها ، وعندما علم أهل نفوسة بذلك البروا للدفاع عن دولتهم وحوزمها ، ف وقعت معركة عنيفة بين الطرفين في مكان

(١) انظر : منها السعدي ، الشيخ صروس ومنهجه ، ص ٢٤٤ - ٢٥١ .
(٢) صروس ، النونية الصافية ، ص ١٦ المقدمة - البخطوري ، سير أهل نفوسة (مخ) ، ص ٩٤ - الدرجيني ، طبقات الفسّانج ، ٨٤/١ - الشماخي ، السير ، ١٩٢/١ - الباروني ، الأزهري ، ٢٥٢/٢ - الجبيلي ، قواعد الإمام ، ١٣/١ - الهاشم - معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ١٠٦ ، ج ٢ ، ص ١٤٠ - الجبيري ، البلد الحضاري ، ص ١٠٩ - بحار وآخرون ، معجم اعلام الإباضية ، ٣٢١/٢ ، رقم الترجمة ٦٩٠ - بحار ، القضاء في المغرب ، ص ١٧٦ ، ٤٩٦ .
(٣) البخطوري ، مصدر سابق ، ص ٤٨ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٣٢١/٢ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٩٢/١ - معمر ، مصدر سابق ، ج ١ ، ص ١٠٦ ، ج ٢ ، ص ١٤١ .
(٤) لقد كان ابن الأغلب - كما يصفه ابن خلدون وكما هو واضح من سيرته وتاريخه الدامي - جنرا ظلوفاً سفاكاً للدماء ، وقد سجل الله عليه بالعبوة في الدنيا كل الأثرة إذ أنه أصابه اغتيال عتلي ففسر في قتل أقرابه وختمه ، فقتل من خدمه ونصائه وبناته ما لا يحصى ، وقتل ابنه أبا الأغلب لظن ظنه به ، والتقت ذات يوم منديلا لشرابه فقتل بسببه تلتامغا خاتم ، ومات شريدا طريدا ، ولعمري هذه هي نهاية كل ظالم مفسد كل تعالي : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاُغْشِيَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي السُّنْبُلِ وَالْأَخْرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (سورة آل عمران ، آية : ٥٦) . انظر : ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ٩٨/٢ .

بسمي (مألو) ^(١)، وقد شارك الشيخ عُثْرُوس في هذه المعركة وقد بلغ من الكبر عتياً، حيث إن عمره كان في حدود الثالثة والتسعين، على فرض أنه ولد في سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م ^(٢).

كان الشيخ عُثْرُوس في آخر المعركة يجمي الجيش، ويؤود عنه، وكان على فرس سابق، فلم يفلتر عليه الأغالب، وأعياهم أمره ^(٣)، وعندما عجز عنه فرسان الأغالب، لجأوا إلى الحيلة، لنصبا حبالاً في طريقه، فعثر بها فرسه، فأخذوه أسيراً، ومضوا به إلى إبراهيم بن الأغلب، سرورين جذلين بما حققوه من أسر الشيخ عُثْرُوس ^(٤).

وعندما وصلوا به إلى ابن الأغلب، أراد أن يشمت بالجاهد المؤمن، فقال له: "سلفي الغفو لأغفو عنك"، فأجاب الشيخ عُثْرُوس - رحمه الله - إجابة المؤمن بالله حق الإيمان، الواقع به وبوعده حق الثقة: "إن الأعمار بيد الله، وتلك كلمة لن تسمعها مني أبداً، ولكن أسألك في سرايلي هذه، لا تكشفوني منه" ^(٥).

لحاول أن يفتنه في دينه وعقيدته، فقال له: "إذن فأرجع عما أنت عليه لتتركك"، عند ذلك انتفض الشيخ عُثْرُوس انتفاضة الأسد المصور في أسره، فقال - بملء فيه -: "تلك كلمة لا ألوها حتى ألحق بالله" ^(٦).

^(١) أبو زكرياء، مدير الأمانة، ص ١٥٤ الهامش - الدرجيني، طبقات المشايخ، ٨٧/١ - الشماخي، السيرة، ٢٢٨/٦ - ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، موقع نداه الإيمان، (www.al-eman.com)، ٩٨/٢ - الجيوطي، قواعد الإسلام، ١٢/١ الهامش - الباروني، الأذهار، ٢٨٠/٢ - معمر، الإيضاحية في موكب التاريخ، ج ١، ص ٢، ج ٢، ص ١٢٢ - بلز، الدولة الزميرية، ص ١٢٩ - عمرو، الديونة الصافية، ص ١٩ المتممة.

^(٢) من الصعوبة استماعاً مشاركة الشيخ عمرو في معركة (مألو) وهو في هذه السن المتقدمة جداً، ولكن كما قلت عند تعرضي لمولد الشيخ عمرو أن في سنة ولادته إشكالية كبيرة وأقوال مختلفة وقرائن متضاربة، وقد ناقشت هذه القضية في كتابي (الشيخ عمرو ومنهجه) باستفاضة فارجاء الرجوع إليه، وبسبب وجهة نظري على انتفاء الشيخ عمرو بأي علم الخرماني المتوجه إلى تبهرت لزيرة الإمام عبد الوهاب (ت: ٢٠٨هـ) حينما ذكرت بعض المصادر الإيضاحية المتقدمة، ولكن قد يكون أبو غنم الخرماني زار تبهرت بعد وفاة الإمام عبد الوهاب أي في عهد الإمام ألق بن عبد الوهاب، فليل مصافونا أخطأت بذكر الإمام عبد الوهاب بدلاً من الإمام ألق، فلذا صح ذلك سيكون شيخ عمرو أصغر منا عند مشاركته في معركة (مألو)، ولكن يظل هذا مجرد احتمال يقتدر إلى الأمانة!

^(٣) أبو زكرياء، مصدر سابق، ص ١٥٧ - الدرجيني، مصدر سابق، ٨٩/١ - الشماخي، مصدر سابق، ٢٢٩/١ - الباروني، مصدر سابق، ٢٨٢/٢ - معمر، مصدر سابق، ج ١، ص ٢، ق ١، ص ١٤٢.

^(٤) أبو زكرياء، مصدر سابق، ص ١٥٧ - الدرجيني، مصدر سابق، ٨٩/١ - الشماخي، مصدر سابق، ٢٢٩/١ - الباروني، مصدر سابق، ٢٨٢/٢ - معمر، مصدر سابق، ج ١، ص ٢، ق ١، ص ١٤٢.

^(٥) أبو زكرياء، مصدر سابق، ص ١٥٧ - الدرجيني، مصدر سابق، ٨٩/١ - الشماخي، مصدر سابق، ٢٢٩/١ - الباروني، مصدر سابق، ٢٨٢/٢ - معمر، مصدر سابق، المجلد الأول، ج ٢، ق ١، ص ١٤٢.

^(٦) معمر، مصدر سابق، المجلد الأول، ج ٢، ق ١، ص ١٤٢.

عندما رأى ابن الأغلب هذه القوة من الشيخ غفروس ، وهذا اليقين بالله تعالى ، بدأ يسلك معه مسلك العنف والقمع فأمر بقرضه بمقاريض من حديد ، فبدأوا يقرضون يديه فلما بلغوا عضديه ، بعد أن ظلوا طويلا يقطعون يديه ، ودماؤه تسيل ، فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها ^(١) ، نعم فاضت روح البطل ، فاضت روح المجاهد ، فاضت روح العالم السورع ، انصرف بسوء مولاهما : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ فَرَحِينِ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ ^(٢) .

وروي أن عدد القتلى من الإباضية كان اثني عشر ألفا ، أربعة آلاف من نفوسة ، وثمانية آلاف ممن كان معهم من البربر وغيرهم ، وعدد الأسرى ثمانين عالما ، وكان عدد الشهداء من العلماء أربعمائة عالم فقيه ، حتى أنه لم يبق بعدهم عالم يفتي في النوازل بجبل نفوسة غير عالين ، هما أبو القاسم سدرات بن الحسن البُظُورِي (ت : ٣١٣هـ / ٩٢٥م) ، وأبو محمد عبد الله بن الخير الوُزْرِيغِي ^(٣) ، قال الشماخي : " فكانت في الإسلام فلة لم ترتفع إلى يومنا هذا " ^(٤) ، فآله المستعان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وكانت أخته المجاهدة من ضمن من شارك في هذه المعركة ، مع مجموعة من المجاهدات الإباضيات ، إلا أن الأغلبية أخذوهن أسيرات ، وكانوا لا يعرضون عن الاعتداء على النساء ^(٥) ، فخافت أخت الشيخ غفروس أن يعرضن للاعتداء من قبلهم ، فأفتت هن أن تستخلف كل واحدة منهن عن نفسها من يزوجها لمن أرادها بسوء ، محافظة على عرضهن وشرفهن

^(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٥٧ . للرجيني ، طبقات المشايخ ، ٨٩/١ - الشماخي ، السير ، ٢٢٩/١ - الباروني ، الأذهار ، ٢٨٣/٢ . مصر ، الإباضية في مكتب التفرغ ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤٢ .

^(٢) سورة آل عمران ، آية : ١٦٩ ، ١٧٠ .

^(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ . الدرجيني ، مصدر سابق ، ٨٩/١ - الشماخي ، مصدر سابق ، ٢٢٨/١ . ٢٢٩ .

^(٤) الشماخي ، مصدر سابق ، ٢٢٩/١ .

^(٥) ابن أولئك الذين ينفقون الإباضية بالخوارج ، ويتهمونهم باستباحة نساء المسلمين ، وغنم أموالهم وسبي ذرائعهم ، من جرائم الأغلبية ، فهل كان الأغلبية من الإباضية ؟ ! ، ومن هو الذي يستحق أن ينسب إليه تكفير المسلمين ، واستباحة دمائهم ، وغنم أموالهم ، وسبي ذرائعهم ؟ ! ، فلماذا هذا التعملي عن الحقيقة ؟ ! ، ولماذا هذا الكيل بمكيالين ؟ ! ، ولماذا يتهم الإباضية بما هم بريئون منه ، وتاريخهم النظيف شاهد عليهم ، ويتعملي عن التهم الحقيقي ؟ ! مع أن جرائم ابن الأغلب المذكورة في كتب أهل السنة ، ولا يستطيعون إنكارها ، فإن الإنصاف ؟ !

من الانتهاك^(١) ، فلهذا دركن ما أوردكن وأظهركن ، وحوي بنات الإسلام في هذا الزمان وكل زمان أن يتأسين بكن ، في صلاحكن وتقواكن وجهادكن في سبيل الله ، والحقيقة أن المصادر لم تذكر مصيرهن بعد ذلك ، هل كبت لمن النجاسة ، أم تعرضن للتعذيب والقتل مثلهن مثل الرجال .

وهكذا طويت صفحة هذا الإمام الجليل^(٢) ، بعد أن سطرها بعظائم الإنجازات ، ففضى سنوات عمره الطويلة ، بين طلب العلم وحلقه ، وبين الأوراق قراءة وتأليفًا وتصحيحًا ، وفي مجالس المناظرة حوارًا ولقاءً وتفصيلاً ، وعلى أرض المعارك راية الإسلام ذاباً عن حياض المفيدة ، حتى كلل جهده بالظفر بما يطمع به كل مؤمن ، وهو الفوز بالشهادة ، فكانت حسن عاقلة له رحمه الله تعالى ، وأسكنه أعالي فرديس الجنان ﴿ مَعَ الَّذِينَ أَلْفَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَافِقًا ﴾^(٣) .

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٥٧ - الشماخي ، السير ، ١٩٥/١ - الباروني ، الأذهار ، ٢٨٢/٢ - معمر ، الإباضية في بؤبؤ التاريخ ، المجلد الأول ، ج ٢ ، ق ١ ، ص ١٤٢ .

(٢) لمزيد اطلاع حول حياة وسيرة هذا الإمام الجليل انظر كتابي : الشيخ صروس ومنهجه الفقهي والعقدي من خلال كتاب لسور الدينونة الصغية .
(٣) سورة النساء ، من الآية : ٦٩ .

(٦)

الشيخ سالم بن يعقوب
مؤرخ في سطور

الشَّيْخُ سَالِمُ بْنُ يَعْقُوبَ مَوْخَّ فِي سَطُورٍ^(١)

هو الشيخ العلامة المؤرخ سالم بن محمد بن يعقوب من جزيرة جربة بنوس^(٢) ،
(بن يعقوب) قبيلته ، وهي قبيلة معروفة بجربة^(٣) ، ولد بمخومة غِرْزَن بجربة في سنة ١٣٢١هـ /
١٩٠٣م^(٤) .

بدأ حياته بممارسة التجارة في مدينة بَنْزُوت الليبية ، وبقي أميا إلى سن التاسعة عشرة^(٥) ،
وكان يرغب في طلب العلم ويشاقق لذلك ، فتدارك أمر نفسه بسرعة فالتحق بدروس الشيخ عمر
بن مرزوق - من كبار المصلحين بجربة آنذاك - بجامع (الباسي) بمخومة وَائِغ بجربة في سنة
١٣٤١هـ / ١٩٢٣م ، وأخذ مبادئ العلوم على يده ، ثم رحل إلى تونس ميمما شطر جامع
الزيتونة العريق ، وأقام في مدرسة الإباضية بالهتاتبي بسوق اللّفة ، فكان يتقل بين حلق العلم بجامع
الزيتونة منتقيا ما يطيب له منها ، وذلك أنه لم يكن مسجلا في دفاتر الجامع ، وكان الشيخ محمد
الزُّعْوي والشيخ الماجرّي من أبرز أساتذته بجامع الزيتونة ، وقد كان كذلك يتلقى دروسا خاصة
على شيخ الإباضية بنوس العلامة محمد بن صالح التميمي ، الذي كان مشرفا على الإباضية
الجزائرية بنوس ، وعطلت مكتبة الاستقامة القريبة من جامع الزيتونة ، وقد كانت دروس الشيخ

^(١) نشر هذا المقال سابقا في :

جريدة الوطن الشّمانية ، الاثنين ١٧ من شعبان ١٤٢٤ هـ / ١٣ من أكتوبر ٢٠٠٣ العدد (٧٣٩٢) ، السنة ٣٣ ، على
هذه الوصلة :

<http://www.alwatan.com/graphics/2003/10/oct/13,10/dailyhtml/deen.html>

موقع الأمل المشرق (www.alam.net) .

شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhiyah.net) .

موقع الشبكة العمانية ، سيلة الدين ، (www.omania.net) .

^(٢) الجعيري ، البعد الحضاري ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) - سليمان بن أحمد الحياطي الجعري ، علماء جربة ، ث :
مصد فوجّة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٩٩٨م ، III هامش رقم (١) - بحار وآخرون ، معجم
أعلام الإباضية ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ رقم الترجمة : ٣٦٦ - اتصال هاتفي مع الشيخ أحمد مهني مصلح مدرّس بمعهد العلوم
فشرعة بعلطفة عمان ، الثلاثاء ٤ من شعبان ١٤٢٤ هـ / ٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٣م ، الأربعاء ٥ من شعبان ١٤٢٤ هـ /
١ من أكتوبر ٢٠٠٣م .

^(٣) اتصال هاتفي مع الشيخ أحمد مهني مصلح .

^(٤) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) - بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ ، رقم
ترجمة : ٣٦٦ .

^(٥) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) - بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ ، رقم
ترجمة : ٣٦٦ .

الشمس ليلة محورها كساب (جامع أركان الإسلام) للشيخ العلامة سيف بن ناصر الحاروسي (ت : ١٣٤١هـ / ١٩٢٣م)^(١) ، وكتاب (شرح النيل) لقطب الأئمة محمد اطفيش^(٢) .

ظل في تونس لمدة خمس سنوات (١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م - ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م) ، ثم انتقل إلى جامع عربن آخر بالشرق العربي وهو جامع الأزهر بمصر ، ناهجا فيه نفس نهجه في جامع الزيتونة ، وبقي في أحضانها لمدة خمس سنوات (١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م - ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م)^(٣) .

وقد أشار إلى أمر دراسته بالزيتونة والأزهر بنفسه في مقدمة كتابه (تاريخ جزيرة جربة) حيث قال : " وبني في هذا البحث أدرس بعض جوانب هذا التاريخ بجزيرة جربة ، هذا التاريخ الذي جمعه من أوراق متفرقة ورسائل مبعثرة في خزائن الكتب القديمة بجزيرة وتونس والقاهرة أثناء بحثي الموسع عن التراث الإباضي أيام دراستي بجامعة الزيتونة (١٩٢٩ - ١٩٣٤م) وبالجامع الأزهر (١٩٣٩ - ١٩٣٤م)"^(٤) .

وقد ذهب أصحاب معجم أعلام الإباضية إلى أنه ظل في الزيتونة لمدة ثلاث سنوات (١٣٤٧هـ / ١٩٢٩م - ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م) ، وظل في الأزهر لمدة خمس سنوات (١٣٥١هـ / ١٩٣٣م - ١٣٥٦هـ / ١٩٣٨م)^(٥) ، وذهب الشيخ فرحات الجميري إلى أنه ظل في تونس لمدة خمس سنوات (١٣٤٩هـ / ١٩٢٧م - ١٣٥١هـ / ١٩٣٣م) وفي مصر أيضا لمدة خمس سنوات (١٣٥١هـ / ١٩٣٤م - ١٣٥٧هـ / ١٩٣٨م)^(٦) ، والحقيقة أن هذه التواريخ التي ذكرها كل من أصحاب المعجم والشيخ الجميري

(١) انظر ترجمة الشيخ سيف بن ناصر الحاروسي العملي في : الإرشاد في شرح مهملات الاعتقاد ، سيف بن ناصر بن سليمان الحاروسي ، ج ١ ، مكتبة المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية ، مسمط ، مطبعة صان ، ط ١ : ١٤٢٠ / ١٩٩٩م ، ص ٩ - ١٠ ، ترجمة المؤلف .

(٢) الجميري ، البعد الحضاري ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) - بحث وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٣) الجميري ، مصدر سابق ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) - بحث وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٤) مسلم بن يعقوب ، ترويح جزيرة جربة ، دار الجويني للنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٦م ، ص ١٢ .

(٥) بحث وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٦) الجميري ، مصدر سابق ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) .

غير دقيقة ولها تناقض ، والذي يظهر أن الأصح ما ذكره الشيخ سالم بن يعقوب نفسه عن مدة مكوله في الزَّيْتُونَة والأزهر كما مر في النص الذي نقلناه عنه ، والمرء أدرك من غيره بتاريخه .

وقد كان في فترة دراسته بالأزهر ينهل من معين علماء الأزهر ، وكذلك كان يردد على الشيخ العلامة أبي إسحاق إبراهيم اطفيش طلباً للعلم ، حيث إن الثاني كان موجوداً بمصر بسبب لفيه من الجزائر من قبل الاستعمار الفرنسي^(١) .

وقد كان الشيخ سالم يسكن وكالة الجاموس بطولون من مصر ، ويقضي معظم وقته في الاستساخ ، فنسخ من مخطوطات مكتبة الإباضية بوكالة الجاموس نصيباً وافراً ، كما نسخ عدة نصوص من المكتبة الوطنية بالقاهرة ، فجمع بعد ذلك مكتبة ثرية بمقر سكنه بمُؤَمَّة حَبْرَن بِجَرَّة قُلْ لَما مثيل^(٢) ، وصفها الشيخ الجعيري بقوله : " و زائر مكتبته بغيزن بيتين ألفا جامعة من كل شيء بطرف خاصة في كل ما له صلة بالإباضية من قريب أو بعيد " ^(٣) ، وقد أشار الشيخ سالم بن يعقوب إلى اشتغاله بالنسخ وجمع التراث بنفسه في النص الذي ذكرناه عنه أعلاه .

وعندما عاد إلى وطنه جَرَّة اشتغل في الفلاحة ، وعكف على التدريس والوعظ والإرشاد بعدة مساجد منها : جامع الشيخ بِمُؤَمَّة السُّوق ، وجامع المَلَأَق بوالغ ، وجامع بني داود بِصَدِغِيَّان ، وجامع لُأَكِين بِغِزَن ، وقد كان آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر حتى أنه هدد عدة مرات بالقتل من أصحاب المنكر^(٤) .

وكان كذلك محققاً في التاريخ ، وبخاصة في سير الإباضية ، فاتخذة الباحثون قبلة ينهلون من علمه ويستفيدون منه ، ومن أبرز تلاميذه : الشيخ د/ فرحات الجعيري ، وقاسم قوجة ، والصادق بن مرزوق ، ويوسف الباروني^(٥) .

^(١) الجعيري ، البعث الحضاري ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

^(٢) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

^(٣) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) .

^(٤) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

^(٥) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) - بحاز وآخرون ، مصدر سابق ، ١٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

وبعد الشيخ سالم آخر عضو من أعضاء حلقة الغزابة بجزيرة^(١)، فهو * بقية السلف الصالح * كما وصفه تلميذه الشيخ فرحات الجعيري^(٢)، ويذكر الشيخ الجعيري أنه أخذ عن الشيخ سالم كل ما يتعلق بالإباضية، ووصفه بقوله: * ... وما رأيت من أهل العصر من هو أكثر منه إماماً بحفايا تاريخ الإباضية *^(٣).

وللشيخ سالم - رحمه الله - العديد من الأعمال والمؤلفات منها: (تاريخ جزيرة جربة) يقع في ثلاثة أجزاء ، وقد نشر الجزء الأول ، والثاني تحت الطبع ، والثالث لا يزال مخطوطاً ؛ ومن أعماله تحقيقه لكتاب (بدء الإسلام وشرائع الدين) لابن سلام ، وقد اشترك معه في ذلك المستشرق الألماني شفاتر ، وقد تم نشره من قبل دار صادر بيروت ، وقامت دار اقرأ ببيروت بنشر الكتاب في طبعة غير شرعية تحت عنوان محرف وهو : (الإسلام وتاريخه من وجهة نظر إباضية) ؛ ومن أعماله (دروس عن تاريخ جربة) أُلقيت في سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ولا يزال مخطوطاً ؛ ومن أعماله كذلك (تقييدات عن نشأة الإباضية) ، و (تقييدات عن تراجم بعض علماء الإباضية) ، و (تقييدات عن المدارس العلمية بجربة) ، وهذه الأعمال الثلاثة لا تزال مخطوطة ؛ وله أعمال أخرى^(٤).

وقد ذكر أصحاب المعجم أنه توفي في سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م^(٥) ، وذكر محمد فوجسة - محقق كتاب (علماء جربة) للشيخ سليمان بن أحمد الحيلاني - أنه توفي في ليلة الأحد ١٤١١/٧/١٢هـ الموافق ٢٧ من يناير ١٩٩١م^(٦) ، والظاهر أن ما ذكره الباحث محمد فوجسة هو الأرجح حيث إنه من جزيرة جربة ، وجاء بالتاريخ مفصلاً باليوم والشهر والعامين الهجري والميلادي ، وكذلك والده مقرب جداً من الشيخ سالم كما حدثنا شيخنا أحمد مصلح^(٧) ، وقد كان عمره عند وفاته ٨٨ عاماً تقريبا والله أعلم .

(١) بحار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١/٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٢) الجعيري ، المبدع الحضاري ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) .

(٣) الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٨٦ هامش رقم (١٤٩) .

(٤) بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ١/٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٥) بحار وآخرون ، مصدر سابق ، ١/٦٨/٢ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ .

(٦) الحيلاني ، علماء جربة ، III هامش رقم (١) .

(٧) اتصال هاتفي مع الشيخ أحمد مهنى مصلح .

(٧)

المُحَدَّثُ بَكْرُ بْنُ حَمَّادٍ
شَاعِرُ تَيْهَرْتِ

المُحدَّث بكرين حمَّاد شاعِرُ تَيْهَرْت^(١)

من ضمن البحوث التي تضمها هذا الكتاب بحثٌ تحدث فيه عن الدولة الرسمية (١٦٠هـ / ٧٧٦م - ٢٩٦هـ / ٩٠٨م) تحت عنوان (الدولة الرسمية دولة إسلامية تجاهلها التاريخ)^(٢) ، وقد تناولت فيه لغة موجزة عن العديد من جوانب هذه الدولة العظيمة سواء السياسية أو الاقتصادية أو الحضارية أو الثقافية أو الاجتماعية .

لقد ألحيت هذه الدولة العديد من الأعلام الذين نبغوا في مختلف الجوانب ، ومن هذه الجوانب الساحة الشعرية والأدبية ، ولعل من أبرز شعراء هذه الدولة إمامها الثالث الفلح بن عبد الوهاب (حكم : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م - ٢٥٨هـ / ٨٧١م) ، فقد كان شاعرا فحلا أبدع في نظم الغرض ، فمما قاله في الحث على العلم قصيدة رائية تقع في أربعة وأربعين بيتا^(٣) ، يقول في مطلعها^(٤) :

العلم أبقي لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم روحا وأبكارا
حي وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا
ويقول^(٥) :

اشدد إلى العلم رحلا فوق رحلة وصل إلى العلم في الآفاق أسفارا

^(١) نشر هذا البحث سابقا في :

موقع الأمل المشرق (www.alaml.net) .

شبكة أهل الحق والاستقامة (www.ibadhijab.net) .

موقع الشبكة العمانية ، سبلة الدين ، (www.omania.net) .

^(٢) انظر المقال رقم (٨) من هذا الكتاب .

^(٣) قام أحد الشعراء العمانيين بتطويرها ، وهو الرحالة الأديب الشيخ علي بن أحمد الصماني عاش في أواسط القرن الثالث عشر الهجري ، وتوفي في السودان في رحلة من رحلاته ، وقد أورد ابن النضر القصيدة بدون تشعير في كتابه فاعلم ، ويذكر الكتاب أن القصيدة هي من ديوان لأفصح مفلوق لم تعلم منه إلا تلك الأبيات (انظر : ابن النضر ، الداعيم ص١٣٢ - ١٣٦ نقلا عن بحار ، الدولة الرسمية ، ص٢٧٠ الهامش - الليثوني ، الأزهري ، ١٨٩/٢ - الكعكك ، موجز التاريخ العام ، ص٢١٥ نقلا عن : بحار ، مصدر سابق ، ص٢٧٠ الهامش) .

^(٤) الليثوني ، مصدر سابق ، ١٩٠/٢ - بحار ، مصدر سابق ، ص٢٦٠ .

^(٥) الليثوني ، مصدر سابق ، ١٩١/٢ - بحار ، مصدر سابق ، ص٢٦٠ .

وفي هذا المقال سنحاول تسليط الضوء على شاعر من فحول شعراء الدولة الرستمية ، ترك الكثير من غرر القصائد التي أبدع في سبك أبياتها متاولا فيها مختلف أغراض الشعر ، ليس هذا فحسب بل كان عالما بالحديث وتميز الرجال كما سيأتي ، فمن هو شاعرنا ؟
أول ما تعرفت على شاعرنا تعرفت عليه من خلال أبيات جميلة له يصف فيها شدة البرد وكثرة الغيوم والثلج في تَهَيَّرَتْ يقول فيها ^(١) :

ما أخنن البرد وريحانه وأطرف الشمس بتاهرت
تبدو من الغيم إذا ما بدت كأنها تنشر من ثُخْت ^(٢)
نحن في بحر بلا لجة تجري بنا الريح على المُنْت ^(٣)
نفرح بالشمس إذا ما بدت كفرحة الذئبي بالبيت

وشاعرنا هو أبو عبد الرحمن بكر بن حاد بن سيمك (وقيل ابن سهر) بن إسماعيل الزركاني القُتَيْبَرِيّ ، ولد بتهَرت سنة ٢٠٠هـ / ٨١٥م ، وما توفي سنة ٢٩٩هـ / ٩٠٨م ، له رحلة إلى الشرق بدأها سنة ٢١٧هـ / ٨٣٢م ، سمع فيها الفقهاء ، وجابه العلماء .

كان عالما بالحديث وتميز الرجال ثقة مأمونا ثباتا صدوقا إماما حافظا ، سمع بالقُتَيْرَوَان قبل رحلته إلى المشرق من القاضي عبد السلام بن سعيد التوجعي الملقب بسحنون (ت : ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) قاضي إفريقية ، وفي البصرة لقي مسدد بن مسرهد الأسدي المحدث بالبصرة ، وعمر بن مرزوق ، وجماعة من العلماء ، وكتب عن مسدد مسنده ورواه عنه بتهَرت .

وما يحكى عن بكر بن حاد في الحديث ما رواه القرطبي في تفسيره ، واقتبسه منه المقرئ في (نفع الطب) ^(٤) ، يقول القرطبي : " وذكر أبو محمد قاسم بن أصبغ قال : لما رحلت إلى المشرق نزلت القُتَيْرَوَان فأخذت علي بكر بن حاد حديث مُسَدَّد ، ثم رحلت إلى بغداد ولقيت الناس ،

^(١) فلرجلي ، طبقت المشايخ ، ٤٢/١ . بقوت الحموي ، معجم البلدان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٩٧ . البايروني ، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج ٢ ، دار البعث ، الجزائر ، ط ٢ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، ص ٢٢٣ - ٢٢٤ . وأنظر ها كنكك في نفس الملقب ، طبعة دار بو سلامة ، تونس ، ٢٨/٢ .
^(٢) الثُخْت : وعاء تسمن فيه الثياب ، فارسي ، وقد تكلمت به العرب (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، تحت) .
^(٣) المُنْت : الطريق ، يقال : لَزِمَ هذا المُنْت ، والمُنْت : المُنْتِزِعُ على الطريق بالظن ، وقيل : هو المُنْتِزِعُ بالحنن والظن على غير طريق (انظر : ابن منظور ، مصدر سابق ، صمت) .
^(٤) انظر : المقرئ ، نفع الطب ، ٤٨/٢ - ٤٩ ، نقلا عن : بحار ، الدولة الرستمية ، ص ٣٠٩ .

فلما انصرفت عدت إليه لتسام حديث مُسَدَّد ، فقرأت عليه فيه يوما حديث النبي ﷺ : (أنه قدم عليه قوم من مُصَرَّ من مُجَنَّبِي الثَّمار) ، فقال : إنما هو مُجَنَّبِي الثَّمار ؛ فقلت إنما هو مُجَنَّبِي الثَّمار ؛ هكذا قرأته على كل من قرأته عليه بالأندلس والعراق ؛ فقال لي : بدخولك العراق لمأرضنا وتفخر علينا ؛ أو نحو هذا . ثم قال لي : قم بنا إلى ذلك الشيخ - شيخ كان في المسجد - فإنه له بمثل هذا علما ؛ فقمنا إليه فسالناه عن ذلك فقال : إنما هو مُجَنَّبِي الثَّمار ، كما قلت . وهم قوم كانوا يلبسون الثياب مشققة ، جيوبهم أمامهم . والتمار جمع تمر . فقال بكر بن حماد وأخذ يأنفه : رَغِمَ الْقَبِيَّ لِلْحَقِّ ، رَغِمَ الْقَبِيَّ لِلْحَقِّ . وانصرف ^(١) .

وهذه القصة تدل على مدى تواضع بكر بن حماد ، وإذعائه للحق إذا ما تبين له ، يقول المقرئ معلقا على هذه القصة : " هذه الحكاية دالة على عظيم قدر الرجلين رجهما الله تعالى ... " ^(٢) .

وقد أورد ابن عبد البر (ت : ٤٦٣ هـ / ١٠٧٠ م) الكثير من الأحاديث برواية بكر بن حماد ، من ذلك مثلا قوله : حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال : حدثنا قاسم بن أصبغ قال : حدثنا بكر بن حماد قال : حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى عن مالك قال : حدثني إسحاق بن عبد الله لائل : حدثني امرأتي حميدة قالت : حدثني كشة ابنة كعب بن مالك قالت : رأيت أبا قتادة توشأ ثم أصغى إناؤه للمهرة ، قالت : فنظر إلى فقال : أتعجبين ؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إنما لست بنجس أنفا من الطوافات عليكم والطوافين " ^(٣) ؛ وقوله : حدثنا عبد الوارث بن سفيان قال : حدثنا قاسم بن أصبغ قال : حدثنا بكر بن حماد قال : حدثنا مسدد قال : حدثنا يحيى القطان عن عبد الله بن عمر قال : حدثني خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : " سبعة في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله الإمام العادل ، وشاب نشأ في عبادة الله ، ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك

^(١) محمد بن أحمد القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ج ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م ، ص ١٩٧ .

^(٢) المنذري ، نفع الطالب ، ٤٨/٢ ، نقل عن : بحار ، الدولة الرسمية ، ص ٣٠٩ .

^(٣) يوسف بن عبد الله بن عبد البر النعمري ، التمهيد ، المكتبة الألفية للغة النبوية ، مركز التراث ، صفق ، الأردن ، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م ، ٣١٩/١ .

وتفرقا على ذلك ، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ، ورجل دعت امرأة ذات حسن وجمال فقال إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة وأخفاها حتى لم تعلم شيئا ما أنفقت بمجته ^(١) .

ولقد ذكره العلامة الحنفى أبو يعقوب الوائلى (ت : ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) في سلسلة حديث ساه في كتابه (الدليل والبرهان) ، حيث قال : * وروى عبد الوارث بن سفيان ويعيش بن سعيد قالا : أخبرنا قاسم بن أصغر قال : أخبرنا بكر بن حماد قال : أخبرني بشر بن حجر قال : أخبرنا جرير بن عبد الله الواسطي ، عن عطاء يعني ابن السائب عن أبي البحري عن علي قال : (إياكم والاستمان بالرجال فإن الرجل يعمل بعمل أهل الجنة ثم ينقلب لعلم الله فيه ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيموت وهو من أهل النار ، وإن الرجل يعمل بعمل أهل النار ، فينقلب لعلم الله فيه ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيموت وهو من أهل الجنة .. فإن كنتم ولائسا فاعلموا بالأسماوات لا بالأحياء) ^(٢) .

وكان بالإضافة إلى علمه بالحديث عالما بتمييز الرجال ، يعتمد على أقواله فحول هذا العلم ، فمن ذلك مثلا ما ذكره عنه ابن حجر في ترجمته ليهلول بن عمر القُرْظَمي : * ... قال بكر بن حماد أكره أن أضح بالرواية عنه لرهادة الناس فيه ^(٣) .

ومثال آخر ما نقله عنه المجلي صاحب كتاب (معرفة الثقات) في توثيقه شمس بن معاوية الأطرابلسي : * ... وقال بكر بن حماد الناهري وكان من أئمة أصحاب الحديث رأيت محمد بن

^(١) ابن عبد البر ، التمهيد ، ٢٨٢/٢ .

^(٢) هذا الأثر أصله حديث نبوي رواه الإمام البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الخلق ، باب (٦) ، حديث رقم (٣٢٠٨) ، من طريق عبد الله بن مسعود قال : « حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - قال : « إن أحكم المجتمع خلقا في بطن أمه أربعين يوما ... ثم ينتج فيه الروح ، فإن الرجل منكم يعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع ، فيميت عليه كذبة يعمل بعمل أهل النار . ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع ، فيميت عليه كذبة يعمل بعمل أهل الجنة » ، وبهذا المنطق في كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (١) ، حديث رقم (٣٣٣٢) ، وكتاب القدر ، باب (١) ، حديث رقم (٦٥٩١) ، وكتاب التوحيد ، باب (٢٧) ، حديث رقم (٧٤٥٤) ، ورواه الإمام مسلم في صحيحه ، كتاب القدر ، باب (١) ، حديث رقم (١) ، من طريق عبد الله بن مسعود بنفس اللفظ ، وحديث رقم (٢٦٥١) من طريق أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « إن الرجل لعمل الزمان الطويل يعمل أهل الجنة ، ثم يخنث له صلة بعمل أهل النار . وإن الرجل لعمل الزمان الطويل يعمل أهل النار ، ثم يخنث له صلة بعمل أهل الجنة » (انظر : أحمد بن علي بن حجر الصقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط : ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ٣٧٢/٦ ، ٤٤٧-٤٤٨ ، ٥٨٢/١١ ، ٥٤٠/١٣ - ٥٤٠/١٣ ، ١٥٨-١٥٦/١٦ ، ١٦٣) .

^(٣) أحمد بن علي بن حجر ، لسان الميزان ، ج ٦ ، المكتبة الألفية للسنن النبوية ، مركز التراث ، عمان ، الأردن ، ١٤٢٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ٦٧ .

معاوية ثقة ثبنا وكان صاحب آداب ومعرفة بلغة العرب مقدما في ذلك^(١) ، ونلاحظ كيف أن العجلي وصف بكرًا بأنه من أئمة أصحاب الحديث .

وقد أخذ الحديث عنه عدد من العلماء منهم : القاسم بن أصبغ الذي كتب مستند مُسَدَّد بن سرهد عن بكر ، ومنهم أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المُعَالِفي الأندلسي ، ومنهم ابنه عبد الرحمن بن بكر بن حماد ، وقاسم بن عبد الرحمن الشيمي التيهري .

ويذكر الشيخ سليمان باشا الباروني أن مذهب ابن حماد مشكوك فيه إما أن يكون إباضيا أو صفريا^(٢) ، إلا أن الراجح أنه غير إباضي ، وأستبعد كونه صفريا ، إذ لم يذكر أحد غير الباروني هذا الاحتمال ، إذ إن من عادة علماء الجرح والتعديل عند ترجيحهم لراو معين الإشارة إلى مذهبه خاصة إذا كان إباضيا أو صفريا أو شيعيا ، ولم لاحظ هذا في ترجمة بكر بن حماد ، والذي يظهر لي أنه ينتمي إلى أحد المذاهب السنية ، فلعله كان مالكا حيث إنه من إفريقية ، والمذهب المالكي ظهر لي إفريقية في فترة متقدمة جدا ، وكانت دولة الأغابة (١٨٤ - ٢٩٩ هـ / ٨٠٠ - ٩٠٩ م) هي الخاصة له مع المذهب الحنفي ، ثم ذاع صيت المذهب المالكي بإفريقية مع ظهور القاضي سحنون ، الذي تولى القضاء بالقيروان في سنة ٢٣٤ هـ / ٨٤٨ م في عهد محمد بن الأغلب (حكم : ٢٢٦ - ٢٤٢ هـ / ٨٤٠ - ٨٥٦ م)^(٣) ، وسحنون يعد إمام المالكية بالمغرب بلا منازع وكل من جاء بعده تلميذ له وعنه تلقى علمه^(٤) ، وبكر ممن سمع عن سحنون قبل رحلته إلى المشرق كما ذكرت سابقا ، فلعله تبعه في مذهبه .

(١) أحمد بن عبد الله المجلي الكوفي ، معرفة الثقات ، تصح : عبد العظيم البستوي ، المكتبة الألفية للسنّة النبوية ، مركز ثراث ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ٢٥٤ .

(٢) نفاروني ، الأزهار ، ٩٠/٢ .

(٣) إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، مركز التراث للحقبة الألي ، عمان ، الأردن ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ٢٢٣ . ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداء الإيمان .

(٤) ٩٨/٢ ، (www.al-eman.com) .

(٤) ابن كثير ، مصدر سابق ، ٣٢٣/٣ .

أضف إلى ذلك أن ابن عبد البر يورد في كتابه (التمهيد) الكثير من الأحاديث من رواية بكر بن حماد ، وابن عبد البر مالكي المذهب من قرطبة ^(١) ، فلعل سبب اهتمامه بجمع الأحاديث من رواية بكر كون الأخير مالكي المذهب .

والحقيقة أن أبا يعقوب الوارجلاني لم يتعرض لمذهب بكر بن حماد حينما ذكره في سلسلة حديث ساقه في كتابه (الدليل والرهان) كما مر آنفاً .

وقد نبغ بكر بن حماد في الشعر أيما نبوغ ونظم قصائد جيدة في أغراض مختلفة كالوصف والمديح والمجاء والثناء والاعتذار والزهد والوعظ .

وشعر ابن حماد مبهر بين صفحات الكتب وثايا المخطوطات ، وقد بذل الأستاذ محمد شاوش جهده في جمع ما استطاع من شعره من مختلف المصادر التي تمكن من الحصول عليها ، فعر بعد البحث الطويل المستمر حسبما يذكر على نحو المائة وعشر (١١٠) أبيات من شعره لا غير ، هذا ولم يقطع الأمل في اكتشاف غيرها في المستقبل ، ويذكر أحد سكان ولاية تيزهزت في عصرنا هذا أن إمام جامع تيزهزت المتوفى قبل سنوات عثر في تركيا على ديوان شعر لبكر بن حماد .

ولعل جودة شعر ابن حماد تعود إلى ترحاله المستمر ، حيث رحل إلى المشرق كما ذكرنا وهو شاب فالتقى هناك بقطاقل شعراء القرن الثالث الهجري مثل دعييل الخزاعي ، وأبي تمام الطائي ، وعلي بن الجهم ، فكان لهذه الرحلة التأثير الأكبر على فكره واستعراجه ، كما أن دراسته في القيروان أتاحت له فرصة للاختلاط بأناس كانوا عريقين في عروبتهم .

ويصف الأستاذ بونار ابن حماد في الشعراء المطوعين ، وهم قلة ، فيقول : " إن هذه الشخصية هي أنيغ شخصية في الشعر الغنائي بالمغرب العربي عامة ، ولا نجد نظيرها في عمق تفكيرها وأصالتها الميانية وامتلاكها لموهبة شعرية محترمة إلا في الأندلس ... وبحق لمؤرخ الأدب في هذا العصر أن يصرح بأن ظهور بكر بن حماد في القرن الثالث ... هو أكبر مفخرة للأدب العربي المغربي " ^(٢) .

(١) محمد بن طاهر بن القيسراني ، تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ١١٣ .

(٢) انظر ما سبق : بحال ، الدولة الرسمية ، ص ٢٠٨ - ٢٠٩ ، ٣١١ - ٣١٣ بتصرف .

وأما الباروني فإنه يصفه بقوله : * ... العلامة الأديب صاحب النظم المعجب والإنشاء الغريب
الشهور في الشرق والغرب بين أرباب العلم والأدب ... بكسر بن حماد بن سهل بن أبي
إسماعيل الزناني ... * (١) .

ونذكر هنا بعض الأبيات لشاعرنا فمن ذلك ما قاله معتذرا من الإمام أبي حاتم يوسف
بن أبي اليقطين (حكم الدولة الرستمية : ٢٨١هـ / ٨٩٤م - ٢٩٤هـ / ٩٠٦م) عن خطي
أزكيه (٢) :

ومؤنسة لي بالعراق تركتها	وغصن شابي في الفصون نضير
فقلت كما قال النواصي قبلها	عزيز علينا أن تراك سير
فقلت جفائي يوسف بن محمد	فطال علي الليل وهو قصير
أها حاتم ما كان ما كان بفضة	ولكن أت بعد الأمور أمور
فاكرهني قوم خشيت عقابهم	فداوتهم والدائرات تدور
وأكرم غفر يؤثر الناس أمره	إذا ما عفا الإنسان وهو قدير

وقد اشتهر ابن حماد بشعر الزهد والتوصف حتى شبه بأبي العتاهية اعتقادا منهم أنه تأثر به
أثناء رحلته إلى المشرق ، فمن شعره في الزهد (٣) :

قف بالقبور فساد الهامدين بها	من أعظم بليت فيها وأجساد
قوم تقطعت الأسباب بينهم	من الوصال وصاروا تحت أطواد
راحوا جميعا على الأقدام وابتكروا	فلن يروحوا ولن يخلدو لهم غادي
والله والله لو ردوا ولو نطقوا	إذا لقالوا ألقى من الفضل الزاد

ويقول في نفس القصيدة :

أين البقاء وهذا الموت يطلبنا	هيهات هيهات يا بكر بن حماد
يَبْنَا (٤) ترى المرء في هو وفي لعب	حتى تراه على نعش وأعواد

(١) الباروني ، الأزهري ، ٩٠/٢ .

(٢) الباروني ، الجواهر (مخ) ، ص ٢٠٦ - بحار ، الدولة الرستمية ، ص ٣٦٤ - ٣٦٥ .

(٣) الباروني ، مصدر سابق ، ٩٥/٢ - بحار ، مصدر سابق ، ص ٣٦٤ .

(٤) يَبْنَا : أي يَبْنُ ، فاستُخِجَ الفتحة لفتحها بعدها ألف ، ومن ذلك ما أنشدته سيديويه =

إلى أن قال :

في كل يوم نرى نمشا نشبهه فرائح فارق الأحباب أو غادي
الموت يهدم ما تنبه من فرح فما انتظارك يا بكر بن حماد ؟

وكان كثير العلاقة بالملوك والأمراء ، يمدحهم ويهجوهم حتى كان ينال منهم ما يرجوه ، وقد هجا الخليفة العباسي المعتصم ، بالرغم من أنه وصله بصلات جزيلة ، كما وصله الأمراء الأغلبة والأدارسة ^(١) ، فمما قاله مادحا أبا العيش عيسى بن إدريس العلوي ^(٢) :

سائل زواغة عن طعان سيوفه ورماحه في العارض المتلهل
ودبار نفزة كيف داس حريمها والخيـل تمرغ في الوشـج الذبل
غشى مغيلة بالسيف مذلة وسقى جراوة من نقيع الخنظل
وقال أبيتا إلى المعتصم يحرضه فيها على دعبل ^(٣) :

أيهجو أمير المؤمنين ورهطه ويمشي ^(٤) على الأرض العريضة دعبل
أما والذي أرسى ثيبرا مكانه لقد كادت الدنيا لذلك تزلزل
ولكن أمير المؤمنين بفصله بهم فيعفـو أو يقول فيفعل

فعاتبه حبيب فيه وقال له : قتلته والله يا أبا بكر ^(٥) ، فقال :

وعاتبي فيه حبيب وقال لي لسانك محذور وسحك يقتل
وإني وإن صرفت لي الشعر منطقي لأنصف فيما قلت فيه وأعدل

فبتينا نحن نوثقه ، ألقا شلق وقصة ، وزند راع

(النظر : ابن منظور ، لسان العرب ، بين) .

^(١) بهاز ، الدولة الرستمية ، ص ٣٦٥ .

^(٢) البهاروني ، الأزهري ، ٩٠/٢ .

^(٣) البهاروني ، مصدر صليق ، ٩١/٢ .

^(٤) في الأصل (ويمشي) ولعله خطأ مطبعي ، وربما الأصح (ويمشي) ، فيتضح بذلك معنى البيت .

^(٥) لا أدري لماذا قل : أبا بكر ، بالرغم أن اسمه بكر بن حماد ، قيل هو خطأ مطبعي أو بسبب التماثل ، أم أنه يوجد خلاف في اسمه ؟ الله اعلم .

هذا ولما عاد إلى المشرق قصد القَيْرَوَان فوشي به إلى صاحبها ، فهرب وكان معه ابنه عبد الرحمن ، فاعترضهم في الطريق بعض النصوص واعتذروا عليهما فجرحوه وقتلوا ابنه ، فتأثر كثيرا لفقد ابنه ، وجاشت قريحته بروائع القصائد في رثاء ابنه معبرا فيها عما يعتلج في صدره من اللوعة والحسرة لفقدان ولده ، فمن ذلك قصيدة طويلة قال في مطلعها ^(١) :

بكيت على الأحبة إذ تولسوا ولو أني هلكت بكسوا عليا
فيا نسلي بقاؤك كان ذخرا وفقدك قد كوى الأكباد كيا
كفا حزنا بأنني منك خلصو وأنت ميت وتقيت حيا
ولم أك آيبا فبنمت لما رميت التراب فوقك من يديا

وقد اختلف في سنة وفاته فذهب إبراهيم طحلاي - محقق طبقات المشايخ - إلى أنه توفي في سنة ٢٩٢ هـ / ٩٠٤ م ، ولم يذكر المصادر التي اعتمد عليها ^(٢) ، والدكتور مجاز يذكر أنه توفي في ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م ^(٣) ، ونعله الأصح ، حيث إن الشيخ الباروني ذكر أن وفاته كانت سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٨ م بقلعة ابن حجة بجسولي مدينة تَهْرَظْ ، وهو ابن سنة وتسعين سنة ، نافلا ذلك عن المراكشي ^(٤) .

^(١) انظر بقيتها في : الباروني ، الأزهري ، ٩٢/٢ .

^(٢) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٤٢/١ الهامش .

^(٣) مجاز ، الدولة الرستمية ، ص ٣٠٨ .

^(٤) الباروني ، مصدر سابق ، ٩٧/٢ .

(٨)

الدَّوْلَةُ الرُّسُومِيَّةُ

دَوْلَةُ إِسْلَامِيَّةٌ تَجَاهِلُهَا التَّارِيخُ

الدَّوْلَةُ الرَّسْمِيَّةُ دَوْلَةُ إِسْلَامِيَّةٍ تَجَاهِلُهَا التَّارِيخُ^(١)

محمّد بن عبد الله

لقد سمعنا عن الكثير من الدول الإسلامية التي نشأت وسقطت على مر التاريخ الإسلامي ، كالدولة الأموية والعباسية والعتمانية بالشرق ، والدولة المديونية والإدريسية والفاطمية بالمغرب ، وغيرها من الدول الإسلامية الأخرى التي فصل التاريخ في ذكرها .

وهذه الدول لها إنجازاتها ولها سلباتها ، وقد قدمت للأمة الإسلامية محاسن ، إلا أنها كذلك لم تخل من المساوئ التي لمجدها عند قراءة تاريخها ، وهذه طبيعة البشر القصور عن الكمال .
إلا أن هناك دولاً إسلامية قامت ونشأت واستمرت ودحا من الزمن إلى أن سقطت ، وقدمت للأمة الإسلامية الشيء الكثير ، وقد يكون ما قدمته يفوق ما قدمته الدول الأخرى المشهورة والمعروفة عند الخاصة والعامة .

ومن هذه الدول من سار على نهج اخلافة الراشدة ، وتطبيق مبدأ الشورى ، سواء في انتخاب الحاكم أو في حكم الرعية ، إلا أنه وللأسف الشديد لا نعرف عن هذه الدول الشيء الكثير ، وإذا وصلنا شيء فهو نزر قليل لا يفي للتعرف على جميع جوانب تلك الدول والظروف التي عاشتها والخدمات الجليلة التي قدمتها للأمة الإسلامية ، وكذلك لا يخلو من التشويه والتحريف .

وتجاهل هذه الدول من قبل كتاب التاريخ يعود إلى عدة أسباب كالتعصبات المذهبية ، والمصالح السياسية ، والإغراءات المادية وما شابه ذلك من الأسباب التي ليس هذا محل ذكرها .

ومن هذه الدول التي يجهلها الكثير ، دولة إسلامية عريقة نشأت في المغرب في سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م ، واستمرت إلى سنة ٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م ، أي أنها استمرت لمدة ١٣٦ سنة^(٢) حتى

^(١) نشر هذا البحث سابقاً في :

جريدة الوطن العمانية ، على هذه الوصلة :

<http://www.alwatan.com/graphics/2002/09sep/1209/heads/rt2.htm>

موقع الأمل المشرق (www.alamj.net) .

موقع الشبكة العمانية ، مجلة الدين (www.omania.net) .

^(٢) الباروني ، الأزهري المديونية ، ٤٢/٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠ - بحث : الدولة الرسمية ، ص ١١ .

وقد خدمت هذه الدولة الأمة في الكثير من الجوانب سواء في الجانب الثقافي والعلمي ، أو في الجانب الاقتصادي والاجتماعي ، أو في الجانب المعماري ، وحتى في الجانب السياسي ، فضلاً عن خدماتها الجليلة في نشر الإسلام في أعماق إفريقيا .

فما اسم هذه الدولة ؟ ومن أنشأها ؟ وكيف نشأت ؟ وما الذي قدمته للأمة الإسلامية ؟ هذا ما سنحاول أن نتعرف عليه من خلال هذا البحث .

إن هذه الدولة هي الدولة الرُّسُيُتِيَّة التي نشأت في المغرب الأوسط - الجزائر حالياً - على يد الإمام عبد الرحمن بن رستم ^(١) .

لمن هو الإمام عبد الرحمن بن رستم ؟

هو عبد الرحمن بن رستم بن بھرام بن كسرى ، ولد في العراق في العقد الأول من القرن الثاني الهجري على أكبر تقدير ، ويرجع في نسبه إلى الأكاسرة ملوك الفرس ، فهم أجداده ، إلا أن بعض المؤرخين يعمدون نسبه إلى اللذارقة ملوك الألدلس قبل الإسلام ، وأنهم في هذا أنه سليل بيت الملوك قبل الإسلام ، سواء كانوا من الفرس أم من اللذارقة ^(٢) .

سافر أبوه به وأمه من العراق إلى الحجاز لأداء فريضة الحج ، إلا أن الأب وافاه أجله ، وترك يتيماً وأرملة ، فتزوجت أمه برجل من أهل المغرب ، فأخذها وابنها عبد الرحمن إلى القيروان ^(٣) .

نشأ عبد الرحمن في القيروان ، وصادف هناك نشر الدعوة الإباضية في تلك الربوع فعلق لها ، ونصح أحد الدعاة بالسفر إلى المشرق لتلقي المزيد من العلم على يد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت : ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) ، إمام الإباضية في ذلك الوقت ^(٤) .

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٨١ - الدرر جيني ، طبقت المشايخ ، ٤١/١ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٥ .
(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٥٤ - الدرر جيني ، مصدر سابق ، ١٩/١ - ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والشرق ، ج ١ ، تع . ج . س . كولان و ! - فيني بروفنسك ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٩٨٣ م ، ص ١٩٦ - ابن خلدون ، تزيخ ابن خلدون ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ١٨٣/٣ ، ١٨٤ - ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٣٩٧ - محمد بن عبد الغنم الحميري ، الروض السعيل في خبر الأقطار ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٣٠ - الزركلي ، الأعلام ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٤١٩ - بشار وآخرون ، معجم الأباطنية ، ٢١٦/٢ ، رقم الترجمة : ٥٤٤ .

(٣) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٥٥ - الدرر جيني ، مصدر سابق ، ٢٠/١ - بشار وآخرون ، مصدر سابق ، ٢١٧/٢ ، رقم المترجمة : ٥٤٤ .
(٤) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٥٥ - الدرر جيني ، مصدر سابق ، ٢٠/١ - بشار وآخرون ، مصدر سابق ، ٢١٧/٢ ، رقم المترجمة : ٥٤٤ .

نوجه إلى البصرة ، وظل مع الإمام أبي عبيدة لمدة خمس سنوات يدرس في السرداب الذي أعده هذا الإمام تحت الأرض خوفاً من عيون الأمويين والعباسيين من بعدهم^(١).

عاد عبد الرحمن مع أصحابه حملة العلم إلى المغرب ، وكان من ضمنهم أول إمام للإباضية بوبع في المغرب ، وهو الإمام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري اليمني (ت : ١٤٤هـ / ٧٦١م)^(٢) ، وقد ذكرت بعض المصادر ظهور أئمة للإباضية قبل الإمام أبي الخطاب ، كالإمام الحارث بن تليد الحضرمي (ت بين : ١٣١هـ / ٧٤٨م و ١٤٠هـ / ٧٥٧م) ، والإمام أبي الزاهر إسماعيل بن زياد الثقوسي (ت : ١٤٠هـ / ٧٥٧م)^(٣) ، إلا أن بعض الباحثين يعتبر أن الإمام أبا الخطاب هو أول إمام للإباضية في المغرب ، وذلك أنه استطاع أن يقيم دولة للإباضية في هذه الربوع^(٤).

بعد أن وصل حملة العلم إلى المغرب ، هبوا الأجواء لإقامة دولتهم ، فلما ساحت لهم الفرصة في سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م بايعوا أبا الخطاب المعافري بالإمامة ، بأمر من شيخهم أبي عبيدة^(٥). لما انقضت أربع سنوات على قيام دولة أبي الخطاب في المغرب ، وجه أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي (ت : ١٥٨هـ / ٧٧٤م) جيشاً بقيادة محمد بن الأشعث الخزازي ، فاستطاع هذا الأخير القضاء على دولة الإمام أبي الخطاب في معركة عيفة سنة ١٤٤هـ / ٧٦١م ، استشهد فيها الإمام أبو الخطاب^(٦).

(١) أبو زكرياء ، مبرور الأئمة ، ص ٥٥ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٢٠/١ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٠٨ ، ١٣٧ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١١٩ ، ١٤٩.

(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٥٦ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢٠/١. قشماخي ، السير ، ١١٤/١ - معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ١ ، ص ١٠٢ ، ج ٢ ، ص ٤٧ ، ج ٣ ، ص ٢٢ ، ج ٤ ، ص ٢٢ - ٢٣ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٢٩ ، ١٤٢ - بقر وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٥٦/٢ - رقم الترجمة : ١٠٨ ، ١١٩/٢ - رقم الترجمة : ٢٥٣.

(٣) لقاء مع الشيخ أحمد بن سعود الصبائي في سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

(٤) ابن سلام ، بدء الإسلام ، ص ١١٧ ، ١١٨ - أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٥٧ - ٥٩ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢٦/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٤٨ - محمد ناصر ، مصدر سابق ، ص ١٥٠.

(٥) ابن سلام ، مصدر سابق ، ص ١٢١ - أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٦٩ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ٣٤/١ - عوض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٥٢ - ١٥٣ - محمد ناصر ، مصدر سابق ، ص ١٥٢.

حاول عبد الرحمن نجدة الإمام أبي الخطاب ، لكنه لم يتمكن من ذلك ، فاضطر للفرار من ملاحقة ابن الأشعث له ، فتوجه إلى المغرب الأوسط ، حتى وصل إلى جبل يدعى (سَوْجَج) فتحصن به ، حتى أبس منه ابن الأشعث ^(١) .

لما أحس عبد الرحمن من نفسه القوة والقدرة على بناء دولته الجديدة ، خاصة بعد أن انف حوله الكثير من أنصاره من البربر ومن أهل العلم والصلاح ممن يثق بهم ، اتجه إلى مكان كثير الأشجار والأحراش والسباع يسمى (تَيْهَرْت) ، فشرع في بناء دولته الإسلامية الجديدة هناك ما بين ١٥٥هـ / ٧٧١م - ١٦٠هـ / ٧٧٦م ، والتي عرفت باسم (الدولة الرستمية) نسبة إلى والد عبد الرحمن ، كما جرت العادة في تسمية الدول الإسلامية في العصور الوسطى بأبناء آباء المؤسسين ^(٢) .

بذل عبد الرحمن - وهو لم يبايع بالإمامة بعد - جهده مع من معه من العلماء في بناء تَيْهَرْت لتكون على أجل هيئة ^(٣) ، حتى أن بعض المصادر العلمية فصّلت الحديث عن بناء المدينة بداية بالمسجد الجامع ، وغاية بالدور والقصور ، والبيوت والأسوار الحصينة ^(٤) .

لأندهرت تَيْهَرْت وبلغت شهرتها الآفاق ، وشدّت إليها الرحال للنجارة والسكن والعيش الرغيد الآمن ، مما جعل الكتّاب والرحالة يقصدونها ويشيدون بها ومن ذلك ما قاله المقدسي في وصفها : " ... هي بلخ المغرب ، قد أحدثت بها الأنهار ، والتفت بها الأشجار ، وغابت في البساتين ، ونبت حورها العيون ، وجل بها الإقليم ، وانتعش فيها الغريب ، واستطابها اللبيب ، يفضلوها على دمشق وأخطاوا ، وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا ، هو بلد كبير ، كثير الخير رحب ، رقيق طيب ، رشيق الأسواق ، غزير الماء ، جيد الأهل ، قديم الوضع ، محكم الرصف ، عجب الوصف ... " ^(٥) .

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٧٠ - للدرجيني ، طبقت المشايخ ، ٣٥/١ - عرض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٦ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٢ .

(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٨١ - للدرجيني ، مصدر سابق ، ٤١/١ - عرض خليفات ، مصدر سابق ، ص ١٦٧ . محمد ناصر ، مصدر سابق ، ص ١٥٢ - بشار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٤٧/٢ ، رقم الترجمة : ٥٤٤ .

(٣) ابن الصغور ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٥ - ٣٦ . محمد ناصر ، مصدر سابق ، ص ١٥٤ .

(٤) محمد بن أحمد المقدسي ، أعيان التقسيم في معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ٢٢٨ .

ويقول ابن الصغير مؤرخ الدولة الرستمية : " ... ثم شرعوا في العمارة والبناء وإحياء الأموات ، وغرس البساتين ، وإجراء الأنهر ^(١) ، واتخاذ الرحاء ^(٢) والمستغلات وغير ذلك ، والسعوا في البلد وتفسحوا فيه ، وأنتهم الولود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار ، قال : ليس أحد يول بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم لما يرى من رضاء البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته وأمانه على نفسه وماله ... " ^(٣) .

ونقل لنا اليعقوبي وصفا دقيقا لتنهّزت نقله عن أحد أحفاد أئمة الدولة الرستمية واسمه عبد الرحمن بن محمد فيقول : " حدثني أبو معبد عبد الرحمن بن محمد بن ميمون بن عبد الوهّاب بن عبد الرحمن بن رستم الطاهريّ قال : تاهرت مدينة كبيرة ، آهلة بين جبال وأودية ، ليس لها فضاء ، بينها وبين البحر المالح مسيرة ثلاث رحلات ، في مستوى من الأرض ، ولي بعضها سباح ، وواد يقال له وادي شلف ، وعليه قرى وعمارة ، يفيض كما يفيض نيل مصر ، يزرع عليه العصفور والكتان والسمن ، وغير ذلك من الحبوب ؛ ويصير إلى جبل يقال له أنقيق ، ثم يخرج إلى بلد نفوة ، ثم يصير إلى البحر المالح . وشرب أهل مدينة تاهرت من أنهار وعيون ، يأتي بعضها من صحراء ، وبعضها من جبل قلبي ، يقال له جزول . لم يجذب زرع ذلك البلد قط ، إلا أن يصبه ريح أو برد . وهو جبل متصل بالسوس ، يسميه أهل السوس درن ، ويسمى بتاهرت جزول ، ويسمى بالزبار أوراس " ^(٤) .

وما أن وصلت سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م حتى قام العلماء وأهل تنهّزت بمباينة عبد الرحمن إماما عليهم ، وهو حري بهذا المنصب ، فهو الذي استطاع أن يبنى لهم هذه المدينة ، وهو الذي خصه شيخه أبو عبيدة بقوله له : " أفت بما سمعت مني وما لم تسمع " ^(٥) .

(١) هكذا في الأصل ، والأصح (الأنهار) ، فلتنهر يجمع على تنهّر وتنهّور (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، نهر ، قرص منجم) .

(٢) الرّجحي يجمع على أرّج وأرّجاء ورجحي ورجهي وأرّحية والأخيرة نفرة ، لذلك يكون استعمال (الرحاء) خطأ (انظر : ابن منظور ، مصدر سابق ، رجا ، قرص منجم) .

(٣) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٥ - ٣٦ .

(٤) اليعقوبي ، البلدان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٥٠ .

(٥) عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٦٨ - محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ١٥٤ - بحاز ، الدولة الرستمية ، ص ١١٠ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٤٧/٢ ، رقم الترجمة : ٥٤٤ .

وذكر ابن الصغر كلاما جميلا في وصف مبايعة الإمام عبد الرحمن قال : " ... لما نزلت الإباضية مدينة تاهرت وأرادوا عمارتها اجتمع رؤسائهم فقالوا : قد علمتم أنه لا يقيم أمرنا إلا إمام لرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالنا ويقيم صلاتنا ونؤدي إليه زكائنا ويقسم علينا ، فقبلوا أمرهم فيما يسهم لوجدوا كل قبيل منهم فيه رأس أو رأسان أو أكثر يدبر أمر القبيل ويستحق أمر الإمامة ، فقال بعضهم لبعض : أئتم رؤساء ولا نأمن أن يتقدم واحد على صاحبه ففسد نيت ، ولعل المقدم أن يرفع أهل بيته وعشيرته على غيرهم ، ففسد النيات وبكثر الاختلاف وبقل الاتفاق ، ولكن هذا عبد الرحمن بن رستم لا قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه ، ولقد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمن قاضيا وناظرا ، فقلدوه أموركم ، فإن عدل فذلك الذي أردتم ، وإن سار فيكم بغير عدل عزلوه ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه ، فاجمعوا رأيهم على ذلك ثم فوضوا إليه بأجمعهم وقالوا : يا عبد الرحمن رضيك الإمام في ابتدائنا ونحن الآن نرضى بك ونقدمك على أنفسنا ، فقد علمت أنه لا يصلح أمرنا إلا إمام نلجأ إليه في أمورنا ، ولتحكم عنده فيما يتوب من أسبابنا ، فقال لهم : إن أعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيعوا إليّ ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم ، فأعطوه عهد الله وميثاقه على ذلك ، وشرطوا عليه مثل ما شرط عليهم ، وقدموه على أنفسهم وألقوا إليه بأيديهم " (١).

وقد تولى الحكم في الدولة الرستمية عدد من الأئمة العدل ، يتم اختيارهم من قبل العلماء والوعية ، فكانت الدولة الرستمية سائرة على نهج الخلافة الراشدة ، وقد يتبادر إلى ذهن البعض أن الحكم في الدولة الرستمية وراثي بسبب كون جميع من حكم من سلالة الإمام عبد الرحمن ، ولكن الأمر بخلاف ذلك ، وقد تكفل بعض الباحثين بكشف اللبس في هذه القضية كالشيخ علي يحيى معمر ، وذكر عدة أدلة تدل على أن نظام الحكم في الدولة الرستمية ليس وراثيا ، وإنما كان يرسم خطى خلافة الراشدة بتطبيق مبدأ الشورى ، وتكفل أهل الحل والعقد من العلماء باختيار الإمام الجديد (٢).

(١) ابن الصغر ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٢٩ - ٣١ .

(٢) معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ٢ ، ص ٤ ، ج ٣ ، ص ٣٠ - ٣٤ .

ونجد الأستاذ عثمان الكماك يوضح هذه الحقيقة فيقول : " ينتخب الإمام وجوه المدينة وزعماء الملعب وشيوخ الدين بحرية ، من غير مسالة ، ولا تقاليد ، ولا ولاء في قرابة أو أصدقاء أو سلطان ، يراعون فيه المعرفة والدراية والتحنك والدهاء ، والعدل والإنصاف يجريهما على نفسه قبل ذوي قرابته وعلى ذوي قرابته قبل الحاشية أو عموم السكان ، وإن هم رأوا فيه عوجاجا لوموه بالسيف لا بالرفق واللين ، وأنزلوه من أريكته من غير وجل أو أسف أو اعتبار " (١) .

وأما عن سبب اختيار أهل الحل والعقد الإمام من أبناء الإمام عبد الرحمن فذلك يعود إلى توفر الصفات والشروط المطلوبة في الإمام من صلاح وتقوى وعلم وحكمة سياسية وغيرها من الصفات ، وقد رد د/ محمد صالح ناصر على من أقم الدولة الرسعية وأتباعها أنهم طبقوا نظام الورثة والملك المضود فقال : " ... وهذه مغالطة ، لأن كتب التاريخ تشهد أن الرستميين كانوا يطبقون الشورى والانتخاب عند تولية كل إمام ، وما ذنب الرستميين إن كانت الكفاءة والوفاة والغوى ترشحهم كل مرة للفوز برضى الأمة التي ارتضتهم " (٢) .

ويذهب بعض الباحثين إلى أن العنصر الريري كان نافرا من تولية بعضه البعض ، لكن وجود الرستميين وهم من غير الريري أدعى إلى إذهاب هذه الوجة ، أضف إلى ذلك أن الرستميين لا عصة لهم فلا يمكن تصور استبداد يمكن أن يحصل منهم (٣) ، ووجهة النظر هذه لها محلها من الاعتبار ، فكلام ابن الصغير السابق في وصف مبايعة الإمام عبد الرحمن بن رستم يؤكد ذلك ، حيث فضل أهل تِهْرُوت مبايعة عبد الرحمن بن رستم لكونه منصفاً بالصلاح والعلم والقيادة ، وكذلك لكونه لا ينتمي إلى قبائل الريري : " ... فقال بعضهم لبعض : أنتم رؤساء ولا نأمن أن يتقم واحد على صاحبه ففُضد نيتة ولعل المقدم أن يرفع أهل بيته وعشيرته على غيرهم ففُضد الثبات ويكثر الاختلاف ... ولكن هذا عبد الرحمن بن رستم لا قبيلة له بشرف بها ولا عشيرة له تحبه ... فقلدهم أمورهم فإن عدل فذلك الذي أردتم وإن سار فيكم بغير عدل عزلتموه ولم تكن له قبيلة تنقعه ولا عشيرة تدفع عنه ... " (٤) .

(١) مصر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ٢ ، ص ٤ ، ص ٣٢ .

(٢) محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ٢١٥ .

(٣) لقاء مع خالد بن مبارك الوهبي ، ممقط ، مطبوعة عمان ، ٤ من شعبان ١٤٢٦هـ / ٨ من سبتمبر ٢٠٠٥م .

(٤) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٢٩ - ٣١ .

وقد اشتهرت هذه الدولة بنظام الشورى المطبق فيها ، وبعدالة أئمتها ، وصلاحهم وتقواهم وعلمهم ، وبازدهارها ، وقد كان يعيش تحت ظلها أتباع كل المذاهب الإسلامية ، وكانوا يمارسون عبادتهم بكل حرية وأمان ، وكانت لهم مساجدهم وبيوتهم الخاصة التي يعيشون فيها مصافي الحقوق بعدل وإنصاف من غير تفریق بين مذهب ومذهب ، قال ابن الصغر : " ... وأنتمم الورود والرفاق من كل الأمصار وأقاصي الأقطار ... ليس أحد يول بهم من الغبراء إلا استوطن معهم وابنى بين أظهرهم ، لما يرى من رعاة البلد وحسن سيرة إمامه وعدله في رعيته ، وأمانه على نفسه وماله ، حتى لا ترى داراً إلا قبل هذه لفلان الكوفي ، وهذه لفلان البصري ، وهذه لفلان القروي ، وهذا لمسجد القرويين ورحبتهم ، وهذا لمسجد البصريين ، وهذا لمسجد الكوفيين ... " (١) .

وإبن الصغر هذا نفسه كان شعبياً وقبلي مالِكياً ، ومال د/ محمد صالح و د/ إبراهيم بخاز إلى أنه شعبي المذهب إلا أنهم لم يحسموا في ذلك (٢) ، وذلك لتصريح ابن الصغر بميوله العلوية في عدة مواضع من كتابه من ذلك مثلاً قوله : " ... فنحن وإن ذكرنا سيرهم على ما اتصل بنا وعلمهم فيما لوه فلسنا ثم نعجه طلالة ألعاهم ، ولا حسن سيرهم ، لما نعلمه من براءتهم " (٣) نحن رآه

(١) ابن الصغر ، أخبار الأئمة الاثني عشرين ، ص ٣٦ .

(٢) ابن الصغر ، مصدر سبق ، ص ١٢ - ١١ .

(٣) إن تعميم الحكم على الإباضية بأنهم يبرأون من الإمام علي - كرم الله وجهه - بعد قراءة مستقاة لثرائ الإباضية ، فهذا يمثل قولاً واحداً من أئمتهم ، فهناك أيضاً من الإباضية من يرى توبة الإمام علي وتعمه على قتله أهل النهروان ، وقد أورد البرادي (حي : ٨٨١٠ / ١٤٠٧م) في (الجوهر المنتقى) وكذلك الشامي (ت : ٩٢٨هـ / ١٥٢٢م) في سيرة عدة نصوص وتضع فيها جلياً ندم الإمام علي وحسرتة لقتله أهل النهروان ، من ذلك قول الإمام علي في أهل النهروان : " والله إن كنتم لأصحاب النار يوم الدار وأصحاب الجمل يوم الجمل وأصحاب صفين يوم صفين ، وأصحاب القرآن إذا قلى القرآن " ، وعن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس قال : " حدثني قنبر مولى علي قال : لما قتل علي أهل النهر توحدت أنا وإياد إلى النهر ليقتل ، فقال : فبينما نحن هناك إذ كب علي ينيكي طويلاً ، فقلت : ما بيكي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ويحك يا قنبر تدري من صرعا هنا ؟ خيل هذه الأمة وأقراءها ، فقلت : يا أمير المؤمنين أي واحد فبك ، فقال : ويحك يا قنبر جذعت أبنى وشغيت غيظي ، فغضب ينيكي طويلاً ، قال البرادي معناه على هذه الرواية : " وأظهر التذمة على قتله إياهم ، وعرف ذلك من حاله " ، وكان أصحاب علي يعاقبون على قتله لأهل النهروان ويبنون ندمهم وأسفهم على ذلك فيقولون له : " قتلتما قوماً ثم صرتم تعتزهم وتمجهم وتزين أمرهم " ، وعن عتب بن المغيرة عن الشعبي قال : فلما قدم علي الكوفة بعد قتل أهل النهر قال له ابنه الحسن : يا أبت هل قتلتما القوم ؟ قال : نعم ، قال : لا يرى لقتلهم الجنة ، قال : لئيت أني أسخطها ولو حبوا ، قال [أي الشعبي] : فبينما علي بالكوفة إذ اغتدك تلك الأصوات التي كان يسمعون بالليل كأنها دوي التحل ، قال : أين أسد النهر ورهبان الليل ؟ فقروا : قتلتما يوم النهر ، قال : هم قراؤنا ومجنهوننا " ، وكان الإمام علي يلقى التلثي ويستغفر لهم ويقول : " ما صنعنا قلنا خيرنا وقتلناهمنا " ، ويذكر ابن أبي الحديد (ت : ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م) نصاً عن الإمام علي ينهي فيه عن قتل الخوارج فيقول : " لا تقتلوا الخوارج بعدي ، فليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه " ، ويقول الشيخ محمد بن =

«شمن البطاشي» (ت: ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م): «ويبدو أن عليا تاب من قتلهم فإنه صنع لهم والدم توبة ولا عزة بما يرويه جبرنا»، ويقول مساحبة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي: «أما بقتنية للخلية الرابع الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله تعالى وجهه - فإن الإباضية لا يزينون عن حكاية ما حدث في عهده، ولا يتكلمون عن شمسة شينا، وهم أكثر الناس تقديرًا له واحترامًا لمصاحبه رسول الله ﷺ وأقربائه منه... وإذا جئنا إلى ما كتبه الإباضية في ذلك نجد كتابهم تنقسم بالأبواب والشمسة، وتعظيم مقام الإمام علي، واحترام قرأته من النبي ﷺ حتى في مقام الصلاة... وهكذا كان كلامهم كله يشر باحترام الإمام علي وتقديره، وإلما كانوا يمتقون على قبول التشكيك، ونحن نقول: إن قبوله التشكيك كان ليس عن رضى منه كما يتم عن ذلك كلامه بنفسه، وهذه القضية تحتاج إلى دراسة ولست أريد أن أخوض فيها وأتحدث عنها طويلا وإنما بحمسي ما قلته، والذي أصبح به بأن جميع الإباضية مستعدون أن يطروا مسحاتك تلك التي أحدثت في عهد أصحاب رسول الله ﷺ، ولا يتصوروا فيها ببنت شفة، ولا يخطوا فيها حرفا واحدا، ولكن لا بد من احترام أهل الفيرون أيضا وعدم التقليل منهم، فوجب على المسلمين جميعا أن يتابعوا على الكف عن الخوض في تلك الفتن حتى تعود للمسلمين وحديثهم، ولا يهروا أشتيا حدثت قبل أربعة عشر قرنا هم في الفتن على عن إثارته في هذا العصر الذي هم فيه أحوج ما يكونون إلى ما يجمع الشمل ويؤلف بين القلوب والله تعالى ولي التوفيق». وبحول البراءة من الإمام علي - كرم الله وجهه - فإنه ينبغي التأكيد على أن الذين لا يؤمن بالاشخاص، وإنما هو ما وافق كتاب الله تعالى والسنن الصحيحة الثابتة، والحق لا يقتل بحب قاتل أو بغضه، فليس حب الإمام علي أو بغضه وليس موافقة الإمام علي أو مخالفته هو الميزان الذي يوزن به الحق! وإنما الميزان هو الموافقة للقرآن الكريم والسنن النبوية الثابتة حتى وإن خلف زيدا أو عمرا، ولو كان الميزان على بن أبي طالب لما خرج عليه طلحة والزبير وعائشة أو المؤمنين يوم الجمل، ومعاوية وعمر بن الخطاب، وكذلك لما عارض عليه عمار بن ياسر وأهل الفيرون ولم يوافقوه على التشكيك وبهم كبار الصحابة وقرأهم، وكذلك لما فرقه ابن عباس بعد منطلقاته لأهل الفيرون، ولم يشترك معه في قتلهم، ولو كان علي هو الميزان للحد لما وجدنا بعض كبار التابعين كالعم بن الصرير ينكر عليه قبوله التشكيك ويقول كما ينكر القسود: «لم يزل أمير المؤمنين علي - رحمه الله - يتعرق العسر، ويساعده الظفر حتى حكم، ثم حكم بالحق منك، إنما تمضي لئلا لا أبا لك وأنت على الحق»، وكان ملك بن أس بنكر عثمان وعليًا وطلحة والزبير فيقول: «والله ما اعتبرا إلا على الشريد الأعقر»! وصوما بخصوص موقف الإباضية من الإمام علي - كرم الله وجهه - فإن لفصل فيه هو كلام مساحبة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي وقد مر نكرة. (انظر: هاشم بن غيلان، السير: سيرة هاشم بن غيلان إلى الإمام عبد الملك بن حميد (مخ)، ورقة ٣٢٤. خالد بن كحطان، السير والحوادث: سيرة أبي كحطان، ج ١، مخ: سيرة إسماعيل كاشف، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ط ٢، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م، ص ١٠٧. القلبي، الكشوف والبيان، ورقة ١٠٦. نقلا عن: عوض خليفات، نشأة الحركة الإباضية، ص ٦١. البرادي، الجواهر المتفككة (مخ)، ص ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤. الشماخي، السير، ٥١/١، ٥٢. جميل بن خنيس السعدي، قاموس الشريعة الحادي طرقها الوسيعة، ج ٧، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، ١٤٢٠هـ / ١٤٢٠م، ص ٢٠٩-٢١٠. عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحنيد، شرح نهج البلاغة، ج ٥، مخ: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م، ص ٧٨. خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج ١، مركز التراث، التاريخ، الإصدار الثاني، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨. أحمد بن يحيى بن جابر البجلي، أنساب الأشراف، ج ٢، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ٢٦٦. فليبد، الكامل في اللغة والأدب، ١٤١٦/٢-١٤١٥-١٤١٤. محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري، ج ٣، مركز التراث، التاريخ، الإصدار الثاني، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، ص ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨. أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد المفرد، ج ٥، مخ: عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م، ص ١٠٤. ابن كثير، البداية والنهاية، ٢٣١/٧، ٢٣٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤. محمد بن شمس البطاشي، فكتف عن الإسماعية في اختلاف الصحابة، مكتبة الضامري، الطبعة، سلطنة عمان، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٢. أحمد بن حمد الخليلي، موقف الإباضية من الخليفتين عثمان وعلي، شريط سمعي، تسجيلات مشرق الأنوار، روي، سلطنة عمان - لقاء مجلة جبرين مع مساحبة الشيخ الخليلي حول الصودرة الإسلامية، مجلة جبرين: مجلة نصف سنوية تصدرها اللجنة الثقافية بنادي طلبة عمان في الأردن، موقع مكتبة الندوة، صفحة مساحبة الشيخ، لقاءات ومحاورات، على هذا الرابط <http://www.aladwa.net/alkhalili/jabreen.htm>) - ناعمر بن سليمان قاسبي، الخوارج والموقف الغائب، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، سلطنة عمان، ط ٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ص ٨٧-٩١).

رسول الله ﷺ وقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(١) وقد كان يعيش في تَهْرُوت العاصمة الرسمية في عهد الإمام أبي القحطان محمد بن الأفلح (حكم: ٢٦١هـ / ٨٧٤م - ٢٨١هـ / ٨٩٤م)^(٢).

وليس هذا فحسب بل كان يعيش في الدولة الرسمية أصحاب الديانات الأخرى كاليهود والنصارى، وكانوا يعملون في مهن مهمة كالطب والتجارة والصناعة خاصة صناعة أصباغ النسيج، وقد كانت للنصارى كمية واحدة على الأقل يمارسون فيها عبادتهم^(٣).

(١) ابن الصغير، أخبار الأئمة الرسميين، ص ٣١. والرواية التي استدل بها ابن الصغير رواها الترمذي من طريق زيد بن أرقم بنسب اللفظ حديث رقم: ٢٧٢٢، ورواها ابن ماجه من طريق سعد بن أبي وقاص بنسب اللفظ حديث رقم: ١٢٦١، من طريق البراء بن عازب بنسب اللفظ: «فهذا ولي من أنا مولاه، اللهم وال من والاه، اللهم عدل من عاداه» حديث رقم: ١١٦٦ والحقيقة أن هذه الرواية طعن في صحتها عدد من أهل العلم، قال ابن حزم: «وأما «من كنت مولاه فعلي مولاه» فلا يصح من طريق الثقات أصلاً»، وقال ابن تيمية: «وأما قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فليس هو في الصحاح، لكن هو مما رواه العلماء، وتنازع الناس في صحته، فنقل عن البخاري وإبراهيم الحاربي وطهفة من أهل العلم بالحديث أنهم طعنوا فيه وضطروه، ونقل عن أحمد بن حنبل أنه حمله كما حمله الترمذي»، وقال: «أي ابن تيمية: - «وأما الزيادة وهي قوله: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه...» إلخ فلا ريب أنه كذب»، وقال الزيلعي: «وكم من حديث كثرت رواته وتحدث طرقه، وهو حديث ضعيف؟ كحديث: الطور، وحديث الحاجم والمحموم، وحديث: من كنت مولاه، فعلي مولاه، بل قد لا يزيد الحديث كثرة الطرق إلا ضحاً». ومن أهل العلم من أوله بمعنى أن علياً يتولى من يتولى الرسول ﷺ ويحسب من يحمله ﷺ، قال القرطبي: فعلي يتولاه»، وقد طعن فيه أبو داود السجستاني وأبو حاتم الرازي وغيرهما من أئمة الحديث، ولم يذكر في البخاري ومسلم وأضرابهما، وأيضاً المولى بمعنى: الناصر، يدل على آخر الحديث، وأيضاً لم يُعرف في العربية «مفعول» بمعنى: «أفعل»، فلا يقابله أول الحديث المذكور فيه لفظ «أولى» فيحمل على آخره، وأيضاً لم يصح أن المولى بمعنى: الأولي، فلفظ المعنى: أولى بأمر من الأمور، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَى الْإِنْسَانِ بِإِثْرِهِمْ﴾ [العرش، من الآية: ٦٨]، وتقول: «نحن أولى بمطللنا، وأولى باستقلنا» وليس المراد التصرف، وأيضاً يصح الاستفسار في أي شيء هو أولى، والتقسيم: هو أولى إنفاً في كذا وإمناً في كذا، كالنصرة أو تكبير المال أو التصرف، فيظهر مما سبق أن هذه الرواية لا تجمع عليها طوائف الأئمة ومدارسها الإسلامية، فهي غير موجودة في كتب الرواية الإخبارية، وقد ثبت لنا من خلال كلام العلماء تنازع أهل الحديث بين محسن ومضطرب لها، وقد انفردت المدرسة العلوية بتسجيحها وأدعاء تواترها، فهي غير ملازمة للأئمة، ولا يمكن الاحتجاج بها. (انظر: محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان، ط ١: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٤م، ص ٩٧٨ - محمد بن يزيد القزويني، نصب الرتبة لأصحاب الهداية، موقع نداء الإسلام (www.al-ndaa.com)، ١١٥٩/١ - محمد بن عبد الرحمن الصبري، تحفة الأئمة بشرح جامع الترمذي، ج ١٠، ط ١: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٢٠١ - ٢٠٢ - محمد بن يوسف الطيفي، كلب الأئمة، شرح عقيدة التوحيد، ط ١: ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، ص ٢٠١ - مصطفى بن الناصر ويثين، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، ط ١: ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، ص ٦٠٤ - ٦٠٥).

(٢) ابن الصغير، مصدر سبق، ص ١٤.

ولقد اهتم أئمة الدولة الرستمية بالجانب الاقتصادي لدولتهم ، فاهتموا بالزراعة وكانت تكثر فيها البساتين وزراعة الحبوب والعصفر والكثبان والسمن والخيل والبن والزيوت ومختلف الفواكه ، فكانت تدر عليهم أرباحاً طائلة ، وقد كانت تكثر فيها الأنهار ، وأقام الرستميون خزانات وأحواض للماء كبيرة اكتشفها الأثريون ، وكانت محكمة التصميم والهندسة ، لبحالطوا على الماء أيام الجفاف ، بل إنهم أوصلوا الماء إلى البيوت عن طريق الأنابيب وشق القنوات ^(١) . واهتموا كذلك بالرعي وتربية الماشية ، لكثرة المراعي الخصبة في الدولة الرستمية ، فكانوا يربون الغنم والبقر والجمال والخيول والغال والحمير ، حتى أن اليعقوبي وصف بعض مناطق الدولة الرستمية بأنها : " بلد زرع وضرع " ^(٢) .

كانت تربية الماشية راجحة ، وتصدر إلى الدول المجاورة ، وكانوا يستغلونها في إنتاج الصوف ^(٣) ، قال ابن حوقل يصف الماشية في تيهرت وأحوازا : " وهي أحد معادن الدواب والماشية والغنم والغال والبزادين القواحية ، ويكثر عندهم العسل والسمن " ^(٤) . حتى أن بعضهم كان يمتلك مئات الآلاف من الماشية ، التي كانت عماداً لبيت مال المسلمين ، قال الإمام عبد الوهاب : " لولا أنا ومحمد بن جري وببيب بن زلفين لحرب بيت مال المسلمين : أنا بالذهب ، ومحمد بن جري بالحرث ، وابن زلفين بالأنعام " ^(٥) .

وكذلك كان لهم اهتمام كبير بالصناعة ، فكانت توجد في الدولة الرستمية العديد من الصناعات والحرف كالنجارة والحداقة والخياطة والدباغة والطحن ومعاصر الزيتون ، وصناعة السفن والقوارب ، وصناعة الزجاج والفخار والتحف والعطور ، وأخشب المنحوت والمخطوط

(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٧٩ - الدرر جني ، طبقات المشايخ ، ٣٠٣/٢ - بحار ، الدولة الرستمية ، ص ١٦٨ ، ١٧٦ ، ٣٧٣ .

(٢) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ - الدرر جني ، مصدر سابق ، ٨٥/١ ، ٢٩٣/٢ - الشماخي ، المصدر ، ١٧٤/١ ، ١٨١ - أبو القاسم بن حوقل التميمي ، كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م ، ص ٧١ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٢ - المقمسي ، أحسن التقاسيم ، ص ١١٤ ، ١٨٩ - أحمد بن أبي يعقوب بن واضح البغوي ، كتاب فلبان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م ، ص ١٠٣ ، ١١١ - البزارني ، الآزهار ، ١٩/٢ - الهامش - بحار ، مصدر سابق ، ص ١١٢ - ١٥٨ .

(٣) يعقوبي ، مصدر سابق ، ص ١١٢ .

(٤) بحار ، مصدر سابق ، ص ١٥٨ - ١٦٣ .

(٥) ابن حوقل ، مصدر سابق ، ص ٨٦ .

(٦) الشماخي ، مصدر سابق ، ١٧٧/١ .

والموه والمرصع بالعاج أو الصدف ، وصناعات الذهب والفضة ، حتى أنها كانت تضرب منها الدراهم والدنانير ، فكانت لها عملاقا الخاصة التي كشفت عنها الآثار ^(١) .

وقد اهتم الرستميون بالتجارة بما اهتمام ، فأنشأوا الأسواق في مختلف المدن ، ففي تِهْرْت مثلًا يذكر البكري (ت : ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) عن الوراق (ت : ٣٦٢هـ / ٩٧٢م) أنهما أسواقا عامرة بمختلف البضائع ^(٢) ، وكانت هذه البضائع والمون تأتي من داخل الدولة نفسها أو من الدول الأخرى عن طريق العلاقات التجارية ، حيث إنه كانت للدولة الرستمية علاقات تجارية مع الكثير من الدول كالأندلس ومصر وبلاد السودان وغيرها من الدول في المشرق والمغرب ، فكانت القوافل التجارية تخرج من الدولة الرستمية محملة بشئ أنواع البضائع والمون إلى تلك الدول ، وتعود كذلك محملة بالبضائع التي تنتج في تلك البلاد ، وكانت تجارة الذهب وبيع الرقيق رائجة في ذلك الوقت ، وللدولة الرستمية نشاط كبير فيها ، ووصل النشاط التجاري في الدولة الرستمية إلى درجة التخصص في الأسواق ، فكان لها سوق النحاس ، وسوق الأسلحة ، وسوق الصاغة ، وسوق الأقمشة ، وغيرها من الأسواق ^(٣) .

وقد قام الأئمة الرستميون بإنشاء بيوت للأموال في مدن الدولة الرستمية ، وبيت مال مركزي في العاصمة تِهْرْت مع دار للزكاة ، وكانت موارد بيوت المال تختلف عن موارد دار الزكاة ، فدار الزكاة موردها هو أموال الزكاة فقط ، وكانت تصرف لمستحقيها الشرعيين الذين حددتهم الله تعالى في كتابه في قوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهِ وَالْمُؤَلَّفَةِ لِقَوْلِهِمْ وَلِیِ الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَلِی سَبِيلِ اللَّهِ وَأَمِّن السَّبِيلِ لِرِیْضَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ ^(٤) .

(١) ابن الصغیر ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٦ ، ٣٨ ، ٦١ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٥ - الدرر الجني ، طبقات المشتمع ، ٢ ، ٣٠٣ ، ٥١٧ - الشماخي ، المسير ، ١٧٧/١ - الطوقی ، كتاب البلدان ، ص ١٠٢ ، ١٠٩ - البیرونی بقا ، الأزهري ، ١٠ ، ١٦ ، ١٩ ، الهامش ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٧ - أبو الريح البرونی ، مختصر تاریخ الإباضية ، ص ١٢٠ - سجل الدولة الرستمية ، ص ١٤٠ ، ص ١٦٤ - ١٧٤ ، ص ١٨١ .

(٢) بحار ، مصدر سابق ، ص ١٧٥ .
(٣) ابن الصغیر ، مصدر سابق ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٨٣ - الدرر الجني ، مصدر سابق ، ٣٧٠/٢ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٧٧/١ ، ١٩٠ - الطوقی ، مصدر سابق ، ص ١١٥ - عبد الله بن عبد الله بن خرداذبة (أبو القاسم) ، للملك والمملك ، تاج محمد مغزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ص ٦٠ - ٧١ ، ٨١ - ديوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ٢٨٢/٣ - محمد صالح ناصر ، دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا ، مكتبة الضامري ، الدريب ، سلطنة عمان ، ص ١٢ ، ٣١ - بحر ، مصدر سابق ، ص ١٧٥ - ١٧٩ ، ١٨٨ ، ١٩١ - ٢٢٧ ، ٢٣١ .

(٤) سورة التوبة ، آية رقم : ٦٠ .

وأما دور الأموال فكانت مصادرها الجزية وخراج الأراضي والضرائب والرسوم التي تؤخذ على القوافل التجارية والتجار والحرفيين ، وكانت أموال هذه الدور تسخر في أجور الموظفين في الدولة ، وفي بناء المساجد والطرق والأسواق ومصالح المسلمين ^(١) .

أيضا فإننا نجد أن الرستميين اهتموا بالجانب العلمي والفكري اهتماما كبيرا ، ولا أدل على ذلك أن من الشروط الأساسية في إمام الدولة حتى يتم انتخابه ، أن يكون عالما بأمر الشريعة والسياسة والحكم ^(٢) .

فاهتمت الدولة بإنشاء المؤسسات التعليمية كالكتّاب - أماكن للتعليم - وكذلك إقامة حلقات العلم في المساجد سواء في التفسير أو الحديث أو الفقه أو اللغة وغيرها من العلوم ، حتى أن أئمة الدولة الرستمية كانوا يساهمون في التعليم بأنفسهم ولا يأخذون من ذلك أو يتكبرون ، فنجد الإمام عبد الوهاب قضى سبع سنوات يعلم الناس أمور الصلاة في جبل نفوسة ، والإمام الفتح الذي دارت عليه أربع حلقات للعلم قبل أن يبلغ الحلم ، والإمام أبو القيثان الذي كان مجلسه يفضى بالناس طائفة تصلي وطائفة يقرأون القرآن وطائفة يتدارسون فنون العلم ^(٣) .

وكذلك اهتمت الدولة الرستمية بإنشاء المكتبات العلمية الزاخرة بمختلف فنون العلم والآثار ، ومن مكنياها المشهورة مكتبة (المَعصُومَة) بَنَهَرَتْ ، التي كانت تحوي آلافًا من المجلدات والكتب وذخائر الآثار ^(٤) ، أوصلها بعض الباحثين إلى ثلاثمائة ألف مجلد ^(٥) ، فكانت تحوي بين روافها كتبًا في علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وتوحيد ، وكتبًا في الطب والرياضيات

^(١) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٤٠ . الشماخي ، السيرة ، ١٦٦/١ ، ١٦٦ - بحار ، الدولة الرستمية ، ص ٢٢٧ - ٢٤٥ .

^(٢) يشترط الإلمامية في الإمام أن يكون رجلا ، معلما ، ورعا ، ملهم المولى والعقل ، ليست به عاهة ، وأن يكون حرا ، بلغا ، مستقما بمؤهلات القيادة من الإقدام وحسن السياسة والحكمة وسعة الصدر وربطه بالجاهل وعلو الهمة ، والخبرة بطرور الدين والدنيا ، وأن يكون عالما مجتهدا ، أو أن يكون من حوله علماء يستمد منهم خبرته ويرجع إليهم في حل المشكلات (انظر : محمد الطغيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ٥٩٢ - أحمد الخليلي ، شرح منظومة غلبة المراد ، ص ١٦٧) .

^(٣) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ ، ١١٧ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٤٧ - الدرر جني ، طبقات الشماخي ، ٦٦/١ ، ٨٢ - الشماخي ، مصدر سابق ، ١٤٠/١ ، ١٦٦ ، ١٨٩ - دبور ، تاريخ المغرب الكبير ، ٤٠/٣ - بحار ، مصدر سابق ، ص ١١٨ - ٢٨١ - بحار والخرون ، معجم أعلام الإلمامية ، ٦١/٢ ، رقم الترجمة : ١١٦ ، ٢/ ٢٨٢ ، رقم الترجمة : ٦٠٩ ، ٣٥٩/٢ ، رقم الترجمة : ٧٨٤ .

^(٤) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ١٧٠ - الدرر جني ، مصدر سابق ، ٩٤/١ - ٩٥ .

^(٥) دبور ، مصدر سابق ، ٣٩٦/٣ .

والهندسة والفلك والتاريخ واللغة وغيرها من العلوم المختلفة^(١) ، ومن المكتبات الأخرى المشهورة (خزانة نُفُوسَة) الجامعة لآلاف الكتب^(٢) .

وكذلك لم تخل منازل العلماء في الدولة الرستمية من وجود المكتبات الخاصة ، إلا أن المصادر لا تذكر الشيء الكثير عن هذه المكتبات ، ولكن بالرغم من ذلك وردت إشارات في بعض المصادر يمكن أن نستنتج من خلالها كثرة المكتبات الخاصة في مختلف ولايات الدولة الرستمية ، فمن ذلك ما ذكره الدرجيني عن أبي العباس أحمد بن محمد القُرْطُطَانِي الثُقُوسِي (ت : ٥٠٤ هـ / ١١١١ م) عندما كان يطلب العلم بجبل نُفُوسَة ، وجد بمكتبات أَمْسَتَان - قرية واقعة بجبل نُفُوسَة - فقط ثلاثة وثلاثين ألف جزء من كتب المشاركة^(٣) ، فعكف عليها واختار أحسنها فأسدده وقرأها^(٤) .

ومن المكتبات التي حفظت لنا المصادر شيئا عنها ، مكتبة توجد في قرية تُمُوئُت بجبل دُمُر - جبل الحارِثِيَة حاليا بنجوب تونس - ، حيث ذكرت المصادر أن مجموعة من الطلبة من جِرَّة قالوا : " أردنا الطلوع إلى جبل دُمُر لدراسة الكتب بَتُمُوئُت ... فشيئنا أبو زكرياء يحيى ونحن خارجون من جِرَّة إلى جبل دُمُر ، فحشا على العلم ، وقوى عزائنا على الذهاب إلى تُمُوئُت ، وأشرعنا بواجبنا ، فقال : " إن رجعتم إلى أهليكم على هذه الحال ، فأنتم كمن ترك الإسلام عمدا " ^(٥) . وقد استنج الشيخ دبور إمكانية أن تكون تُمُوئُت مكتبة تحوي على عدد من الكتب ورغب الطلاب في قراءتها^(٦) .

^(١) أبو زكرياء ، سير الأنبياء ، ص ١٧٠ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٩٤/١ - ٩٥ .

^(٢) الهروي ، الأزهري ، ٢٠٩/٢ - بحار ، الدولة الرستمية ، ص ٢٨٩ .

^(٣) المشاركة أو أهل المشرق : مصطلح يستعمله إباضية المغرب ويقصدون به إباضية المشرق بالبصرة والحداد ومصر وصقل ولبنان وخراسان ، وفي المقابل فإن إباضية المشرق يطلقون على إباضية المغرب : المغاربة وأهل المغرب (انظر : ابن سالم ، بدء الإسلام ، ص ١١٠ ، ١٣٥ - مجموعة علماء ، السير (مخ) : كتاب الإمام أبي عبيد مسلم وحاجب الطائي إلى أهل المغرب في قضية الحارث وعبد الجبار ، ورقة ٢٧٥ - مجموعة علماء ، السير والجوابات : مسيرة الشيخ محمد بن محبوب إلى أهل المغرب ، ج ٢ ، مخ : سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ٢٣٣ - ٢٦٨ - أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٨٤ ، ٨٩ ، ٩٩ ، ١١٥ ، ١٢٥ - الدرجيني ، مصدر سابق ، ١٩/١ ، ١٦ ، ٢٩٢/٢ - البرادي ، الجواهر المنقاة (مخ) ، ورقة ٢١٨ ، ٢١٩ - عبد الله بن حميد المالبي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج ٢ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، ص ٢٦١ - ٢٦٢) .

^(٤) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٤٤٥/٢ .

^(٥) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٤٢٧/٢ - الشافعي ، السير ، ٨٢/٢ .

^(٦) دبور ، تاريخ المغرب الكبير ، ٤٠٣/٣ .

وهذه النهضة العلمية لا بد وأن يواكبها نهضة في مجال التأليف ، فحازت الدولة الرسمية لصب السبق في ذلك ، فقدّم أئمتها وعلمائها للأمة الكثير من المؤلفات في مختلف فروع العلم سواء الدينية أو الدنيوية ، وكان أئمة الدولة الرسمية في مقدمة الركب في ذلك ، كالإمام عبد الرحمن الذي ألف كتابا في التفسير ، وكتابا جمع فيه خطبه ، والإمام عبد الوهاب الذي ترك لنا كتابا يعرف بـ (كتاب مسائل نفوسة)^(١) ، وأما الإمام أفلح فقد ترك الكثير من المؤلفات منها ما طبع والكثير لا يزال مخطوطا^(٢) ، ويذكر البرادي أنه وقف على سفر كامل يضم أجوبة لأئمة الدولة الرسمية ومن ضمنهم الإمام أفلح^(٣) ، وكان له عناية بالحديث وروايته^(٤) ، وإذا جئنا إلى الإمام أبي اليقظان نجدّه كان من المكثرين في التأليف ، فيذكر الدرجي أنه ألف تأليفا مشتملا على أربعين جزءا في الاستطاعة^(٥) ، ومن مؤلفاته كذلك (رسالة في خلق القرآن) وغيرها من المؤلفات^(٦) .

هذا بالنسبة لأئمة الدولة الرسمية ، وأما علمائها فحدث عنهم في مجال التأليف بلا حرج ، ولا يتسع المقام هنا في هذا البحث المختصر لتسليط الضوء على مؤلفات علماء الدولة الرسمية ، ولكن نخص من بينهم بالذكر - للتبثيل لا الحصر - الشيخ العلامة هود بن مُحْكَم الهُواري صاحب كتاب (تفسير كتاب الله العزيز)^(٧) ، والشيخ العلامة عَمْرُوس بن فتح النفوسي ترك العديد من المؤلفات النفيسة ككتاب (أصول الدُّبُوتَةِ الصَّافِيَةِ) ، وكتاب (في الرد على الثَّائِكَةِ وأحمد بن الحسين) وغيرها^(٨) .

كذلك فإن الدولة الرسمية لم تقم بجانب العلوم العقلية كعلم الكلام وغيره ، فكانت تجري بين العلماء من مختلف المذاهب الإسلامية والتيارات الفكرية المناظرات والمناقشات العلمية بحرية

(١) قلم الشيخ إبراهيم محمد طلاي بتحقيق المكتب ، وطبع بالمطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، ١٩٩١ م .

(٢) بحار وأخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٦١/٢ ، رقم الترجمة : ١١٦ .

(٣) البرادي ، الجواهر المستنقاة (مخ) ، ورقة ٢١٩ .

(٤) أربعين بن حبيب الأزدي ، الجامع الصحيح ، ج ٢ ، مكتبة ميمط ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م ، ص ٢٥٠ - ٢٥٥ .

(٥) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٣١٩/٢ .

(٦) بحار ، الدولة الرسمية ، ص ٢٩٨ - ٣٢٩ - بحار وأخرون ، مصدر سابق ، ٦١/٢ ، رقم الترجمة : ١١٦ .

(٧) ٢٤٨/٢ ، رقم الترجمة : ٥٤٤ ، ٢٨٣/٢ ، رقم الترجمة : ٦٠٩ ، ٣٥٩/٢ ، رقم الترجمة : ٧٨٤ .

(٨) نظر عنه المقال رقم (٤) من هذا الكتاب .

(٩) نظر عنه المقال رقم (٥) من هذا الكتاب .

تامة وبلا تضيق ، وذلك أن الدولة الرسمية عاش في كنفها الكثير من أتباع المذاهب الإسلامية ، واليهود والنصارى كما ذكرنا ^(١) ، وبمدننا ابن الصغير عن ذلك فيقول : * من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم ، قربه وناظره اللفظ مناظرة ، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك * ، وابن الصغير نفسه كانت له مناظرات مع علماء الدولة الرسمية من الإباضية ^(٢) .

كذلك نجد أن الدولة الرسمية كان لها اهتمام بالأدب العربي من شعر ونثر ، فأما النثر فيظهر ذلك جليا من خطاب أئمة الدولة الرسمية ومراسلاتهم ، وأما الشعر فكان لهم نصيب فيه ولكن ليس كالتنثر ، ومن شعراء الدولة الرسمية الإمام أفلح بن عبد الوهاب ، ومن قصائده العصاة تلكم القصيدة الفريدة في فضل العلم والتي تقع في أربعة وأربعين بيتا ^(٣) ، يقول في مطلعها ^(٤) :

العلم أبقى لأهل العلم آثارا يريك أشخاصهم روحا وأبكارا
حي وإن مات ذو علم وذو ورع ما مات عبد قضى من ذاك أوطارا
ويقول ^(٥) :

اشدد إلى العلم رحلا فوق راحلة وصل إلى الآفاق أسفارا

ومن شعراء الدولة الرسمية الفحول شاعر تميَّزت بكر بن حماد الزياتي التميمي ^(٦) ، ومن شعره ^(٧) :

قف بالقبور فنادى الهامدين بها من أعظم بليت فيها وأجساد
قوم تقطعت الأسباب بينهم من الوصال وصاروا تحت أطواد
راحوا جميعا على الأقدام وابتكروا فلن يروحوا ولن يغدو لهم غادي
واثقه والله لسو ردوا ولو نظقوا إذا لقوا النقي من الفضل المزاد

^(١) بحار ، الدولة الرسمية ، ص ٣٢٩ - ٣٤٢ .

^(٢) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرسميين ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

^(٣) قام أحد الشعراء المعاصرين بتشطيبها ، وهو الرحالة الأديب الشيخ علي بن أحمد العماني عاش في أواسط القرن

الثالث عشر الهجري ، وتوفي في السودان في رحلة من رحلاته (انظر : الباروني ، الأزهري ، ١٨٩/٢) .

^(٤) الباروني ، الأزهري ، ١٩٠/٢ - بحار ، مصدر سابق ، ص ٣٦٠ .

^(٥) الباروني ، مصدر سابق ، ١٩١/٢ - بحار ، مصدر سابق ، ص ٣٦٠ .

^(٦) انظر مقال رقم (٧) في هذا الكتاب .

^(٧) الباروني ، مصدر سابق ، ٧٣/٢ - بحار ، مصدر سابق ، ص ٣٦٤ .

كذلك فإن تَبَهَّرَتْ تميزت بجمالها المعماري ، فكان لها القصور والبيوت والمساجد والأسواق والفنادق والحمامات يحيط بكل ذلك سور ، وكانت تمر خلالها المياه حتى تصل إلى البيوت ، ولقد تفنن الرستميون في بناء عاصمتهم حتى وصفت بعراق المغرب ، ويبلغ المغرب ^(١) .

وقد اهتمب المؤرخون والرحالة في وصف جمالها وحسنها ، وقد ذكرت شيئا مما ذكره المقدسي وابن الصغير ، ولستمع إلى ابن الصغير وهو يصف تَبَهَّرَتْ في عهد الإمام أفلح فيقول : * ... وضع في ملكه ، وابنى القصور ، واتخذ بابا من حديد ، وبني الجفان ، وأطعم لها أيام الجفاف ... وعمرت معه الدنيا ، وكثرت الأموال والمستللات ، وأتته الرفاق والوفود من كل الأمصار والآفاق بأنواع التجارات ، وتنافس الناس في البيان ، حتى ابنى الناس القصور والضباع خارج المدينة ، وأجروا الأفر ^(٢) ... * ^(٣) .

ومن أشهر مدن الدولة الرستمية : مدينة (تَبَهَّرَتْ) العاصمة ، ومدينة (وَهْرَان) ، ومدينة (شَلْفُ) ، ومدينة (العدير) ، والمدينة (الحضر) ، وغيرها من المدن ^(٤) .

وكان للمرأة دور بارز في الدولة الرستمية ، فهناك العديد من العالمات والمصلحات ، كأمثال أخت الإمام أفلح ، وأخت الشيخ غمروس ، اللتين تعدان من عالمات الدولة الرستمية ، ولا أدل على بروز المرأة في المجتمع الرستمي وانتشار العلم بينهن من كلام أحد أفراد الدولة الرستمية واصفا ذلك : * معاذ الله أن تكون عندنا أمة لا تعلم مولة بيت فيها القمر * ^(٥) ، هذا بالنسبة للإمام فما بالنا بالحرائر.

كذلك فإن أئمة الدولة الرستمية اهتموا بنشر الأمن والسلام في ربوعها ، وكان هم الولاية والقضاة الذين يعينون الإمام في تسيير دفة الحكم والحفاظة على حقوق الشعب ، وكانت لهم الشرطة التي تحافظ على الأمن والنظام في مدن الدولة وأسواقها ^(٦) .

^(١) الباروني ، الأذهار ، ٨/٢ .

^(٢) هكذا في الأصل ، وقد انتهت سيقا أن الأصح أن يقال : أنهار ونهر ونهور (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، نهر) .

^(٣) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٦٦ - ٦٢ .

^(٤) الباروني ، مصدر سابق ، ٤٥/٢ - ٦٦ .

^(٥) الشماخي ، المصنف ، ١٩٥/٢ .

^(٦) ابن الصغير ، مصدر سابق ، ص ٤٥ ، ٦٢ ، ٦٣ - الباروني ، مصدر سابق ، ١٦٤/٢ ، ٢١٩ .

وكان للدولة الرسمية مساهمة فعالة في نشر الإسلام في إفريقيا السوداء عن طريق ممارسة التجارة مع تلك المناطق التي لم تكن تعرف الإسلام قبل وصول تجار الدولة الرسمية حاملين معهم مثل الهدايا ، فمن هؤلاء العلماء التجار الشيخ عبد الحميد القرطبي (ق : ٣٢٥) ، وصفه الأزرقي بأنه " عالم كبير من أهل الدعوة " (١) ، ومنهم أبو يحيى بن أبي القاسم القرطبي (ق : ٣٢٥) ، الذي كان السبب في إسلام أحد ملوك بلاد السودان ، حيث إنه قام بدعوته إلى الإسلام وذكره بنعم الله عليه ، فأسلم الملك وحسن إسلامه ، وأسلمت الرعية بعده (٢) ، وقام الشيخ غفوس بن فتح بإرسال عالم كبير (٣) إلى بلاد السودان ليفقه أهلها في أمور دينهم (٤) .

وقد كان أئمة الدولة الرسمية يرسلون الوفود إلى ملوك السودان لتعزيز العلاقات التجارية والتفاهل بين الطرفين ، فمن ذلك ما قام به الإمام الفتح بن عبد الوهاب من إرسال محمد بن عرفة إلى ملك السودان هدية ، فأعجب ملك السودان هبة محمد بن عرفة وفروسته وصباحة وجه ، فقال له بلفظه ما ترجمته : " أنت حسن الوجه حسن الهبة والأعمال " (٥) .

ووصل مدى التأثير الثقافي للإباضية في بلاد السودان أن تأثرت الكثير من القرى السودانية بالمذهب الإباضي ، فتشرب بعض الكتب إلى وجود قرى عديدة تعتق المذهب الإباضي في السودان في القرن الماضي (٦) ، وذكر د/ إبراهيم بخاز عدم استبعاد الوجود الإباضي في بلاد السودان معتمدا على ما ذكره ابن بطوطة من مشاهدته في نهاية القرن السابع الهجري لجماعة من الإباضية يسكنون في قرية (زَاغَرِي) في بلاد السودان ، ويسمون (صَفْتُو) (٧) .

وقد أثبت الباحث شاخت (Schacht) استمرار الوجود الإباضي في بلاد السودان ، بناء على ما لاحظته في مساجد بعض مناطق بلاد السودان من وجود هندسات مشابهة تماما لما عند الإباضية في وادي مِزَاب أو وَارِجِلَان ، كإغراب المستطيل الشكل ، والفتحة ذات الشكل

(١) تهرنجيني ، طبقات المشايخ ، ٣٢٧/٢ .

(٢) الشافعي ، السير ، ٨/٢ - بخاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٤٥١/٢ ، ولم للترجمة ، ٩٨٢ .

(٣) لم تذكر المصادر التي وقعت بين يدي اسمه ، واكتفت بوصفه بأنه عالم كبير .

(٤) محمود إسماعيل ، الخوارج ، ص ٢٢٢ نقلا عن : بخاز ، الدولة الرسمية ، ص ٣٨٨ .

(٥) ابن الصخير ، أخبار الأئمة الرسميين ، ص ٧١ .

(٦) ليفيش ، إزهاق الباطل ، ص ٦٧-٦٨ نقلا عن : بخاز ، مصدر سابق ، ص ٣٨٩ .

(٧) محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ابن بطوطة) ، رحلة ابن بطوطة (تحفة التنظر في غرائب الأسفار) ، تلح : طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ص ٦٨٩ ، بخاز ، مصدر سابق ، ص ٣٨٩ .

المستطيل المخروطي ، وعدم وجود المنبر في بعض المساجد ^(١) ؛ بل إن بعض الرخالة من شباب عُمان أكد لي وجود قرى تمذهب بالمذهب الإباضي إلى اليوم في مالي والسفالي ، ومن تلك القرى قرية (بالفلاي) في مالي ^(٢) .

ولقد امتدت حدود الدولة الرسنية في فترة من فترات الزاهرة من حدود مصر شرقا إلى مدينة تلمسان في أقصى المغرب الأوسط غربا ^(٣) .

وبعد هذا العمر المديد وهذه الإنجازات الضخمة التي قدمتها الدولة الرسنية للأمة الإسلامية ، هجم عليها أبو عبد الله الشيعي داعية الفاطميين في سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م ، فدمرها وعاث فيها فسادا ، وقتل أهلها ، ولم يكف بذلك ، بل قام بإحراق مكتبة المعصومة بعد أن أخذ منها الكتب الرياضية والصناعية والفنية ، فقتل بذلك على تراث عظيم من تراث الأمة الإسلامية لحسبنا الله ونعم الوكيل ^(٤) .

وما قيل في رثائها ^(٥) :

علي طلل أقوى وأصبح أغبرا ^(٦)	علي عوجا بالرسوم وسلمنا
عفته الفوادي الراتحات فأقفرا ^(٧)	أما علي رسم بيهرت دائس
فدمرها المقدار فيمن تدمرا	كان لم تكن بيهرت دارا لمعر

^(١) ١٩-١١، p. Schacht J : Sur La Diffusion , opcit , نقل عن : بحار ، الدولة الرسنية ، ص ٢٨٩-٢٩٠ .
وانظر : محمد ناصر ، نور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا ، ص ٣٥-٣٩ .

^(٢) مكلمة حقنية مع الشيخ عبد الله بن مبارك العربي ، ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ٢٤ من إبريل ٢٠٠٥م .

^(٣) بحار وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢/٢٨٤ ، رقم الترجمة : ٦٠٩ .

^(٤) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٦٩-١٧٠ . الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٩٤/١ - ٩٥ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٥٩٨/٦ - ابن خلدون ، تزيين ابن خلدون ، ١٨١/٣ ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) - أحمد بن علي المقرئ ، اتعاظ الصفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، موقع الفوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٧ .

^(٥) ابن عذاري المرافقي ، البيان المغرب ، ١٩٩/١ ، لم يذكر ابن عذاري صاحب الأبيات ، وفكرها الباروني باشا نقلها عن ابن عذاري ، ولم ينف على قولها (انظر : الباروني ، الأزهري ، ٣٠٠/٢ - ٣٠١) .

^(٦) عوجا : أي أعطفا ومرأ وأليما ، يقال : عاج بالمكان وعليه ، عوجا وعوج وعوج : ضلف ؛ وعجت بالمكان أخرج أي أمت به ؛ يقال : عاج بالمكان وعوج أي : أقام وقيل : عاج به أي : ضلف عليه ومال والم به ومن عليه (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، عوج) .

أقوى : أي أقر وخلى ، يقال : قويت الدار قوا ، ولتوت بقوا إذا اقرت وخلفت ؛ والقى : القى من الأرض ، ابتلا القوا ياء طلبة للخرة ، وكسروا التاء لسجورتها للواء ، وأرض قواء وقواية ، الأخيرة تادرة : قفرة لا أحد فيها (انظر : ابن منظور ، مصدر سابق ، قوا) .

وقال الشيخ سليمان باشا الباروني (ت : ١٣٥٩هـ / ١٩٤٠م) في رثائها ^(١) :

فما نبك أطلالا تقلص ظلها وتندب آصار الذين بقوا ذكرا
 بني رستم من قام بالعدل ملكهم فأمست بهم تبهرت كالروضة الزهرا
 تحف بها الأنهار والزهر باسم يروض بسائين هي الجنة الخضرا
 أقاموا منار الدين دهرا وشيدوا معالهم واستهلوا البر والبحرا

هذه هي الدولة الرستمية الإسلامية ، والتي للأسف الشديد تجاهلها الكثير من المؤرخين والكتّاب القدماء أو اخذلّين ، وقد يذكرها البعض بقصد التحني عليها وتشويهها ، والتعظيم على الإنجازات العظيمة التي حققتها خدمة للأمة الإسلامية ، وكل هذا يعود إلى الأهواء السياسية ، والتعصب المذهبي المقيتة التي عادت على هذه الأمة بالشر والويل ، بالرغم من أن الدولة الرستمية أظلت بظلها الوارف مختلف المذاهب الإسلامية بل والديانات الأخرى ، فكانت حقوقهم محفوظة وكرامتهم مصانة .

ومن أمثال هؤلاء المؤرخين الذين ظلموا الدولة الرستمية ، وكان حري بأمنامهم الإنصاف : ابن عبد الحكم (ت : ٢٥٧هـ / ٨٨٨م) صاحب كتاب (فوح مصر والمغرب والأندلس) ، والبلاذري (ت : ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) صاحب كتاب (فوح البلدان) ، وحتى ابن خلدون الذي شهد له بالموضوعية لم يسلم من ذلك ^(٢) .

فعمى أن تكون هذه الأجيال الإسلامية الماركة في هذا الوقت قد أدركت هذه الحقيقة المرة ، وأدركت أن ما يعانيه المسلمون اليوم من ذل ومهانة وصغار على أيدي أعداء الأمة الإسلامية ، يعود في المقام الأول إلى المسلمين أنفسهم ، بسبب اشتغالهم بالتعصب المذهبي والتشيع على إخوانهم من غير مذاهبهم ، مما أدى إلى إغيار الصدور ، وفتت العلاقات بين المسلمين ، ففتح الباب على مصراعيه أمام أعداء الأمة ليعتوا في جسدها فسادا ، بعد أن أفككه ابتازها بصراعهم العقيمة ، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل وصل الأمر ببعض من ينسبون أنفسهم إلى الإسلام إذا

^(١) الفوايد : جمع ضافية ، والضافية : الضميمة التي تنشأ لغوة ، وقيل : الضميمة المشابة تنشأ عن غطر لغوة ، وقيل : لغوة سحابة تنشأ سحاباً (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، غدا) .

^(٢) انظر القصيدة كاملة في : الباروني ، الأزهر ، ٢٠٦-٢٠٧ .

^(٣) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستمين ، ص ٦ مقدمة المحققين .

أصيب أحد إخوانهم المسلمين من غير مذهبهم باعتداء سافر غاشم من قبل أعداء الإسلام ،
يفرحون لذلك ويسرون ، والله المستعان ، فهل من صحوّة من هذا السبات ، وهل من عودة إلى
قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ ^(١) .

^(١) سورة الأنبياء ، آية رقم : ٢٣ .

(٩)

حَرَكََةُ التَّأْلِيفِ عِنْدَ الْعُمَانِيِّينَ

فِي

الْقُرُونِ الْمَجْرِيَّةِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى

حَرَكََةُ التَّنْأِيفِ عِنْدَ الْعُمَانِيِّينَ فِي الْقُرُونِ الْهَجْرِيَّةِ الثَّلَاثَةِ الْأُولَى^(١)

إن التاريخ العماني تاريخ ذو شجون ، حوى الكثير من العبر والمعطات ، وبه الكثير من الأفراس والأفراح ، والتراث العماني تراث واسع ومتنوع ، يحتاج من الباحثين جهدا جبارا ومضيا لجمع شتاته وتسوية أوراقه .

ولقد ترك لنا أئمة عمان وعلمائها الكثير من المؤلفات والبحوث التي تحتاج إلى الأيدي الفنية من أبناء الأمة الإسلامية لإمطاة اللثام عنها ، ولنفص غبار الزمن وناسي الأجيال عن تلك المؤلفات العظيمة التي تركها لنا الأجداد .

ومما يتميز به التراث العماني التنوع والاتساع في التأليف ، فقد اهتم العمانيون بالكثير من فنون العلم ، فطرقوا أبوابها ووجلوا ميادينها وتسمنوا ذراها ، فادعوا في التأليف وأضافوا الجديد على ما تركه من سبقهم من العلماء .

لأننا لو تأملنا الكثير من فنون العلم سنجد أن براع العماني ساهم بشكل فعال في تلك الفنون ، وبشكل متقن ومتمكن ينم عن قوة علمية وملكة عقلية ، فنجد لهم المؤلفات في التفسير والحديث وعلوم القرآن والفقه وأصوله والنحو وعلوم اللغة والتاريخ والطب والفلك وعلوم البحار وغيرها من فنون العلم ، فالفروا في هذه العلوم المختصات والمطولات التي وصل بعضها إلى التسعين مجلدا كـ (قاموس الشريعة) للشيخ العلامة جُمَيْل بن حُيس السُّعَيْدي (ق : ١٣هـ)^(٢) ، بل وقاموا بنظم بعض العلوم خاصة في الشريعة واللغة ، وأقرب مثال لذلك

^(١) نشر هذا البحث سابقا في :

مجلة البنية ، العدد الثامن ، رمضان ١٤٢٥هـ / نوفمبر ٢٠٠٤م ، ص ٢٢٢ ، نشر جمعية التراث ، غرداية ، الجزائر .
جريدة الوطن ، مطبوعة صمان ، الجمعة ٢٦ من صفر ١٤٢٥هـ / ١٦ من إبريل ٢٠٠٤م ، العدد (٧٥٧٧) ، الصفحة ٢٤ ، وقطره كذلك على هذه الوصلة :

<http://www.alwatan.com/graphics/2004/04apr/16.4/dailyhtml/deep.html>

موقع الأمل المشرق (www.alaml.net) .

موقع الشبكة العمانية ، مجلة النين ، (www.omania.net) .

^(٢) جمّول بن حُيس المصعدي ، قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة ، ج ١ ، تع : عبد الحفيظ شلبي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م ، ص ٥ مقدمة المحقق - ضيفي ، معجم مصطلح الإباضية ، ص ٤١٤ - محمد صالح ناصر ، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) ، قرص مجمع ، جمعية التراث ، للقرارة ، الجزائر ، رقم الترجمة : ١٤٨ .

(جوهر النظام) للإمام عبد الله بن حميد السلمي (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) ، وتصل عدد أبياته إلى بضعة عشر ألف بيت ^(١) ، (و سلاسل الذهب) للشيخ محمد بن شامس البطاشي (ت : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م) ، الذي نظم شرح كتاب النيل للإمام محمد اطفيش (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) في ١٢٤ ألف بيت ، وانتهى من ذلك في سنة ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م ^(٢) .

دعونا من الكلام العام ونأت إلى الأمانة الحية لمستشهد بها على ما ذكرنا قبل قليل ، وسأكتفي بذكر بعض النماذج للتمثيل لا الحصر ، حيث إن المؤلفات العمانية في القرون الهجرية الثلاثة الأولى كثيرة ومتنوعة لا يستوعبها هذا البحث المختصر ، فهي تحتاج إلى دراسة موسعة مستقلة ، ولكن كما يقال : ما لا يدرك كله لا يترك جله .

لقد اهتم العمانيون بالتأليف منذ القرون الهجرية الأولى بل من القرن الهجري الأول ، فالإمام المؤسس للمذهب الإباضي الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي (ت : ٩٣هـ / ٧١١م) ترك لنا موسوعة علمية نفيسة تعرف بـ (ديوان الإمام جابر) في سبعة أجمال ، وقد غدّه بعض الباحثين أول من جمع الحديث في ديوان ، وغدّه من أوائل المؤلفين في الإسلام ، إلا أن هذا الديوان ضاع بسبب الفتن والحروب ^(٣) .

ولكن بقيت بين أيدينا نصوص من تأليفه ، فمن مؤلفاته التي حفظتها لنا يد القدر (كتاب النكاح) ، إلا أنه لا يزال مخطوطاً بالملكية البارونية بجزيرة جربة بتونس ، ولعله

(١) انظر : عبد الله بن حميد السلمي ، جوهر النظام في علمي الأحكام والأديان ، ج ١ ، تح : الشيخ إبراهيم الحري والشوخ أبي إسحاق إبراهيم الطيش ، مطبعة الأوزان الحديثة ، سلطنة عمان ، ط مقمنة أبي إسحاق إبراهيم الطيش . ضوئي ، معجم مصطلح الإباضية ، ص ٢٢٢ - محمد ناصر ، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) ، رقم الترجمة : ٧٨٩ .

(٢) ضوئي ، معجم مصطلح الإباضية ، ص ٣٢٢ - محمد ناصر ، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) ، رقم الترجمة : ١٢٣٥ .

(٣) محمد بن جعفر الأزكري ، الجامع لأين جعفر ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ص ٤٨ - أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٤٣ - ١٤٥ - محمد بن إبراهيم الكندي ، ببل الشرع ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج ٣ ص ٣٤٩ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ، ج ٥١ - ٥٢ ص ٤٣٢ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٨١/١ - ٨٢ - حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ١ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م ، ص ٧٨١ - يحيى محمد بكوش ، فقه الإمام جابر بن زيد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص ٧٥ - سامي ستر ، الإمام جابر بن زيد وأثره ، ص ١٢٥ - بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١٠٩/٢ ، رقم الترجمة : ٢٣٠ .

جزء من ديوانه المفقود ، وقد فهرسه د/ النامي في أطروحته ، وذكر عنه كذلك معلومات قيمة في رسائله حول المخطوطات الإباضية المكتشفة حديثاً^(١) .

ومن المؤلفات المنسوبة إليه (كتاب الصلاة) ، إلا أنه ليس من تأليفه ، بل رواه حبيب بن أبي حبيب الجرمي (ت : ١٦٢هـ) عن عمرو بن قُرم (ق : ١هـ و ٢هـ) عن الإمام جابر^(٢) ، وعمرو بن قُرم هو أحد تلاميذ الإمام جابر^(٣) ، والحقيقة أن (كتاب الصلاة) عليه بعض الملاحظات ، وذلك لاحتوائه على بعض الروايات التي تخالف كل ما روي عن الإمام جابر من طرف تلاميذ الملتزمين له كأبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة (١٤٥هـ / ٧٦٢م) وضمام بن السائب (حي : ١٠٠هـ / ٧١٨م) والربيع بن حبيب (توفي بين ١٧٥هـ / ٧٩١م - ١٨٠هـ / ٧٩٦م) وغيرهم ، فمن ذلك مثلاً إثبات الكلام في مواضع معينة من الصلاة^(٤) .

وإذا عدنا إلى ما قاله علماء الرجال في كل من عمرو بن قُرم وحبيب بن أبي حبيب ، نجد أن عمرو بن قُرم وثقه أحمد وابن معين وأبو حاتم وأبو داود السجستاني وابن حبان^(٥) ، وأما حبيب بن أبي حبيب فقد ضَعَفَهُ عدد من علماء الرجال قال الذهبي : فيه لين ما ، وعمره أحمد بن حنبل ، وقدح فيه يحيى القطان ، ونفى يحيى بن معين عن كتابته حديثه وصنعه^(٦) .

لعل هذه الروايات المخالفة للثابت عن الإمام جابر جاءت من طرف ابن أبي حبيب ، لعله خلط بين ما سمعه من عمرو بن قُرم وغيره ، خاصة أن الأخير وثقه عدد من علماء الرجال كما مر ، أو لعله خلط بين شيوخ عمرو بن قُرم ، لنسب ما رواه عمرو بن قُرم عن أحد شيوخه إلى الإمام جابر ، وهذا أظهر بدليل كلام المزني عند

(١) للنامي ، وصف مخطوطات إباضية ، ص ٤-٥ . نفس المؤلف ، دراسات عن الإباضية ، ص ٧٩ .

(٢) للنامي ، وصف مخطوطات إباضية ، ص ٥ . نفس المؤلف ، دراسات عن الإباضية ، ص ٧٩ .

(٣) يوسف بن عبد الرحمن المزني ، تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٥٤١ - الذهبي ، تاريخ الإسلام ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٨٢٢ - أحمد بن علي ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١١٢٢ .

(٤) لقاء مع خالد بن مبارك الوهبي ، مسقط ، مطبعة عمان ، ٢٢ من شعبان ١٤٢٦هـ / ٢٦ من ديسمبر ٢٠٠٥م .

(٥) المزني ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٥٤١ - الذهبي ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٨٢٢ - ابن حجر ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١١٢٢ .

(٦) المزني ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٧٥ - الذهبي ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٢٠٢ - ابن حجر ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٢٥ .

ترجمته لابن أبي حبيب قال : " قال عبد الصمد : كل شيء من الفرائض والمناسك فهو عن عمرو بن حُرَيم ليس عن جابر بن زيد " (١) ، وهناك تعليل آخر وهو أن يكون عمرو بن حُرَيم من صفار طلاب الإمام جابر ، فلم يلازم كثيرا ، فلعله حفظ عنه بعض الروايات والأقوال التي لم يصل إليها الإمام جابر إلى الاستقرار والفصل ، فلعله قال بما في مرحلة ما ثم تراجع عنها لوقوفه على ما يمدح ذلك القول ، والذي يؤكد ذلك قول الإمام جابر عندما أخبر بأن طلابه يكتبون آراءه : " إذا فقه وإذا إليه لراجعون ، يكتبون رأيا لعلني أرجع عنه غدا " (٢) .

والذي يؤكد كون عمرو بن حُرَيم لم يلازم الإمام جابر كثيرا عدم وجود ذكر أو ترجمة له في مصادر الإباضية وكتب الطبقات لديهم ، بعكس طلابه الآخرين كابي عبيدة والربيع وضام وغيرهم ، وإن كان هناك بعض الباحثين من اعتبر عمرو بن حُرَيم من أكثر الناس رواية عن الإمام جابر (٣) ، إلا أنه لم يذكر دليله على ذلك ، وكيف يقال عن عمرو بن حُرَيم أنه من أكثر الناس رواية عن الإمام جابر ولا نجد له ذكرا في مصادر الإباضية المتقدمة ، أو إشارة إلى هذه الحيزة التي تميز بها ، بعكس ما نشاهده عند ذكر الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة مثلا .

والحقيقة أنني لم أتمكن من معرفة ما إذا كان عمرو بن حُرَيم ينتمي إلى المدرسة الإباضية أم لا ؟ خاصة أنه أزدي بصري (٤) ، وكما هو معلوم أن البصرة كانت معقل الإباضية في القرون الهجرية الأولى ، وقبيلة الأزدي الخاصة بهم (٥) ، إلا أن الأظهر أنه لا ينتمي إلى المدرسة الإباضية ، ويوافقني على ذلك بعض الباحثين (٦) ، والذي يجعلني أميل إلى ذلك : أولا عدم الإشارة إليه في

(١) المعري ، تهذيب الكمالي ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٤٧٥ .

(٢) محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٢٨٢ - يوسف بن إبراهيم الوراقاني ، الدليل والبرهان ، ج ٢ ، تح : سالم بن حمد الحارثي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م ، ص ٧٧ .

(٣) إبراهيم بن أحمد الكندي ، جابر بن زيد كلام من أئمة الحديث ، ندوة من أعلامنا الأولى ، المديرية العامة للشلط الثقافي ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م ، ص ٢١٦ .

(٤) المعري ، مصدر سابق ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٥٤١ - الذهبي ، تاريخ الإسلام ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٨٢٢ - ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١١٩٢ .

(٥) محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ٢٤٨ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ٩٧ - ٩٨ .

(٦) لقاء مع خالد بن مبارك الوهبي ، مسقط ، سلطنة عمان ، ٢٢ من شعبان ١٤٢٦هـ / ٢٦ من سبتمبر ٢٠٠٥م .

المصادر الإباضية ، وثانياً أن كتب الرجال في معرض ترجمتها لم تُنشر إلى كونه ينتمي إلى الإباضية أو غيرها ؟ وفي العادة تشير إلى مثل ذلك :^(١) .

وعموماً فإن (كتاب الفصالة) لا يزال مخطوطاً بالمكتبة البازونية ، وقد ذكر د/ النامي عنه معلومات هامة في أطروحته ، وفي رسالته حول المخطوطات الإباضية ، وحققه تحقيقاً أولياً^(٢) .

ولالإمام جابر رسالة تحت عنوان (الرُّجُوف)^(٣) ، أشار إليها محبوب بن الرُّجُفيل (ق : ٢٠٠ هـ) في سيرته التي كتبها إلى أهل حضرموت في أمر هارون بن البنان (حي : ٢٢٦ هـ) ، واقتبس منها نصاً جاء فيه : " وجاء في الخروج الأعظم ، وأمر الهادي يتأدي هلم إلى ويكم ، وذكر أهل الجنة فقال : عبدوا رهم أخذانه ، ونسبهم بالكرامة ، وقال تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَهَبَ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾^(٤) " .^(٥)

والنص السابق يشير إلى بعض أحداث يوم القيامة ، فلا أدري هل رسالة (الرُّجُوف) خصصها الإمام جابر لمناقشة أحداث الآخرة ، خاصة وأن عنوانها (الرُّجُوف) ، وهو يأتي بمعنى

(١) علماء الجرح والتعديل في الغالب يشيرون إلى مذهب المترجم له خاصة إذا كان لا يوافقهم في الأيديولوجية المذهبية ، كان يكون إباضياً أو شيعياً أو غيرها من المدارس الإسلامية ، بل أحياناً يتفقون تلك ذريعة للتعليق فيه !! ، فمثلاً ابن حبان يقول : " مسلم بن عقيل ، ومسلم بن عمار ، ومسلم بن أبي كريمة ، ومسلم بن هرمز ، ومسلم مولى علي ، روى هؤلاء عن علي بن أبي طالب ، إلا أنني لست أعتد عليهم ، ولا يعجبني الاحتجاج بهم لما كلفوا فيه من للذهب الردي " ! ، وفي ترجمة أبي نوح صالح الدهان قال ابن معين : " قدي وكل يرمي بقول الخوارج " ! ، وقال ابن العديمي : " ضعيف يرى رأي الإباضية " ! ، وفي ترجمة أبي الحر علي بن الحسين قال ابن عبيدة : " رأيت علي بن حسين وكان يرى رأي الخوارج " ، وقال ابن حبان : " كان يذهب مذهب الشراة " (انظر : محمد بن إسماعيل البخاري ، التاريخ الكبير ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٧٠ - محمد بن حبان ، التلقات ، موقع مكتبة مصوب الدين ، (http://www.yasoob.com/books/html/m/٢١٢٤/no٢٤٥٨.html) ، ٤٠١/٥ - أحمد بن علي ابن حجر ، لسان الميزان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٧٠٢ - ١٠١٨ - ابن حجر ، تهذيب التهذيب ، ص ١٨٦ ، ٦٢٢) .

(٢) النامي ، وصف مخطوطات إباضية ، ص ٥ - نفس المؤلف ، دراسات عن الإباضية ، ص ٧٩ .

(٣) الرُّجُوف من رَجَفَ ، ويأتي على عدة معاني فمن معانيه : الاضطراب الشديد والزلزلة ، يقال : رَجَفَ الشيء يَرْجَفُ رجفاً ورجوفاً ورجفاناً ورجفاناً ورجفاناً : خفق واضطرب اضطراباً شديداً ، ورجفت الأرض إذا تزلزلت ، وفي التثنية : الرزف : ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتَّبَعُهَا الرَّاجِفَةُ ﴾ (سورة الفتح ، آية : ١ - ٧) ، قال الفراء : للراجفة الفلقة الأولى ، والراجفة الفلقة الثانية ، ويأتي بمعنى الفلقة والخوض في الأخبار الكاذبة ، يقال : رَجَفْتُ القوم إذا خاضوا في الأخبار للبيئة وذكر الفتن ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُرْجِفُونَ فِي النَّبِطَةِ ﴾ (سورة الأنعام ، من الآية : ٦٠) ، وهم الذين يؤكِّنون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس (انظر : ابن منظور ، لسان العرب ، رَجَفَ) .

(٤) سورة القمر ، آية : ٥٤ - ٥٥ .

(٥) مجموعة علماء ، السير والجوابات : سيرة محبوب بن الرُّجُفيل إلى أهل حضرموت في أمر هارون بن البنان ، ٢١٥/١ .

الزلزلة ويوم القيامة كما بنا في الهامش ، ولكن لا يمكن التكهن بذلك خاصة وأن للرؤوف معان أخرى كالفتنة مثلا ، وربما ذكر ذلك النص عرضا في رسالته ، فلا يمكن أن نتكهن بمحتوى الرسالة من خلال نص مجزأ . وقد بحث عن هذه الرسالة فلم ألق عليها ، فلعلها مفقودة ولم ين منها إلا إشارات العلماء المتقدمين إليها في نصوصهم ، ونقلهم بعض محتوياتها كما رأينا مع محبوب بن الرُّحَيل .

ومن آثاره كذلك مراسلات ومكاتبات وأجوبة لتلاميذه وأصحابه ، منها ثمان عشرة رسالة موجهة إلى الإباضية في عدة مواطن ، وتوجد نسخة مخطوطة من هذه الرسائل بالمكتبة البارونية ، ونسخة أخرى في مكتبة الشيخ صالح بن عمر بيني تَسَجَن بوادي مِزَاب بالجزائر ^(١) ، وقد قام الشيخ فرحات الجعيري بتحقيق هذه الرسائل تحقيقا أوليا ^(٢) .

وكذلك من آثاره (فقه الإمام جابر بن زيد) جمع وتحقيق الأستاذ يحيى بكوش ، وقد طبع مرتين ؛ وأخيرا (من جوابات الإمام جابر بن زيد) ترتيب الشيخ سعيد بن خلف الحاروصي وقد طبع بسلطنة عُمان ^(٣) .

وقد أكد الأستاذ بكوش أن للإمام جابر رحمه الله رسائل متفرقة موجودة اليوم في خزان الكتب ، فمنها ما هو في دار الكتب المصرية ، ومنها ما هو في وزارة التراث والثقافة بسلطنة عُمان ، ومنها ما هو في بريطانيا ، وفي المكتبة البارونية بجزيرة ، ولعلها جزء أو بعض جزء من ديوانه ^(٤) .

والإمام المحدث الرابع بن حبيب الأزدي (توفي بين ١٧٥ هـ / ٧٩١ م - ١٨٠ هـ / ٧٩٩ م) ^(٥) الذي تسلم إمامة المذهب الإباضي بعد وفاة شيخه الإمام أبي عبيدة

^(١) الثامن . وصف مخطوطات إباضية ، ص ٢٠٢ . فرحات الجعيري ، تحليل رسائل الإمام جابر بن زيد تمهيدا لتحقيقها ، الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان ، جامعة آل البيت ، وحدة الدراسات المعاصرة ، الأردن ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ٧٠ .

^(٢) انظر : الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٧٠ .

^(٣) عرض خلفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٨١ . بكوش ، فقه الإمام جابر ، ص ٧٥ . سامي سقر ، الإمام جابر بن زيد وآثره ، ص ١٧ . بعض وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١٠٩/٢ . رقم الترجمة : ٢٢٠ .

^(٤) بكوش ، مصدر سابق ، ص ٧٥ .

^(٥) سعيد بن مبروك التتويي ، الإمام الرابع بن حبيب مكانته ومصلده ، مكتبة الضماري ، السبيل ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م ، ص ١٦ ، ١٩ . صالح بن أحمد البوسجدي ، رواية الحديث عند الإباضية ، مكتبة الجبل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، ص ١٩ ، ٥٩ .

مسلم بن أبي كريمة التميمي (ت : ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) ، كذلك ترك لنا آثارا مهمة وقيمة فمما تركه :

- ١- مسند الإمام الربيع : وهو عمدة الإباضية في الحديث ، ويعوي حواشي (٧٤٣) حديثا ، ويعتبر سنده من أصح الأسانيد وأعلاها ، حيث إنه يروي فيه عن شيخه أبي عبيدة عن الإمام جابر بن زيد عن الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد يخرج عن هذا السند في القليل النادر .
- ٢- كتاب العقيدة : ويضم حواشي (١٤٠) أسرا ، وهي تشكل الجزء الثالث من ترتيب أبي يعقوب الوارجلاني (ت : ٥٧٠ هـ / ١١٧٤ م) المطبوع تحت اسم (الجامع الصحيح) .
- ٣- روايات الإمام أبي سفيان محبوب بن الرحيل (ت : في النصف الثاني من ق ٢ هـ) عن الإمام الربيع ، وهي تشكل بعض الجزء الرابع من (الجامع الصحيح) .
- ٤- آثار الربيع : كتاب ألفه تلميذه أبو صفرة عبد الملك بن صفرة (ت : أوائل ق ٣ هـ) ، جمع فيه روايات الإمام الربيع عن ضمام بن السائب (ق : ٢ هـ) عن الإمام جابر .
- ٥- آراؤه وأجوبته الفقهية : وهي ماثلة في كتب تلامذته ومن بعدهم كابي غانم الحارثاني (ت : ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م) صاحب المدونة ^(١) .

والإمام أبو سفيان محبوب بن الرحيل (ط : ٤ : ١٥٠ - ٢٠٠ هـ) ^(٢) ، ويذكر بعض الباحثين أن الغالب في وفاته أنها كانت في النصف الثاني من القرن الهجري الثاني ^(٣) ، تذكر بعض المصادر كالجواهر للبرادي (حي في : ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م) أن له كتابا ولم يشر إلى اسم الكتاب أو محواه ^(٤) ، وقد أشار إليه د/ النامي ولم يذكر له عنوانا ، ولكنه اكتفى بذكر (كتاب أبي سفيان محبوب بن الرحيل) وأشار أنه يحتوي على آراء الإباضية في الخوارج ^(٥) . وذكر د/ مبارك الرأشدي أن له كتابا في السير يروي عنه الدرر جني (ت : ٦٧٠ هـ / ١٢٧١ م) والشماخي (ت : ٩٢٨ هـ / ١٥٢١ م) سير الإباضية الأوائل ، ولكن للأسف

^(١) القنوبي ، الإمام الربيع مكانته ومسنده ، ص ٤٩ - ٥٠ . أبو سعدي ، رواية الحديث عند الإباضية ، ص ٥٦ .

^(٢) الدرر جني ، طبقات المشايخ ، ٢/ ٢٧٨ .

^(٣) محمد بن محمود الرحبي ، محبوب بن الرحيل حياته وآثاره ، نسخة مرقونة ، معهد العلوم الشرعية ، مسقط ، سلطنة عمان ، ٢٠٠١ م ، ص ٤٨ .

^(٤) البرادي ، الجواهر (مخ) ، ص ٢١٨ - السلمي ، السمة المرضية ، ص ١٩ .

^(٥) القاضي ، دراسات عن الإباضية ، ص ٥٠ .

الكتاب مفقود^(١) ، والظاهر أن الكتاب الذي أشار إليه د/ الرأشي هو نفسه الذي أشار إليه د/ التامي ، حيث إننا نجد د/ التامي يقول - مشيراً إلى اعتماد كل من الدرجيني والشماعي على كتاب أبي سفيان للحصول على معلومات عن الإباضية الأوائل - : " ... فيما احتفظ الدرجيني في طبقاته " بمعلومات مفيدة عن علماء الإباضية الأوائل من كتاب أبي سفيان محبوب " ، ثم علق في الهامش : " ذكرت المعلومات نفسها تقريباً عن أبي سفيان في سير الشماخي ، غير أنه لمنا نعلم هل يستخدم الدرجيني فقط أم أنه استطاع الحصول على عمل أبي سفيان الأصلي " ^(٢) .

وبالتلعل فإننا نجد الدرجيني في كتابه (طبقات المشايخ) يذكر نصراً نقلها عن أبي سفيان ، فيكاد لا تخلو صفحة من ذكره^(٣) ، والذي يظهر أنه ينقل تلك المعلومات من سيرة ابن محبوب التي كتبها في التابعين ومن بعدهم من أئمة الإباضية ، وقد أشار الدرجيني إلى هذه السيرة ووصفها وصفاً دقيقاً يتم عن اطلاعه عليها حيث يقول : " ومنهم محبوب بن الرحيل العبدى رحمه الله ، أحد الأخيار الأجبار ، ومن سبق إلى تغلب سِر السلف الأخيار ، وألف^(٤) مما يحصل عنده عنهم من الآثار ، وجمع ذلك في سلك واحد بين غرائب الفقه ، وعجائب الأخبار ، وذكر مناقب المجتهدين من مجاهدين في سبيل الله وأنصاره ، نه على مثالب من بدا منه إقصار ، والمشعرين التدابر ، والمولين الأدبار ، واعتل عن علمه واستحق قبول الاعتذار " ^(٥) .

ونجد محقق الطبقات إبراهيم طلاي أشار إلى أن الدرجيني يقصد هنا سيرة أبي سفيان وأنه نقل عنها ، فيقول : " يعني هذا سيرته التي كتبها في التابعين ومن بعدهم من أئمة الإباضية رحمهم الله ، وقد اعتمدها صاحب الطبقات ، ونقل عنه كثيراً وهو المعنى بأبي سفيان " ^(٦) .

ولن نذهب بعيداً عن الإمام محبوب بن الرحيل ، فإن ابنه الإمام أباه عبد الله محمد بن محبوب بن الرحيل (تولى سنة : ٢٦٠ هـ / ٨٧٣ م) ^(٧) ترك ثروة علمية ضخمة ، فمن مؤلفاته

(١) الرأشي ، الإمام أبو عبيدة وثقه ، ص ٢٤٢ .

(٢) التامي ، دراسات عن الإباضية ، ص ٥١ .

(٣) النظر مثلاً ٢/٢٠٦ ، ٢٢٥ ، ٢٧٥ وغيرها من طبقات المشايخ .

(٤) في الأصل : وألف مما يحصل عنده عنهم من الآثار ... إلخ . والذي يظهر أنه خطأ مطبعي والأصح (وألف) فيتمتع بذلك المعنى والد اعلم .

(٥) للدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٢/٢٧٨ - ٢٧٩ .

(٦) الدرجيني ، مصدر سابق ، ٢/٢٧٨ الهامش .

كتاب (الجامع) في الفقه يقع في سبعين جزءاً ، و (سيرته إلى أهل المغرب) وهي مختصرة ، ولا يزال مخطوطاً ^(١) ، وله كذلك رسالة في السنة ومصطلح الحديث تحت عنوان (أبواب مختصرة من السنة) كذلك لا تزال مخطوطاً ، وقد أشار إليها د/ مصطفى باجو في بحثه (تطور علم الأصول في المصادر العمانية) ^(٢) .

ولا زلنا مع أسرة آل الرحيل ، فمن تبع من هذه الأسرة العلمية الشيخ العلامة بشير بن محمد بن محبوب بن الرحيل (توفي تقريباً : ٢٧٣ هـ / ٨٨٦ م) ^(٣) فترك لنا كتباً ومؤلفات عديدة منها كتاب (البستان) في الأصول ، وكتاب (الرصف) في التوحيد ، وكتاب (أحكام القرآن والسنة) ، وكتاب (الإمامة) ، وكتاب (الحزلة) يقع في سبعين جزءاً ، وله كتب أخرى عديدة ^(٤) .

والشيخ العلامة موسى بن أبي جابر الإزكوي (توفي : ١٨١ هـ / ٧٩٧ م) ^(٥) ، ممن ألف في الفقه ، فيذكر الشيخ البطّاشي أنه يفهم من مؤلفات أصحابنا أن للشيخ موسى بن أبي جابر مؤلفات في الفقه لكن لم تصل إلينا ^(٦) .

ومن العلماء الذين ذكروا المصادر لهم مؤلفات الشيخ موسى بن علي الإزكوي (ت : ٢٣١ هـ / ٨٥٤ م) ^(٧) ، فمن مؤلفاته كتاب (الجامع) المسمى (جامع موسى بن علي) ، والظاهر أنه مفقود كما ذكر الشيخ البطّاشي ^(٨) .

^(١) سيف بن حمد البطّاشي ، إتحاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان ، ج ١ ، مكتبة المستشار الخلف للجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية ، سلطنة عمان ، مسقط ، ط ٢ : ١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ٢٥١ .

^(٢) الفريادي ، الجواهر (مع) ، ص ٢١٨ . للبطّاشي ، قواعد الإسلام ، ٥٦ / ٥٥ هـ - الهاشم - قاضي ، دراست عن الإباضية ، ص ٥٠ - الجعيري ، البعد الحضاري ، ص ١٠٧ - الهاشم - الجعيري ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، ص ٢٠ - فرافندي ، الإمام أبو عبيدة ، ص ٢٧ - الهاشم ، ص ٥٠ - الهاشم .

^(٣) د/ يحيى إبراهيم بكير و د/ حسن المنغ ، الملتقى العلمي حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديماً وحديثاً ، بحث (تطور علم الأصول في المصادر العمانية) ، د/ مصطفى باجو ، ص ١٢٢ الهاشم ، منشورات جامعة آل البيت ، الأردن ، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م ، جمعية عمال السطيف ، الأردن ، عمان .

^(٤) البطّاشي ، مصدر سابق ، ٢٥٥ / ١ .

^(٥) المالكي ، الفقه المرحلية ، ص ١٩ - البطّاشي ، إتحاف الأعيان ، ٢٥١ / ١ .

^(٦) البطّاشي ، مصدر سابق ، ٢٢٢ / ١ .

^(٧) البطّاشي ، مصدر سابق ، ٢٢٢ / ١ .

^(٨) البطّاشي ، مصدر سابق ، ٢٢٨ / ١ ، ٢٤٠ .

^(٩) البطّاشي ، مصدر سابق ، ٢٤٨ / ١ .

ونجد الشيخ أبا الحواري محمد بن الحواري (حي : ٢٧٢هـ / ٨٨٥م) ^(١) ترك عددا من المؤلفات ، فمن مؤلفاته كتاب (جامع أبي الحواري) وهو مطبوع من قبل وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان في خمسة أجزاء ^(٢) ، وله زيادات على (جامع ابن جعفر) ، وسيرة إلى أهل حضرموت ^(٣) ، ولي النضر ينسب له كتاب يحمل عنوانا طويلا هو (الدراية وكو الغاية ومنتهى الغاية وبلوغ الكفاية في تفسير خمسمائة آية) ، وهو مطبوع ومحقق ^(٤) ، إلا أن الصحيح أن هذا النضر من تأليف مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي (ت : ١٥٠هـ / ٧٦٧م) ، ذكر ابن النديم (ت : ٤٣٨هـ / ١٠٤٦م) له عددا من المؤلفات في التفسير من بينها (تفسير الخمس مائة آية) ^(٥) ، ويرجح هذا الرأي سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي ، فيذكر أنه اطلع على النسخة المطبوعة من (تفسير الخمس مائة آية) لمقاتل بن سليمان ، وقارن بينها وبين التفسير المنسوب لأبي الحواري ، فاتفق أن لا فرق بينهما سوى أن هذه الأخيرة تحتوي على إضافات وتعليقات لأبي الحواري ^(٦) ، والذي يظهر أن النسخ هم من قام بنسبة هذا التفسير لأبي الحواري ، ويذكر الباحث سلطان الشيباني أن تعليقات أبي الحواري فقهية لا علاقة لها بعلم التفسير ^(٧).

والشيخ الفضل بن الحواري الإزكوي (ت : ٢٧٨هـ / ٨٩١م) ^(٨) ، من مؤلفاته كتاب (الجامع) المسمى بجامع الفضل بن الحواري ، وقد طبعته وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان في ثلاثة أجزاء ^(٩).

^(١) محمد ناصر وأخرون ، معجم اعلام الإباضية (قسم الشرق) ، قرص مدمج ، رقم الترجمة : ١١٤٢ .
^(٢) محمد ناصر وأخرون ، مصدر سبق ، رقم الترجمة : ١١٤٢ - ضيفي ، معجم مصطلحات الإباضية ، ص ٢١٢ - سلطان بن مبارك الشيباني ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير (مخ) ، الحلقة ١٤ .

^(٣) محمد ناصر وأخرون ، مصدر سبق ، رقم الترجمة : ١١٤٢ - الشيباني ، مصدر سبق ، الحلقة ١٤ .
^(٤) اعتمدت بتحقيق هذا التفسير عدد من أهل العلم والباحثين وهم : الشيخ سالم بن حمد الحارثي ، وقد نشرته دار البقعة ببيروت سنة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م وأحقته محمد محمد زنتقي عبد الرحمن ، وطبعته مطابع النهضة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٩٩١م في جزئين وأحقته وليد عوجان ، ونشرته جامعة سوثة ، الكرك ، الأردن ، ١٩٩٤م (انظر : محمد ناصر وأخرون ، مصدر سبق ، رقم الترجمة : ١١٤٢ - ضيفي ، مصدر سبق ، ص ٢٦٥ - ٢٦٦ - الشيباني ، مصدر سبق ، الحلقة ١٤) .

^(٥) محمد بن إسحاق ابن التميمي ، التمهيد ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٠٦ .

^(٦) الشيباني ، مصدر سبق ، الحلقة ١٤ .

^(٧) الشيباني ، مصدر سبق ، الحلقة ١٤ .

^(٨) البطلاني ، مصدر سبق ، ٢٥٨/١ ، ٢٦١ .

^(٩) البطلاني ، مصدر سبق ، ٢٥٩/١ .

والشيخ أبو المؤثر الصلت بن حيس الحروصي (ت : ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م)^(١) ، من مؤلفاته كتاب (الأحداث والصفات) ، وكتاب (البيان والبرهان) وله سير أخرى ، وله قصيدة في الولاية والبراءة^(٢) .

ومع اهتمام أئمة عُمان الأوائل وعلمائها بالتفسير والحديث والفقه والعقيدة ، فقد كان كذلك لهم الإيعاء الأطول في علوم اللغة والأدب ، ومن أشهر علمائهم بل من أشهر علماء المسلمين في اللغة إمام اللغة والأدب الخليل بن أحمد الفراهيدي عاش في القرن الثاني الهجري (١٠٠ هـ / ٧١٨ م - بين : ١٦٠ هـ / ٧٧٦ م و ١٧٥ هـ / ٧٩١ م)^(٣) ، وقد ترك لنا العديد من المؤلفات في اللغة والأدب منها : كتاب (العين) ، وكتاب (النحو) ، وكتاب (العروض) ، وكتاب (الشواهد) ، وكتاب (النقط والشكل) ، وكتاب (النغم) ، وكتاب (العوامل) ، وكتاب (فالت العين) ، وكتاب (الإيقاع) ، وغيرها^(٤) .

والمُبرّد أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي (ت : ٢٨٥ هـ /)^(٥) ، كذلك من علماء اللغة العامين الألفاظ في تلك الفترة وقد ألف الكثير من الكتب ، فذكر أنه ألف أكثر من أربعين كتابا ، منها : كتاب (الكامل) ، وكتاب (الروضة) ، وكتاب (المختضب) ، وكتاب (الرد على سيبويه) ، وكتاب (معاني القرآن) ، وكتاب (إعراب القرآن) ، وغيرها من كتب اللغة والأدب^(٦) .

^(١) البطلاني ، إتحاف الأعيان ، ٢٦٢/١ - محمد ناصر ولخرون ، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) ، كرس مدج ، رقم الترجمة : ٧١٧ .

^(٢) البطلاني ، اللعة المرحية ، ص ٢٧ - البطلاني ، مصدر سابق ، ٢٦٦/١ - محمد ناصر ولخرون ، مصدر سابق ، رقم الترجمة : ٧١٧ .

^(٣) ابن النديم ، الفهرست ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٥ - بقرت الحموي ، معجم الأدياء ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٤١١ - ابن خلكان ، وفيت الأعيان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢١١ - البطلاني ، مصدر سابق ، ١٠٦/١ .

^(٤) ابن النديم ، مصدر سابق ، ص ٢٥ - ٢٦ - بقرت الحموي ، مصدر سابق ، ص ٤١١ - ابن خلكان ، مصدر سابق ، ص ٢١٥ - البطلاني ، مصدر سابق ، ٩٠/١ .

^(٥) محمد بن يزيد المبرّد ، الكامل في اللغة والأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م ، ص ٥ - أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٦٥١ - ابن قنوم ، مصدر سابق ، ص ٣١ - محمد بن أحمد الذهبي ، المعبر في خبر من غير ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٠٠ - البطلاني ، مصدر سابق ، ١٠٧/١ - ١١٢ .

^(٦) ابن النديم ، مصدر سابق ، ص ٣٦ - البطلاني ، مصدر سابق ، ١١١/١ - ١١٢ .

ومنها إمام اللغة أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي العُماني (ت : ٣٢٩ هـ / ٩٣٣ م)^(١) ، ترك لنا ثروة ضخمة من المؤلفات أوصلها بعضهم إلى خمسة وعشرين كتاباً منها : (الاشتقاق) ، و (الملاحن) ، و (الحيل الكبير) ، و (الحيل الصغير) ، و (الأمالي) ، و (المنصور والممدود) ، و (الأنواء) ، وأشهرها على الإطلاق كتاب (الجمهرة في اللغة) ، وغيرها من المؤلفات^(٢) .

وأكثفي هذا القدر ، فالحديث عن حركة التأليف عند العُمانيين حديث ذو شجون لا تستوعبه هذه العجالة ، ويحتاج إلى دراسات وبحوث موسعة ، ولهما ذكرت الكفاية للتمثيل على ما لم أذكر من مؤلفات أئمة عُمان وعلمائها ، وقد استمرت حركة التأليف عند العُمانيين إلى يومنا هذا بلا انقطاع .

وأخيراً أقول إنه لما يؤسف له ويندَى له الجبين أن عدداً لا بأس به من هذه المؤلفات الضخمة والمتنوعة لم تنل حظها وحققها من العناية سواء من ناحية المحافظة عليها من عوادي الزمن ، أو من ناحية التحقيق والشرح ، أو من ناحية الطباعة والنشر ، وذلك يعود لأسباب كثيرة ليس هذا محل طرحها ، لعسى الله تعالى أن يقض لها من ينتشلها من تحت التراكم ويلبسها الثوب القشيب الجلديرة به ...

(١) ابن النديم ، الفهرست ، ص ٢٧ - ياقوت الحموي ، معجم الألباء ، ص ٨٨٥ - البطائني ، إتخاف الأعيان ، ١١٣/١ ، ١٨٠ .

(٢) ابن النديم ، مصدر سابق ، ص ٢٧ - ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، ص ٨٨٧ - البطائني ، مصدر سابق ، ١٤١/١ .

(١٠)

الْوَهْبِيَّةُ وَالْوَهَّابِيَّةُ : النِّشْأَةُ وَالنِّسْبَةُ

الْوَهَابِيَّةُ وَالْوَهَابِيَّةُ : النِّشْأَةُ وَالنِّسْبَةُ^(١)

لقد ظهرت في الآونة الأخيرة بعض المؤلفات والمقالات يزعم فيها أصحابها أن مصطلح (الْوَهَابِيَّةُ) هو نفسه مصطلح (الْوَهْبِيَّةُ)^(٢)، ضارين بحقيقة التاريخ عرض الحائط، إذ إن هناك فرقا كبيرا بين المصطلحين، لمصطلح (الْوَهْبِيَّةُ) ينسب إلى الصحابي الجليل الإمام عبد الله بن وهب الراسبي - كما سيأتي - الذي استشهد في معركة الثَّغْرَوان سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م، بينما مصطلح (الْوَهَابِيَّةُ) نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب النيمسي : ت : ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م ، الذي ظهر بتَّجْد في القرن الثاني عشر الهجري ، ويعده الوهابية إماما لهم .

وتجد أصحاب هذه الكتب والمقالات يتذرعون بالإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن (ت : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) الإمام الثاني في الدولة الرستمية ، زاعمين نسبة هذا المصطلح إليه ، وما أن الإمام عبد الوهاب أحد أئمة الإباضية ، واسمه عبد الوهاب ، فإنه يمكن هؤلاء الصائدين في الماء التفكير بغير مصطلح (الْوَهَابِيَّةُ) على القارئ البسيط ، وإضافة بالإمام عبد الوهاب ، مع إيراد بعض النصوص عن بعض العلماء المتقدمين لإضفاء نوع من المصداقية العلمية على مزاعمهم ، وتحريف تلك النصوص - وما أكثر التحريف^(٣) - بإضافة حرف (الف) فقط إلى (الوَهْبِيَّة)

^(١) نشر هذا البحث سابقا في :

موقع الشبكة العنكبونية ، مجلة الدين ، (www.omania.net) .

^(٢) على سبيل المثال كتاب (تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية) للدكتور محمد بن سعد الشوير ، فاحول أن وثبت أن مصطلح (الوهابية) هو نفسه (الوهبة) وزعم أنه ينسب إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، واعتمد على بعض المصادر ككتاب (المعجز المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب) لأحمد بن يحيى الوترشبي ، وكتاب (الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي) للمستشرق الفراهي ، ولقد عدت إلى تلك المصادر فلم أجد فيها ذكرا لـ (الوهابية) بل جميعها كانت تذكر (الوهبة) ، ولاحظت أن دا الشوير قام بتحريف النصوص ونسب إلى مؤلفي تلك الكتب كلاما لم يقلوه ، محاولا بذلك إثبات زعمه وإلزام الإباضية الوهابية بالوهابية ؛ انظر : كتاب (تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية) للدكتور محمد بن سعد الشوير ، موقع صيد الفوائد على هذا الرابط :

<http://saaid.net/book/open.php?cat=٨٨&book=١٢٠٢>

^(٣) من ذلك مثلا تحريفهم لبعض النصوص في كتاب (الأنكار) للإمام النووي ، وما قام به عصر الأشرار من تحريف في كتابه (العقيدة في الله) حيث حذف رواية في صحيح البخاري رقم (٤٧٤١) ، ورقم (٧٤٨٣) ، لينسب لمعتقه ونص الرواية : " يقول الله عز وجل يوم القيامة : يا آدم ، فيقول : ربنا ليبيك وسجديك . فينادي بصوت : إن الله بأمرك ... فح " ، وتجد الأشرار حذف الرواية إلى : " يقول الله تعالى : يا آدم ، فيقول : ليبيك وسجديك . فينادي بصوته : إن الله بأمرك ... الخ " ، يعرف فينادي بصوت إلى فينادي بصوته ، فثبت عقيدته القديمة من أن الله يتكلم بصوت وخرق تعالى الله عما يقولون الميطلون علوا كبيرا (انظر : أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح =

تكون (الوهابية) ، وهذا الشكل تكتمل خيوط المسرحية ، ويمكن أن نقرر على القارئ البسيط حسن النية بكل سهولة ويسر .

والحقيقة أنني أشبه محاولات هؤلاء المجموعة للتفخُّع من لقبهم المعروف لدى العامة قبل الحاضرة كبيت العنكبوت ﴿ وَإِنَّ أَوْفَنَ الْيُتُوبِ لَيُنْتُهِنَ الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) ، أفلم يعلموا أنه يمكن تعقب تحريفهم بكل سهولة ويسر ، وفضح خيانتهم للأمانة العلمية ؟

وبعد أن رأيت هذا اللعب بالحقائق التاريخية والتحريف في النصوص ، والتليس على القارئ من قبل أصحاب تلك المؤلفات والمقالات ، رأيت ضرورة بيان حقيقة مصطلح (الوهابية) (والوهابية) ، والفرق الكبير بينهما ، وبيان الفترة التي نشأ فيها كل مصطلح من المصطلحين ، وكذا إلى من يُنسبان .

وقبل أن أبداً بعرض ما فتح الله تعالى به عليّ حول هذه القضية ، أريد أن أبين للقارئ أنني هنا أسعى إلى إثبات ورود مصطلح (الوهابية) بهذه الصيغة في مصادر المسلمين المتقدمة أو المتأخرة سواء كانت إباضية أو غير إباضية ، بل وورود هذا المصطلح بهذه الصيغة المذكورة في العديد من مؤلفات وبحوث المستشرقين الذين عتوا بالكتابة حول المسلمين عامة والإباضية في شمال إفريقيا خاصة ؛ وكذلك لأنني هنا أتناول دراسة هذين المصطلحين والفرق بينهما من الجانب التاريخي فقط ، فمثلاً لا أتناول بالدراسة الفرق بين (الوهابية) (والوهابية) من الناحية العقائدية والفقهية والفكرية والسلوكية ، لذلك ليس هذا محله ، ويحتاج إلى أبحاث مستقلة وموسعة !

وأما بخصوص نسبة المصطلح هل هو إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي أم إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ؟ فلا يضربنا نحن الإباضية نسبه إلى الإمام الأول أم الثاني ، فكلنا الإمامين من أئمتنا الذين نفخر بالانتماء والانساب إليهم ؛ مع أن الواقع والتاريخ ونصوص العلماء ثبت نسبة هذا المصطلح إلى الإمام عبد الله بن وهب كما سترى ؛ لكن أن يتم تحريف المصطلح من (الوهابية) إلى (الوهابية) لأغراض بعيدة كل البعد عن الحقيقة التاريخية ،

= البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، ٥٦١/٨ ، ٥٥٥/١٣ - حسن بن علي المقاب ، السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورهم التاريخية ، دار الإمام الرواس ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ص ١١٢ - ١١٣ .
^(١) سورة العنكبوت ، من الآية : ٤١ .

فهذا ما لا نقبل به ، ولا يقبل به كل باحث عن الحق متجرد عن أهوى ، وبعد هذه المقدمة المقتضية تدخل في صميم موضوعنا ...

إن مصطلح (الوُفِيَّة) ضارب بجذره في عمق التاريخ الإباضي ، وقد وقع الخلاف في نسبة هذا المصطلح ، فقبل نسبة إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ت : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) الإمام الثاني للدولة الرستمية ، وقبل نسبة إلى الصحابي الجليل الإمام عبد الله بن وهب الراسي ، وعلى القول الثاني أغلب أئمة الإباضية وهو الصحيح كما سبأتي .

والحقيقة أن هذا المصطلح لم يكن له استخدام عند الإباضية ، بل كانوا يطلقون على أنفسهم أهل الحق والاستقامة ، وجماعة المسلمين ، وأهل الدعوة ، والإباضية ^(١) ، إلى أن انشقت فرقة من الإباضية بشمال إفريقيا تحت قيادة يزيد بن لندن في سنة ١٧١هـ / ٧٨٧م ، بعد وفاة الإمام عبد الرحمن بن رستم ، فأنكروا إمامة الإمام عبد الوهاب ، وولعت فتنة عظيمة ، فاطلق الإباضية على أتباع ابن لندن لقب (الشُّكَّار) ^(٢) ، وأطلقوا على أنفسهم لقب (الوُفِيَّة) ، ليس نسبة إلى

^(١) كان الإباضية يطلقون على أنفسهم قبل أن يشتهروا بالإباضية عدة تسميات منها : (المسلمون) و (أمة المسلمين) و (جماعة المسلمين) و (أهل الدعوة) و (أهل الاستقامة) و (الشُّرَّاء) ، وليس معنى ذلك أنهم يتفوقون الإسلام عن مخالفيهم ، ولكن عندما رأى أئمة الإباضية الأوائل كالإمام جابر وأبي عبيدة تحزب المسلمين إلى فرق وطوائف واتخذهم لأسماء جعلوها حكراً عليهم كأهل السنة وغيرها ، اتخذ الإباضية لهم أسماء تمكن ما يحملونه من عقيدة وفكر تأسسوا فاطلقوا على أنفسهم (جماعة المسلمين) لمخالفتهم على الإسلام نقياً طاهراً من السفن كما جاء به النبي ﷺ ، ولإستقامتهم على دين الله تعالى ، وأما سبب شهرتهم بالإباضية فهو يعود إلى عبد الله بن إباض المرزي التميمي (حي بعد : ١٧٢هـ / ٦٨٩م) . وقد سمعهم بذلك بنو أمية ، وذلك بسبب بروز الإمام عبد الله بن إباض ومنافقته عن المذهب ضد الخوارج الغلاة الذين أطلقوا على أتباعه لقب القحاة ، وضد بني أمية المعتولين لهذا المذهب ولأن داع إلى الحق والتضامن على الظلم ، وأما الإمام المؤسس للمذهب الإباضي فهو الإمام أبو المشغاه جابر بن زيد الأزدي (١٨هـ / ٦٣٩م - ٩٢هـ / ٧١١م) ، وقد استطاع الإباضية إقامة عدة دول إسلامية في اليمن ، وسان ، وشمال إفريقيا ، وشرق إفريقيا ، ولا يزال لهم وجود في عمان وشمال إفريقيا وشرقها ، وقد دأب كثير من الكتاب إلى نسبة الإباضية إلى الخوارج ، وعم للتزيق بينهما ، ولكن الحقيقة بخلاف ذلك فهناك فرق كبير بين الإباضية والخوارج ، بل بين الإباضية ويراون من الخوارج ، وقد ناقشت ذلك باستفاضة عند تعرضي لمصطلح الخوارج في كتابي (الشيخ عمروس ومنهجه ، ص ٩٤-٩٥) ، وانظر كذلك مقال (الخوارج وزييف التزييف) المقال رقم (١١) من هذا الكتاب (الطر : الثاني ، دراسات عن الإباضية ، ص ٤٣ ، ٤٦ ، ٧٣ ، ١٦٣ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٢- محمد ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، ص ٢١ ، ٢٣ ، ٤١ ، ٩٦ ، ١١٥ ، عرض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ٧٥-١٠٢ ، مسطفي الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١١٠٧هـ / ١٩٨٧ ، ص ١٣٤ ، ١٤٩- صالح أبوالمجددي ، رؤية الحديث عند الإباضية ، ص ١٧٩- مهنا بن راشد السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصانفة ، مكتبة الجول الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٤٤ ، ٩٤-٩٥) .

^(٢) الشُّكَّار أو الشُّكَّات : هم جماعة خرجت على الإمام عبد الوهاب ، وأنكروا إمامته ونكثوا اليمين التي قطعوها له ، لذلك سمو بالشُّكَّات وبالشُّكَّار ، ويعرفون كذلك بالخنجية من كلمة خنجر أي الخدمة والسرية التي عرفت عنهم عند مناقشة مسألة إمامة الإمام عبد الوهاب التي أنكروها ، وبالقيدية نسبة إلى فقيهم عبد الله بن يزيد القراري ، أو نسبة =

الإمام عبد الوهاب ، بل إلى الإمام عبد الله بن وهب ، تعبيرا عن محافظتهم على منهج الإباضية الأوائل وعدم انحرفهم عنه كما انحرف النكّار^(١) .

إذا عدنا إلى بعض المصادر المتقدمة سواء الإباضية أو غير الإباضية نجد أنها تذكر مصطلح (الوُهَيْبِيَّة) بهذه الصيغة ، ولا نجد أنها تشير بتاتا إلى (الوُهَابِيَّة) ، وسأحاول بعض الأمثلة على بعض المصادر غير الإباضية ، فمثلا ابن الصغير (حي : ٢٩٤هـ / ٩٠٦م) مؤرخ الدولة الرستمية نلاحظه أورد هذا المصطلح في كتابه عندما قال : " ... وتسمى منهم [أي من الإباضية] قوم بالوهبيّة ، وهذا الاسم لست أعرفه ، وقد سمعت أنهم إنما سموا بهذا الاسم لاباعهم عبد الوهاب ... " ^(٢) .

نلاحظ أن ابن الصغير يجهل أصل هذا المصطلح ويعتمد على ما سمعه من بعض الأشخاص من أنه نسبة إلى الإمام عبد الوهاب ، فليلاحظ وجود نوع من الشك وعدم الجزم في كلام ابن الصغير ، إذ إن المصطلح في الحقيقة إنما هو نسبة إلى الإمام عبد الله بن وهب الرّاسي ، ولكن الذي يهمنا هنا هو تداول هذا المصطلح - أعني مصطلح (الوُهَيْبِيَّة) وليس (الوُهَابِيَّة) - في القرون المحرّية الأولى ، فابن الصغير عاش في القرن الثالث الهجري .

والرفيق القُيْرَوَانِي (ت : ٤٢٥هـ / ١٠٣٣م) أورد ذكر هذا المصطلح في كتابه ، ويرى أن سبب تسمية الإباضية بـ (الوُهَيْبِيَّة) نسبة إلى الإمام عبد الوهاب ، الإمام الرسمي الثاني للدولة الرستمية^(٣) .

= إلى زعيمهم السهلي يزيد بن قنديل الذي خرج على الإمام عبد الوهاب وأنكر إمامته ، ويعرفون بالشنّفيّة بسبب الشعب الذي أخذوه ، وبالمستأجر نسبة إلى اسم قبيلة من قبائل البربر الرّبنية المؤيدة لهم ، والفتار ابتدعوا القولا في الفقه والعقيدة بها الكثير من الطّو وشكاف المعمول به في المذهب الإباضي ، فقيرا منهم أئمة المذهب الإباضي ، وتعود جذور الشكّار إلى عهد الإمام أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة ، حيث أظهر بعض تلامذته القولا في العقيدة والنقّة تخلف المعمول به في المذهب الإباضي ، فقيرا منهم الإمام أبو عبيدة وطردهم من مجلسه ، وعلى رأس هؤلاء عبد الله بن عبد العزيز ، وأبو المعروف شعيب ، وعبد الله بن يزيد اللّزاري ، وهؤلاء يمدّهم الشكّار من أمتهم (انظر : معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ١٤٢/٢ - ٢٠ ، علي يحيى معمر ، الإباضية مذهب إسلامي معتدل ، مكتبة الضامري ، المدين ، مطبعة عمان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٤٤ - ٤٥ ، للناسي ، دراسات عن الإباضية ، ص ٢٠١ - ٢٠٨ - الجعيري ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، ص ٢١٣ للنّاش) .

^(٢) معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ١٤٢/٢ - ٢٠ ، معمر ، الإباضية مذهب إسلامي معتدل ، ص ٤٢ - ٤٣ ، للناسي ، مصدر سابق ، ص ٢٠١ - ٢٠٨ - الجعيري ، مصدر سابق ، ص ٢١٣ للنّاش - بحر ، الدولة الرستمية ، ص ٣١٤ .

^(٣) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٤٢ - ٤٤ .

^(٤) إبراهيم بن القاسم بن الرقيق القيرواني ، تاريخ إفريقيا والمغرب ، ط ٢ : المنجي الكحي ، تونس ، ١٩٦٨م ، ص ١٧ .

وأما ابن حوقل (ت : ٣٦٧ هـ / ٩٧٧ م) فإنه أشار إلى عدد من البلدان موضحاً أن أهلها إما إباضية أو وَهْبِيَّة ، والذي يظهر أنه ظن وجود فرق بين الإباضية والوَهْبِيَّة ، والحقيقة أنه لا فرق بينهما ، والذي يهمننا هنا هو ذكره لمصطلح (الوَهْبِيَّة) ، فيقول : " فاما أهل قُسْطَلِيَّة وقلعة ونقطة والحامة وسماطة وبشرى وأهل جبل نفوسة فشُرَّة إما إباضية ... أو وَهْبِيَّة " (١) .

وأما الإدريسي (ت : ٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) فإنه في وصفه لمدينة وَارِجْلَان يذكر مصطلح (الوَهْبِيَّة) مشيراً إلى أن مذهب سكان وَارِجْلَان وَهْبِيَّة إباضية ، فيقول : " قبائل مياسرة وتجار أغنياء يتجولون في بلاد السودان إلى بلاد غانة وبلاد نقارة فيخرجون منها الثبر ويضربونه في بلادهم باسم بلادهم وهم وَهْبِيَّة إباضية " (٢) .

وكذلك نجد ياقوت الحموي (ت : ٦٢٧ هـ / ١٢٢٩ م) ذكر مصطلح (الوَهْبِيَّة) في عدة مواضع من كتابه ، من ذلك مثلاً وصفه لجبل نفوسة حيث قال : " نفوسة ... : جبال في المغرب بعد الريفية عالية ... وجميع أهل هذه الجبال شُرَّة وَهْبِيَّة وإباضية ... " (٣) ، وعندما نقل نصاً عن ابن حوقل حول مدينة قُسْطَلِيَّة ، قال : " ... قال ابن حوقل : في بلاد الجريد من أرض الزواب الكبيرة قُسْطَلِيَّة ، قال : وهي مدينة كبيرة عليها سور حصصن ... وأهلها شُرَّة وَهْبِيَّة وإباضية ... " (٤) ، والظاهر أن الحموي كذلك يظن وجود فرق بين الإباضية والوَهْبِيَّة حيث عطف الإباضية على الوَهْبِيَّة ، وكما يقال : العطف يقتضي التقارب ؛ ولكن - وكما قلنا - الوَهْبِيَّة هم الإباضية ، إذ إن ياقوت الحموي وكذلك ابن حوقل كوفعما من غير الإباضية ربما ظنا وجود فرق بين المصطلحين .

(١) ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص ٩٦ ، نقلاً عن : بهار ، الدولة الرستمية ، ص ١٠٢ .

(٢) محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، موقع الموراق (www.elwaraq.com) ، ص ٩٢ .

(٣) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، باب النون والفاء ، قرص مدمج ، مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس للكمبيوتر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢ م .

(٤) ياقوت الحموي ، مصدر سابق ، باب الفاء والسين ، قرص مدمج .

ويقول النويري (ت : ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) في معرض حديثه عن ولاية روح بن حاتم على القيروان : " ورغب في موادة عبد الوهاب بن رستم الإباضي صاحب تيهرت ، وهو الذي نسب إليه الوهبيّة " ^(١) .

ولجد ابن خلدون (ت : ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) يقول : " وكان يزيد قد أذل الخوارج ومهد البلاد فكانت ساكنة أيام روح ورغب في موادة عبد الوهاب بن رستم " ^(٢) وكان من الوهبيّة فوادعه " ^(٣) .

ويقول أبو عبد الله الحميري (ت : ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م) في حديثه عن جزيرتي جربة وزبؤ : " رجع أهل هاتين الجزيرتين وهبيّة " ^(٤) .

وفي كتاب (المعيار العرب) لأحمد بن يحيى الوائلي (ت : ٩١٤ هـ / ١٥٠٨ م) لجد لقوى لملي بن محمد اللخمي (ت : ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) مفتي الأندلس وشمال إفريقيا ، سئل فيها عن الوهبيّة وكيف يعاملون ، وقد أورد مصطلح (الوهبيّة) بهذه الصيغة ، وسأعرض نص الفتوى وهي تحت عنوان : (كيف يعامل معتق المذهب الوهبي ؟) ، ونص الفتوى : " وسئل اللخمي عن قوم من الوهبيّة سكنوا بين أظهر أهل السنة زماناً وأظهروا الآن مذهبهم ونوا مسجداً يجتمعون فيه ويظهرون مذهبهم في بلد فيه مسجد مبني لأهل السنة زماناً ، وأظهروا أنه مذهبهم ونوا مسجداً يجتمعون فيه ويأبئ الغرباء من كل جهة كالخمسین والستين ، ويقومون عندهم ، ويعملون لهم بالضيافات ، وينفردون بالأعياد بوضع قريب من أهل السنة . فهل لمن بسط الله يده في الأرض الإنكار عليهم ، وضرهم وسجنهم حتى يتوبوا من ذلك ؟

فأجاب : إذا كان الأمر كما ذكرت فهذا باب عظيم يخشى منه أن تشتد شوكتهم ، ويفسدوا على الناس دينهم ويحل الجفلة إليهم ، ومن لا يميز لواجب على من بسط الله يده في الأرض أن يستنهيهم . فإن لم يتوبوا سجنوا وضرروا . ويبلغ في ذلك ، فإن لم ينتهوا فقد اختلف في قتلهم .

^(١) أحمد بن عبد الوهاب النويري ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ٢٩٢٧ .

^(٢) المصحيح عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم .

^(٣) ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، موقع نداه الإيمان (www.al-eman.com) ، ٩٨/٢ .

^(٤) محمد بن عبد الله الحميري ، الروض المعطر في خبر الأقطر ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) ، ص ١٥٩ .

وعن ابن حبيب يترك من تاب منهم إلا أن تكون له جماعة في موضع ، فلا يترك . وإن تاب حتى يفرق جمعهم ويشتهر فساد اعتقادهم خشية الغرير بإضلالهم وهم أشد في كيد الدين من اليهود والنصارى للمعرفة بكفرهم ولا يلتبس أمرهم ^(١) الخ * ^(٢) .

وتوجد فتوى أخرى لعالم آخر يدعى الميوري قبل هذه الفتوى مباشرة ، سنسل فيها عن (الوهبية) ، وبداية السؤال كالتالي : *وسئل السيوري على الوهبية سكنوا بين أظهر أهل السنة وأظهروا بدعهم ... الخ * ^(٣) .

ولا بأس أن نذكر بعض النصوص لبعض المستشرقين لمزيد تأكيد على أن المؤرخين والباحثين كانوا يعرفون (الوهبية) والنطق الصحيح لهذا المصطلح ، ويسبوه إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسي ، فمن المستشرقين مثلاً الفرنسي (ألفرد بل : Bel) (ت : ١٣٦٤هـ / ١٩٤٥م) ،

^(١) إني أحترم المذهب المالكي وأتباعه كما أحترم المذاهب الإسلامية الأخرى ، ولا أحمل المذهب المالكي وأتباعه من المنصفين والمعتدلين جريمة من انتصب إلى المذهب المالكي أو غيره من الفلاة ، وأصدر أمثال هذه الفتاوى التي تستبيح ماء المسلمين الموحدين وتدعو إلى قتلهم وضربهم وسجنهم وتشريدهم في الأرض ليس لشيء إلا لأنهم خلفوه في الفكر فلما نه وإنا إليه راجعون ، وأين أمثال هذه الفتاوى من الدولة الرسمية وغيرها من الملوك الإباضية التي قتلت على مر التاريخ ، وكيف أنها أوت جميع الطوائف والمذاهب الإسلامية ، وكان لكل أصحاب مذهب مساجدهم ومنازلهم الخاصة المعروفة بهم ، فكلموا يمارسون عبادتهم بكل حرية ، بل كان فيها اليهود والنصارى وكانت لهم كتبتهم الخاصة ، وكان العلماء من مختلف المذاهب يتناظرون داخل الدولة الرسمية بكل حرية ويسر ، وكتاب (تاريخ الأئمة فرستين) لابن الصغير - الشيعي وقيل المالكي - خير شاهد على ذلك ، فليد إليه من أراد معرفة التاريخ المتأصع والشرف للإباضية ، وابن الصغير نفسه كان يعيش في تهبزت علمانية الدولة الرسمية ، وقد شهد أئمتها وعلمتها بالصلاح والعقل ، وكذلك أين أمثال هذه الفتاوى الإجراسية من قيام الإمام عبد الله بن يحيى القندي طالب الحق (ت : ١٣٠هـ / ٧٤٧م) عندما فتح صنعاء وحررها من جور بني أمية فأعاد الأموال المكتسة في خزائن ولاية بني أمية إلى قراء صنعاء ولم يأخذ منها هو أو أصحابه ولو درهما واحدا بالرغم من حاجتهم إليها ؟ أم أين أمثال هذه الفتاوى مما قلناه الإمام تلمس بن مرشد البعري (حكم صفح : ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م - ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م) الذي أعاد إلى الشيعة يستحل من غنم أموالهم بعد أن فكها من أيدي البرتغاليين ؟! (انظر : الشافعي ، المبر : ٩١/١ - ٩٢ - السلمي ، تحفة الأعيان ، ٤/٢ ، ١٠ ، ١٧ - مهدي طالب هاشم ، الحركة الإباضية في المشرق العربي ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، مكتبة الأرمين ، شارع الجليل ، ط ١ : ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ، ص ١١٦ - عوض خليف ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٢١) .

^(٢) أحمد بن يحيى النوشريسي ، المعيار المعرب والجمع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ، ج ١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ص ١٦٨ .

^(٣) النوشريسي ، مصدر سابق ، ١٣/١٦٨ .

يقول : " وقد سموا أيضا الوهبيين نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسي ، زعيم الخوارج ^(١) في معركتهم الأولى بالنهروان ... " ^(٢) .

وأما المستشرق البولندي (تاديوس ليفيتسكي : Tadeusz Lewicki) ^(٣) (حي لي : ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م) فإنه ألف كتابا تحت عنوان : (المؤرخون وكتاب السر والرواية الإباضيون الوهبيون في أفريقيا الشمالية من القرن الثامن وحتى القرن السادس عشر الميلادي) ^(٤) ، ولجده في عدد من صفحات كتابه يذكر مصطلح (الوَهْبِيَّة) ^(٥) .

ولقد ذكر المستشرق (ماوربيوس كنار : M. Canard) أن (تاديوس ليفيتسكي) أشار في مقاله (التوزيع الجغرافي للتجمعات الإباضية في أفريقيا الشمالية في القرون الوسطى) إلى أن (الوَهْبِيَّة) مشتق على الأرجح من اسم الإمام عبد الله بن وهب الراسي ^(٦) .

من المصادر السابقة - وهي غير إباضية - نلاحظ أن مصطلح (الوَهْبِيَّة) كان متداولاً لدى المؤرخين معروفاً ، وأما (الوَهْبَانِيَّة) فلم يكن له وجود في أوساط المسلمين قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب ، حيث بدأ تداول مصطلح (الوَهْبَانِيَّة) على ألسنة أهل العلم وفي مصنفاتهم .

وأما المصادر الإباضية سواء المغربية أو الشرقية فهي من باب أولى ألا تجد فيها ذكراً لمصطلح (الوَهْبَانِيَّة) ، بل تجدنا زاخرة بمصطلح (الوَهْبِيَّة) ، ولا يجد علماء الإباضية أي حرج أو تحفظ من ذكره ، بل يفخرون بذلك ، وصنفوا مؤلفات ورسائل ضَعَنُوا عناوينها مصطلح

^(١) الإباضية ينفون عن أنفسهم الانتماء إلى الخوارج ، بل إنهم يقررون من الخوارج (الأزارقة ، والنجيدات ، والصلرية) ، ويدعون عليهم في أئولهم ومؤلفاتهم (انظر : مقال (الخوارج وزيف التاريخ) ، المقال رقم (١١) من هذا الكتاب) .

^(٢) أثيرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، ط ١ : عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٩٨٧ م ، ص ١٤٥ .

^(٣) المستشرق تاديوس ليفيتسكي يعتبر من أهم الباحثين من المستشرقين الذين صرّفوا همته وجهدهم العلمي فيما يزيد على نصف قرن للدراسة الإباضية في شمال إفريقيا ، فاهتم بتاريخ الفرقه وبأدبياتها ، وبعادات القبائل الدربرية وتقاليدها وتتميز دراساته بالثorough والإحاطة ، وله أتبع له الإطلاع على عدد كبير من المخطوطات الإباضية في شمال إفريقيا ومكتبات بولندا ، عدا بعضها في عداد المفقود (تنظر : تاديوس ليفيتسكي ، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : ماهر جزّار وريما جزّار - دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ٢٠٠٠ م ، ص ٨ - ٩) .

^(٤) تاديوس ليفيتسكي ، مصدر سابق ، ص ٢١ .

^(٥) انظر مثلاً : ص ٢١ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٧٩ وغيرها .

^(٦) ماوربيوس كنار ، أصال تاديوس ليفيتسكي عن المغرب والإباضيين بصورة خاصة ، ملحق بكتاب : تاديوس ليفيتسكي ، المؤرخون الإباضيون ، ص ٢٠١ .

(الوَهْبِيَّةُ) ، من ذلك مثلا : كتاب (تلخيص عقائد الوَهْبِيَّةِ في نكتة توحيد خاتمي البرية)^(١) للشيخ إبراهيم بن بِيحَمَّان التَّجَنِّي من علماء وادي مِيزَاب بالجزائر (ت : ١٢٣٢ هـ / ١٨١٧ م) ، وكتاب (العقيدة الوَهْبِيَّة)^(٢) للشيخ أبي مسلم ناصر بن سالم البَهْلَانِي من علماء عَمَّان (ت : ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٠ م) ، وكتاب (دلع شبه الباطل عن الإباضية الوَهْبِيَّة الخفية)^(٣) للشيخ أبي القبطان إبراهيم من علماء وادي مِيزَاب بالجزائر (ت : ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م) .

والذي يظهر أن تداول هذا المصطلح في المصادر الإباضية بدأ في القرن الثالث الهجري ، وقد ذكرنا كلام ابن الصغير حول انتشار هذا المصطلح في الدولة الرستمية ، ونجد رواية لعالم من علماء الإباضية عاش في القرن الثالث الهجري ، وهو عبد السلام التُّوَاتِي إذ يقول : * جاز عليّ ابن أزجوج فقال : كنت بلمطة يوما فسبّ بعضهم الوهبيّة ، وكان معهم مؤدّب ، فقال - أي المؤدّب - : لا تلعن القوم ، فإنّي كنت بمكة ، فلما قضينا مناسكا ، أخذ الناس يعرضون أدباقيم على الإمام الكبير ، فقام رجل منهم يقال له ليّيب بن زلفين ، فعرض دينه ، فرفع إليه الإمام رأسه ، فقال : هكذا صفة دين الله القوي الذي جاء به محمد ﷺ والحمد لله رب العالمين العلي الكبير *^(٤) .

(١) الكتاب لا يزال مخطوطا في مكتبات وادي ميزاب بالجزائر (انظر : بحلو وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١٤/١ ، رقم الترجمة : ١٦) .

(٢) لقد قام الباحثان الفاضلان الأخوان صالح بن سعيد القنوبي وعبد الله بن سعيد القنوبي بتحقيق هذا الكتاب القيم ، ونشرته مكتبة ميمسقط ، مطبعة عمان ، في طبعته الخامسة ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م . وقد طبع قبل ذلك عدة طبعات ، فكانت أول طبعة طبعة حجرية بالمطبعة البارونية بمصر ، ثم طبعة دار الدعوة بليبيا سنة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م ، ثم دار الفتح بليبيا سنة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م ، ثم طبعة وزارة التراث والثقافة بسلطنة عمان في سنة ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م بعد أن كانت صوريته في سنة ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، وفي سنة ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م طبعة مكتبة ميمسقط وراجعه الباحث سلطان الشيباني ، ثم حققه الباحثان الفاضلان وطبع في طبعته الخامسة من قبل مكتبة ميمسقط (انظر : ناصر بن سالم البهلاني ، العقيدة الوهبيّة ، ٢٠٠٤ م ، ص ٢ - ناصر بن سالم البهلاني ، العقيدة الوهبيّة ، مراجعة : سلطان الشيباني ، مكتبة ميمسقط ، مطبعة عمان ، ط ١ : ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م ، ص ٢) .

(٣) الكتاب لا يزال مخطوطا بمكتبة بلحا عسي محمد بوادي ميزاب بالجزائر (انظر : بحلو وآخرون ، مصدر سابق ، ٢١٨/١) .

(٤) مؤلف مجهول ، كتاب المملقات في أخبار وروايات أهل الدعوة ، طبعة مكرّنة ، تح : سليمان بن إبراهيم بلعزير فوريلاني ، معهد الحداثة ، القرارة ، الجزائر ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م ، ص ١٠٢ .

ونجد أبا زكرياء (ت : ٤٧١ هـ / ١٠٧٨ م) يذكر نصوصا استخدم بها مصطلح (الوُهيبة) ويريد به الإباضية ، من ذلك مثلا : * وبلغنا أن أبا الربيع توجه يريد الطريقة ، فوجدنا مغيرة راجعة إلى مذهب النكار ، فلم يسزل بهم حتى ردهم إلى مذهب الوهيبة * ^(١) ، ومن ذلك مثلا قول عامل أبي تمام المعز لدين الله الفاطمي (ت : ٣٦٥ هـ / ٩٧٥ م) بـ (الحائسة) لأبي القاسم يزيد بن مخلد الوستائي (ت : ٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م) : * ... أنتم الوهيبة تحسون إعادة الحج وتولونونه لكثرة فضله * ^(٢) .

وكذلك بالنسبة للمؤرخين الذين جاءوا بعد أبي زكرياء كالدرجيني (ت : ٦٧٩ هـ / ١٢٧٩ م) والبرادي (حي : ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م) والشماعي (ت : ٩٢٨ هـ / ١٥٢٢ م) وغيرهم ^(٣) ، نجدهم يذكرون مصطلح (الوُهيبة) ، ولا يذكرون (الوُهاية) ، بل إن البرادي تعقب ما ذكره ابن الصغر حول أصل هذا المصطلح من أنه نسبة إلى الإمام عبد الوهاب - وقد ذكروا نص ابن الصغر سابقا - وبين أن أصل هذا المصطلح هو نسبة إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسي ، وليس إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، وأن النطق الصحيح له هو (الوُهيبة) ، فلو كان نسبة إلى الإمام عبد الوهاب - كما يذكر ابن الصغر - لكان (الوُهاية) ، فيقول : * ... وقفت في كتاب الذي ذكرته بجبل نفوسة بخط الشيخ إسماعيل الجيطالي [ت : ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م] ... أن الوهيبة سما بذلك لاتباعهم عبد الله بن وهب الراسي ، وكذلك هو عندنا ، فلو نسبت إلى عبد الوهاب لكانت الوهايبية ، فإن قيل فالألف في الوهاب زائدة والحروف الزوائد تسقط عند النسب من الاسم ، قلنا ولو كان كذلك فأين التضعيف الذي في الهاء ؟ ، فإذا الاسم من الوهيبة بالتشديد وهذا فساد ، وإنما هو الوهيبة ، قال الشاعر :
مالي أرى مذهب الوهبي مفرضا الإمام الملح وابنه أبو القبطان ^(٤) .

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ١٩٥ .

(٢) أبو زكرياء ، مصدر سابق ، ص ٢١١ .

(٣) انظر مثلا : الدرجيني ، طبقات المشتق ، ١١١/١ ، ١١٢ ، ١٢١ ، ١٢٥ - الشماخي ، السير ، ٢٤٦/١ ، ٣١/٢ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) أبو القاسم البرادي ، الجواهر (مخ) ، ص ١٧٤ .

ونلاحظ في نص الشيخ البرادي أن الشيخ إسماعيل بن موسى الجبّاطي (ت : ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م) رجح كون هذا المصطلح نسبة إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي ، وأورد - كما ينقل عنه البرادي - بصيغة (الوُهَيْبِيَّة) .

وإذا جئنا إلى المصادر الإباضية المشرقة نجدها كذلك تذكر مصطلح (الوُهَيْبِيَّة) بهذه الصيغة ونسبه إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي ، فمثلا الشيخ القلّهاني (ق : ١٠٦هـ) يورد هذا المصطلح في كتابه (الكشف والبيان) في معرض ذكره للفرق والمذاهب الإسلامية فيقول : * ... في ذكر الفرقة الأولى الوهبيّة وهم النسوبون إلى عبد الله بن وهب الراسبي الأزدي وهو أول إمام عقدوه بعد علي بن أبي طالب ، وكذلك الإباضية إمامهم عبد الله بن إباح من تيم اللات رهط الأحنف بن قيس وهما فرقة واحدة ... * (١) ، ومصدر آخر من مصادر الإباضية المشرقة يورد مصطلح (الوُهَيْبِيَّة) كذلك بهذه الصيغة وهو كتاب (كشف الغمة الجاسع لأخبار الأمة) للإزكوي (ق : ١١١هـ) فيقول : * ... في اعتقاد الفرقة الوهبيّة الإباضية ... * (٢) .

ويلاحظ أن بعض علماء الإباضية المشارقة يُنسبون إلى (الوُهَيْبِيَّة) فمثلا سَلَمَةُ بن مُسْلِم الفوتحي العُماني (عاش في نهاية ق : ٤هـ وبداية ق : ٥هـ) لجند في غلاف مخطوط كتابه (الإبانة) أنه : سَلَمَةُ بن مُسْلِم الفوتحي الصُخَّاري العُماني الوُهَيْبِي الإباضي المَحْبُوبِي (٣) .

وتوجد رسالة كاملة لمؤلف مجهول (نهاية ق : ٦هـ / ١٢م أو بداية ق : ٧هـ / ١٣م) (٤) ، تحت عنوان : (ذكر أسماء بعض شيوخ الوهبيّة) (٥) ، جمع فيها مؤلفها

(١) محمد بن سعد القلّهاني ، الكشف والبيان ، مخطوط ، رقم : ٧٧٧ ، الباب السادس والأربعون ، مكتبة السيد محمد بن أحمد أبو سعدي الممستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية ، مسقط ، سلطنة عمان . وانظر الفسحة المطبوعة من كتاب الكشف والبيان بتحقيق : مبدية إسماعيل كلف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ٤٢٢/٢ .

(٢) مرواح بن عمر بن محمد السرحني الإزكوي ، كشف الغمة الجاسع لأخبار الأمة ، مخطوط ، رقم : ١١٥ ، ورقة : ٢٧٤ ، مكتبة السيد محمد بن أحمد أبو سعدي الممستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية ، مسقط ، سلطنة عمان .

(٣) سلمة بن مسلم العوتبي ، كتّاب الإبانة في اللغة العربية ، ج : ١ ، نبع : عبد الكريم خليفة وآخرون ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ، ص ١٤-١٥ ، ٤٦ .

(٤) تقيوس ليفيتسكي ، المؤرخون الإباضيون ، ص ٢٠٠ .

(٥) انظر الرسالة في : التماشي ، المسير ، ٢٢٤-٢٢٥/٢ .

أسماء عدد كبير من أئمة وعلماء الإباضية الذين ظهروا في المغرب وقسمهم حسب المناطق التي ظهروا بها ، وقد ضمتها أسماء عدد من الأئمة الذين ظهروا قبل الإمام عبد الوهاب ، فلو كان مصطلح (الوَهْبِيَّة) ينسب إلى الإمام عبد الوهاب لما ذكر أولئك الأئمة المتقدمين عليه ١٩ ، لما يدل على أن هذا المصطلح يعود في نسبه إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسي ، فمن ضمن الأئمة الذين ذكروهم على سبيل المثال : الإمام الحارث بن تليد الحضرمي وقاضيه عبد الجبار بن ليس المرادي (تولى بين : ١٣١هـ / ٧٤٨م و ١٤٠هـ / ٧٥٧م) ، والإمام أبو الخطاب عبد الأعلى بن السمع المَعافري (ت : ١٤٤هـ / ٧٦١م) ، والإمام أبو حاتم يعقوب بن حبيب المَعززي (ت : ١٥٥هـ / ٧٧١م) ، وابن مفضل الجناوني (حي بعد : ١٦٠هـ / ٧٧٦م) ، وأبو الخبب إسماعيل بن درار المقداسي (حي : ٢١١هـ / ٨٢٦م) ، والإمام عبد الرحمن بن رستم (ت : ١٧١هـ / ٧٨٧م) ، وعاصم السَّنْزَانِي (ت : ١٤١هـ / ٧٥٨م) ، وأبو داود القِبْلِي المَعززي (حي : ١٤٠هـ / ٧٥٧م) ، فلناحظ أن كل هؤلاء مقدمون على الإمام عبد الوهاب ، وبعضهم من حلة العلم إلى المغرب ، وبعضهم ممن بويع بالإمامة وأقام أولى الدول الإباضية بالمغرب ، فكيف ينسبون إلى من جاء بعدهم ؟

وقد يتعلق البعض بما ذكره الإمام القطب محمد يوسف أطفيش (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) في (شرح عقيدة التوحيد) حيث قال : " إذا قلنا الوهبية نسب إلى عبد الله بن وهب الراسي فلا إشكال في تسعة أصحابنا العمانيين والخراسانيين وغيرهم وهبية ، وإذا قلنا نسب إلى الإمام عبد الوهاب في المغرب ، فكيف يسمى أهل المشرق كأهل عمان وخرسان وهبية ؟

الجواب : أنهم يسمون وهبية لأنهم مقرون بأنه إمام عدل على الصواب ، وأنه وإياهم مثلهم مذهب وديانة واحدة ، وقد قال الربيع وهو في البصرة : عبد الرحمن بن رستم إمامنا " (١) .
قبل مناقشة ما ذكره الإمام القطب ، ينبغي الإشارة إلى أن الإمام الذي ذكره الإمام الربيع هو الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن وليس الإمام عبد الرحمن ، فمصادر التاريخ الإباضية تورد النص

(١) محمد أطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ص ١٩٧ .

بقولها : " وكان الربيع يقول في مجالسه : عبد الوهاب إمامنا وتقينا وإمام المسلمين " (١) ، وهذا الذي يقتضيه كلام الإمام القطب إذ إنه يستدل بكلام الإمام الربيع للتدليل على المكانة الكبيرة والرفيعة للإمام عبد الوهاب لدى أئمة الإباضية خاصة والإباضية عامة ، فلهذا اتسبوا إليه .

نأتي الآن إلى مناقشة ما ذكره الإمام القطب ، نلاحظ أن الإمام القطب لم يرجع أحد القولين على الآخر ، وإنما حاول أن يجد موقفاً لنسبة إباضية المشرق إلى (الوُفَيْيَّة) هذا على فرض أنه ينسب إلى الإمام عبد الوهاب ، فإباضية المشرق يعترفون ويقرون بإمامة الإمام عبد الوهاب كما يعترف ويقر بها إباضية المغرب ، ويعتزون الإمام عبد الوهاب من كبار أئمتهم ومن لحول علمائهم ، ومن الذين أسهموا في الترسخ والحفاظ على الوجود الإباضي بشمال إفريقيا بل وانتهوض به ، فكان له دور كبير في تثبيت الوجود للدولة الرسمية الفتية التي تولى إمامتها بعد وفاة مؤسسها الإمام عبد الرحمن ، فكانت له جهود مشهودة في تطوير الدولة الرسمية على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، وقد بلغت حدود الدولة الرسمية في عهده من حدود مصر شرقاً إلى مدينة تَلَمَسَّان في أقصى المغرب الأوسط غرباً ، ولا ننسى أنه ترك بعض المؤلفات العلمية ككتاب (مسائل نفوسة الجبل) ، الذي وصفه البرادي بأنه سفر ضخم (٢) .

نعم تلك أسباب منطقية لنسبة الإباضية إلى الإمام عبد الوهاب ، ولكن هل الإمام عبد الوهاب تفرد بتلك الإنجازات دون غيره من أئمة الإباضية ؟

بالطبع لا ، فإننا نجد من أئمة الإباضية سواء المشاركة أو المغاربة من قدم ما قدمه الإمام عبد الوهاب ، وربما ما يفوق ما قدمه الإمام عبد الوهاب ، فلماذا لم ينتسب الإباضية إليهم ؟

فمثلاً لماذا لم ينتسبوا إلى الإمام عبد الرحمن بن رستم وهو الذي تمكن من أن يصنع للإباضية دولة راسخة بعد طول جهاد وتضحيات من الإباضية ، فحقق لهم الحلم المنشود ١١٩٠ يقول جودت عبد الكريم : " ... وإذا كان بعض المؤرخين قد أطنبوا في ذكر أخباره [بقصد الإمام عبد الرحمن] فهناك من ذكر نفا منها أو أهملها استصفاً لشأنه وشأن مملكته ، مع أنه بالإمكان مقارنة عبد الرحمن الداخل ، وإدريس الأول ، وعبد الله الشيعي ، إذ تمتع كل منهم بشخصية

(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٩٧ - الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٥٥/١ - الشماخي ، السير ، ١٢١/١ .

(٢) نظر : البرادي ، الجواهر (مخ) ، ص ٢١٩ - مهنا السعدي ، الشيخ تميم ومنهجه ، ص ٢٩ - ٤٧ ، ١٧٢ ، ونظر كذلك كتاب : (الدولة الرسمية) للدكتور بحار إبراهيم بكور .

دينية وحرية وعلمية ، واتباعوا استراتيجية واحدة ، فلولوا المغرب بمفردهم واستطاعوا أن يجمعوا الأنصار حولهم فيؤسسوا دولة مشرقية الرأس مغربية الجسم * (١) ؛ ولكن نجد أن الإباضية لم ينسوا أنفسهم إلى الإمام عبد الرحمن ؟

والواقع يقتضي أن ينتسب أتباع حركة معينة أو فكر معين إلى مؤسس ومنظر تلك الحركة ، أو على أقل تقدير من له بروز متميز فيها وإن لم يكن له ذلك التطير للحركة التي أوجدها ، ولكن يظل الرمز الأول لأتباعه ؛ فنجد مثلا أن الإباضية ينتسبون إلى الإمام جابر بن زيد كونه المؤسس والمنظر للمذهب الإباضي ، وهكذا بقية المذاهب الإسلامية ينتسبون إلى من يعدونه الإمام المنظر لتوجههم ، وكذا أصحاب كل توجه بغض النظر عن ماهيته ؛ وبما أن الإمام عبد الله بن وهب الراسي كان من أوائل المنكرين للتحكيم ، واختاره من أنكر التحكيم إماما لهم ؛ وبعد اشككة أو أهل الثغر كان هم النواة الأولى للإباضية (٢) ، فمن البديهي أن ينتسب الإباضية إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسي ، فيطلقون على أنفسهم (الوُهَبِيَّة) ، وهذا أقرب للمنطق والواقع ، فمن الغرابة بمكان أن ينتسب الإباضية إلى الإمام عبد الوهاب الذي عاش في القرن الثاني الهجري ، ويتركون الإمام عبد الله بن وهب وهو من الصحابة الأجلاء ، ويتركون الإمام جابر وهو من كبار التابعين ومن خاصة طلاب ابن عباس ؟

وأما ما ذكره الإمام الربيع حول كون الإمام عبد الوهاب " إماما وتقيا وإماما للمسلمين " ، فكذلك بقية أئمة الإباضية ينسحب عليهم هذا الوصف ، فلماذا يتفرد به الإمام عبد الوهاب فقط دون غيره ؟؟ ؛ والذي يظهر أن ما دفع الإمام الربيع إلى وصف الإمام عبد الوهاب بهذا الوصف هو تلكم الفتنة التي اجتاحت صفوف الإباضية بالمغرب من قبل ابن فنين وأتباعه المنكرين لإمامة عبد الوهاب ، والتي وصل شرورها إلى البصرة ، فأراد الإمام الربيع - وهو مرجع الإباضية في ذلك الوقت - القضاء على هذه الفتنة واجتثاثها من جذورها قبل أن تتفشل ، وقبل أن يتأثر عوام الإباضية بآبائ فنين ومن معه ، فوصف الإمام عبد الوهاب بذلك - وهو حري بذلك الوصف - في مجالسه وأمام مشائخ وعوام الإباضية لتوحيد الصف ورتق الفتق ، وكان بصرح البراءة من ابن

(١) جودت عبد الكريم يوسف ، الملائكة الخرجية للدولة الرسمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، شارع زيوروت يوسف ، الجزائر ، ١٩٨٤م ، ص ٦٣ .
(٢) السلمي ، الفوارج والحقيقة المغلقة ، ص ٦٧ ، ٧٤ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ١٨٥ .

فدين ومن معه ^(١) ، وبالفعل نجح في ذلك ، ولم يعد الشُّكَّار المغرب وظلوا في بعض المواطن بالمغرب إلى أن اندثروا ولم يعد لهم وجود ، وبقي الإباضية إلى يومنا هذا .

وأخيراً فإن الإمام القطب في (شرح النيل) مجده يرجع أحد القولين على الآخر ، فذهب إلى أن (الوَهْبِيَّة) نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسي لا إلى عبد الوهاب ، فقال : * ... الوهبية نسبة إلى عبد الله بن وهب الراسي لا إلى عبد الوهاب ، لأن الأول أنسب لقدمه ، ولأن النسب إليه على القياس ، وأما الثاني فقياس النسب إليه وهابي ، ولعل المراد الأول ، ولكن لفظ الإباضية الوهبية حقيقة عريقة لمن على ما نحن عليه فنخرج الشُّكَّار والفريضة لأنهم لم يدينوا بما دنا * ^(٢) .

وكما ذهب الإمام القطب إلى ترجيح نسبة مصطلح (الوَهْبِيَّة) إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسي ، فقد ذهب أغلب علماء الإباضية إلى ما ذهب إليه الإمام القطب ، كالشيخ محمد بن سعيد القلّهاني في كتابه (الكشف والبيان) ، وقد ذكرت نصّ القلّهاني سابقاً ، والشيخ عبد الله الباروني (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) حيث يقول : * ثم عقد المسلمون الإمامة لابنه عبد الوهاب وهو الذي ينسب إليه المذهب فيقال : وهبي ، وقيل النسبة إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسي ، وهو أقرب ... * ^(٣) .

ونجد أصحاب المعجم يقولون : * نسب الإباضية إلى عبد الله بن وهب الراسي ، ولذلك يقال : الإباضية الوهبية ، وكل من خرج أو الشق عن الإباضية الأم اتخذ لنفسه اسماً ، أو أطلق عليه اسم ، كالتكارية والخلفيّة والنفاثيّة وغيرها ... وكلها انقضت وبقيت الإباضية الوهبية ، التي التزمت متهاج عبد الله بن إباح القعود والتروي * ^(٤) .

وقد ذهب بعض الباحثين المعاصرين من الإباضية كالذكور محمد صالح ناصر ، والذكور إبراهيم بخاز إلى القول بنسبة مصطلح (الوَهْبِيَّة) إلى الإمام عبد الوهاب ^(٥) ، ولكن - مع احترامنا للشهيد لمكانة الباحثين الكريمين فهما ممن أخذت عنه العلم جزاء الله خيرا - الأصح

^(١) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٩٧ - الفرجاني ، طبقات المشايخ ، ٥٥/١ ، الشامي ، السير ، ١٢١/١ .

^(٢) لطيفش ، شرح كتاب النيل ، ٤٥٢/١٧ .

^(٣) عبد الله الباروني ، رسالة سلم العامة والمبتدئين ، ص ١٨ .

^(٤) بحاز وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ٢٧٨/٢ ، رقم الترجمة : ٦٠٢ .

^(٥) ابن الصغير ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٤٣ للهامش - بحاز ، الفتوة الرسمية ، ص ٣٣٠ .

نسبة هذا المصطلح إلى الإمام عبد الله بن وهب الراسبي للأدلة والقرائن العديدة التي ذكرها سابقا ، ولترجيح لحول أئمة الإباضية هذا القول ، هذا فضلا عن أن الباحثين الكريمين لم يذكروا أدلتهم على هذا الترجيح ، والحقيقة أن الباحثين تراجعوا عن ذلك في معجم أعلام الإباضية سالف الذكر ، ثم إنهما اعتمدا فيما قلناه على ابن الصغير فهو الذي ذكر أن (الوَهْبِيَّة) قد تكون نسبة إلى عبد الوهاب ، خاصة وأقما في صدد تحقيق كتاب ابن الصغير .

ولم أجد - حسب اطلاعي - أحدا من علماء الإباضية أو من غير الإباضية ذكر مصطلح (الوَهْبِيَّة) بصيغة (الوَهَابِيَّة) ، إلا محاولة ارتجالية - من وجهة نظري - للشيخ الدكتور عمرو خليفة النامي - مع احترامي الشديد لذكائه العلمية - تفرد بها معتمدا على اجتهد شخصي مبني على أدلة لا يتعدى كونها مجرد ظن منه ، فنجدتها - كما سنرى - لا تصمد أمام النقاش والتحليل .

لقد ذهب د/ النامي إلى القول بنسبة هذا المصطلح إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، حيث يقول : " يجدر بنا أن نذكر هنا أن الاسم [يقصد (الوَهْبِيَّة)] استعمل بالدرجة الأولى من قبل البربر في شمالي إفريقيا ، ومن الممكن أن الشكل الصحيح للاسم حوّر لتسهيله على النطق البربري ، فأصبح الوهبيّة بدلا من الشكل الصحيح وهو الوهابية . والحقيقة الأخرى التي تدعم القول بأن اسم الوهبيّة مشتق من عبد الوهاب هو أن الاسم لم يظهر قبل معارضة النكار لإمامة عبد الوهاب ، وهي المعارضة التي شقت الأمة الإباضية في شمالي إفريقيا إلى فرقتين ، أتباع يزيد بن فدين الذين سموا بالنكار ، وأتباع عبد الوهاب الذين كان يجب أن يسموا بالوهابية ، على اسمه ، كما أشر من قبل ، ولكن الاسم عدّل فأصبح الوهبيّة " ^(١) .

نلاحظ في النص السابق أن مستند د/ النامي في ما ذهب إليه أمرين ، الأول : أن هذا الاسم استعمل بالدرجة الأولى من قبل البربر في شمالي إفريقيا ، ومن الممكن أن الشكل الصحيح للاسم حوّر لتسهيله على النطق البربري ، فأصبح (الوَهْبِيَّة) بدلا من الشكل الصحيح وهو (الوَهَابِيَّة) .

^(١) النامي ، دراست عن الإباضية ، ص ١٩٦ .

من الملاحظ أن هذا الدليل الأول للدكتور النامي بُني على * ومن الممكن * ، أي أنه مجرد ظن واحتمال لا يوجد عليه دليل يؤكد ، ثم اللسان البربري الذي استطاع أن ينطق بالكثير من المصطلحات كـ (الإباضية) و (الشَّكَّار) و (الشَّكَّات) و (الفرقة)^(١) وغيرها ، عجز عن أن ينطق بـ (الوَهَّابِيَّة) فحرفها إلى (الوَهَّابِيَّة)^{١٩} ، وهذا يجرنا إلى القول بأن البربر إذن لا ينطقون باسم إمامهم عبد الوهاب هكذا وإنما يقولون عبد الوهب وهذا بعيد جدا .

أضف إلى ذلك أن إباضية شمال إفريقيا لم يعدموا في قرن من القرون من وجود فحول العلماء المتضلعين في اللغة العربية وغيرها من علوم الشريعة ، والذين تركوا العديد من المؤلفات في اللغة وغيرها ، واتفق البربر اللغة العربية بما لا يقل عن العرب أنفسهم ، وحفظوا القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ويقرأون القرآن الكريم قراءة عذبة بمجودة ، هل هؤلاء الذين حفظوا كتاب الله في صدورهم وهو المعجز في بلاغته ، وصنفوا المختصرات والمطلوبات باللغة العربية عجزوا عن النطق بـ (الوَهَّابِيَّة) فحرفوها إلى (الوَهَّابِيَّة)^{١٩} ؟

ثم إننا نجد البربر - الذين اعتبرهم د/ النامي وهو من البربر عاجزين عن النطق الصحيح - يقولون : " ... الوَهَّابِيَّة سموا بذلك لاتباعهم عبد الله بن وهب الراسبي ، وكذلك هو عندنا ، فلو نسبت إلى عبد الوهاب لكانت الوَهَّابِيَّة ، فإن قبل فالألف في الوهاب زائدة وحروف الزوائد تسقط عند النسب من الاسم ، قلنا ولو كان كذلك فإين الضعيف الذي في الهاء فإذا الاسم من الوَهَّابِيَّة بالتشديد وهذا فساد ، وإنما هو الوَهَّابِيَّة * ، والنص للبربادي وقد مر علينا ؛ فنلاحظ هنا أن اعتراضات البربادي اللغوية لها وجهاتها وقواها ، فكيف استطاع هذا اللسان البربري أن يتعمق هذا التعمق في اللغة العربية وهو عاجز عن النطق بـ (الوَهَّابِيَّة)^{١٩} ؟

وأما مستنده الثاني هو : أن الاسم لم يظهر قبل معارضة الشَّكَّار لإمامة عبد الوهاب ، وهي المعارضة التي شقت الأمة الإباضية في شمالي إفريقيا إلى فريقين ، أتباع يزيد بن فليدين الذين سموا

^(١) الفرقة : هم أتباع أبي سليمان بن يعقوب بن أفلح ، الذي كان من الإباضية وأظهر أقوالا لم يقل بها أحد من الإباضية ، فجاء علماء عصره وعلى رأسهم والده ، ومن ضمنهم الممثل الذي نقوا بها : نجاسة فرت الحيوان المأكول للحم وما يطبخ فيه من طعام ، ولهذا سموا الفرقة ، تحريم دم العروق ولو بعد غسل الشئ ، نجاسة عرق الجنب والمجنون ، ولم تعد هذه الأكوال فأهلها وبعض من أتباعه ، وقد استمروا حتى القرن ١٦ هـ ، ثم انشعروا (انظر : معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ٣٥٢ - ٣٦ - معمر ، الإباضية مذهب إسلامي معتدل ، ٤٦ - النامي ، دولفت عن الإباضية ، ص ٢١٨) .

بالكُتار وأتباع عبد الوهاب الذين كان يجب أن يسموا بالوهابية ، على اسمه - على حد تعبير د/ التامي - إلا أن الاسم عُذِّل فأصبح الوهبة .

بالفعل فإن مصطلح (الوَهْبِيَّة) لم يكن له وجود في التراث الإباضي حتى حدوث ذلك الانشقاق - وقد تطرقنا إلى الحديث عن هذا الجانب سابقا - ولكن ليس من الضرورة أن يكون المصطلح نسبة إلى الإمام عبد الوهاب ، بل الأقرب إلى الواقع أنه نسبة إلى الإمام عبد الله بن وهب كعبر من إباضية شمال إفريقيا على محافظتهم على نهج الإباضية الأوائل وعدم الانحراف عنهم كما انحراف الآخرون ، وهذا ما يؤكدته فحول أئمة الإباضية كالجليطاني والبرادي وقطب الأئمة كما مر علينا ، ولو كان هذا المصطلح حكرا على إباضية شمال إفريقيا ما الداعي أن يصف عدد من علماء الإباضية بعض المؤلفات المعيرة عن العقيدة الإباضية ويضمنون عناوينها مصطلح (الوَهْبِيَّة) ؟ ١٩ ، ككتاب (العقيدة الوهبة) لأبي مسلم التَّهْلَافِي وهو مشرفي عماني ، فهل أبو مسلم يعرض في كتابه عقيدة خاصة بـ (الوَهْبِيَّة) إباضية شمال إفريقيا تفردوا بها دون سائر الإباضية ؟ بالطبع لا ، وإنما هو يعرض في كتابه العقيدة التي يعتقدونها ويؤمن بها الإباضية بغض النظر عن أوطانهم وأزمانهم ! ، فلو لم يكن مصطلح (الوَهْبِيَّة) عام ينسحب على كل إباضي لما جعله أبو مسلم عنوانا لكتابه ١٩

كذلك ماذا عن الرسالة التي ألّفها أحد علماء الإباضية تحت عنوان : (ذكر أسماء بعض شيوخ الوهبة) ، وقد أشرت إليها سابقا ، وبينت هناك أنها تضمنت أسماء لعدد من أئمة الإباضية الذين ظهروا قبل الإمام عبد الوهاب ، وبعضهم مشاركة من أصول يمنية وعلى رأسهم الإمام أبو الخطاب المُعَاوِي ١٩ ، فلو لم يكن مصطلح (الوَهْبِيَّة) ينسحب على كل إباضي لما عُدَّ مؤلف تلك الرسالة الإمام أبا الخطاب وغيره من المشاركة وَهْبِيَّة ١٩

هذا بخصوص مصطلح (الوَهْبِيَّة) الإباضية ، فماذا عن مصطلح (الوَهْبَانِيَّة) ، متى ظهر هذا المصطلح ومن المقصود به ؟

ذكرت في بداية بحثي هذا أن مصطلح (الوَهْبَانِيَّة) هو نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب الصميمي ، المولود في سنة ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م في بلدة العيينة بنجد ، والمتوفى في سنة

١٢٠٦هـ / ١٧٩١م ، والذي بدأت دعوته في سنة ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م بعد وفاة والده ، وبعده الوهابية أو السلفية ^(١) - كما يحون أن يطلق عليهم - إمامهم ^(٢) .

سأكتفي بعرض بعض النصوص من مؤلفات السلفية (الوهابية) أنفسهم ، والتي اعترفوا فيها بأن مصطلح (الوهابية) ظهر مع ظهور محمد بن عبد الوهاب ، وأن هذا المصطلح هو نسبة إلى إمامهم محمد بن عبد الوهاب ؛ بل نجد بعضهم تقبل هذا المصطلح والانساب إليه ولم يجد غضاضة في ذلك ، إذ إن بعضهم يكره أن يطلق على حركتهم (الوهابية) ويفضل السلفية أو النجدية ؛

(١) الحقيقة أن مذهب (السلف) هذا الذي يريده الوهابية في أئوالهم ومؤلفاتهم ، وأنه يجب أن نقيم الكتاب والسنة بهم السلف ، لا وجود له في أرض الواقع ؛ فالسلف بدأ من المسحاة إلى كبار التابعين ومن جاء بعدهم اختلفوا في الكثير من المسائل ؛ فأي سلف هذا الذي منزههم به الكتاب والسنة ؟ ولكن ربما المقصود بالسلف ابن تيمية وابن القيم والتابعين ، وما دعوى (السلف) هذه إلا محاولة للتفريب بالمسأة وعوام الناس ليتقبلوا انحرافاتهم ؛ يقول السيد حسن السلف : " يدعى الوهابيون بأنه يجب فهم الكتاب والسنة بفهم السلف وهم بذلك يعتبرون فهم السلف من الأئمة الشرعية الواجب اتباعها وقولهم هذا يتضمن مغالطتين : الأولى : أن السلف غير متفقين في فهم السلف ، فبين لهم مذهب سواد معروف حتى يصح أن يقال مذهب السلف أو فهم السلف أو يجب فهم الأمور بفهم السلف ، وكتب الحديث والآثار ككتاب " المصنف " للناظر عبد الرزاق وابن أبي شيبة فيه نماذج متحدة عن اختلاف السلف وأهل القرون الثلاثة في المسائل الشرعية ... والمغالطة الثانية : أنه ليس في الكتاب والسنة دليل يقيد أنه يجب تحصيل عقولنا التي وهبها الله سبحانه وتملي إياها وفهم الكتاب والسنة بفهم غيرنا ما دام أن المرء وصل إلى درجة الفهم والاجتهاد !! " ، ويقول أيضا : " إن الوهابيين السلفيين في هذا العصر يدعون بأن الذي يقولونه من آراء وأقوال هو مذهب السلف تنويها على العامة والمساكين ليرجعوا إليهم ما يرون من الأقوال وآراء مختلفة !! وقد دأب هؤلاء وخاصة المجسمة والمشبهة منهم بأن ما يقولونه هو مذهب السلف ؛ وإذعي هؤلاء المشبهة والمجسمة أن فهمهم للسلف هو مذهب السلف وهو المرجع الشرعي الذي لا يجوز التحول عنه !! وهم في الواقع قد علوا عن الصراط المستقيم ، والطريق السوي القويم ، لأنهم تركوا الكتاب والسنة وفهم العرب لها وراءهم طيهرها ، مع اعتمادهم على سراب يتبعه لا وجود له في الواقع البتة بل هو خيال قائم في أذهانهم ويمضون به على البسامة من غيرهم وهو قولهم : هذا مذهب السلف !! " ، ثم قل : " فهذا الإمام أحمد يقول وقد سئل عن مسألة فلقني فيها ، فقول له : هذا لا يقول به ابن المبارك ، فقال : ابن المبارك لم يزل من السماء " ، ثم قل : " مع أن ابن المبارك ملأه للإمام أحمد . وهذا الإمام أبو حنيفة قبل أحمد يقول : ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ، وما جاء عن المسحاة افتترا ، وما كان من غير ذلك فهم رجال ونحن رجال " ، وبعد السيد المسحاة ينكر أنه مع ادعاء هؤلاء أن ما يقولونه هو مذهب السلف وأنه متفق ومجمع عليه بين الأمة ، فيذهب عن أنفسهم قد اختلفوا في أصول الدين ؛ وتبينوا في أسس التوحيد المبين !! فكيف يدعون قائل السلف في السلف التوحيدية ؟! وهم مختلفون فيها . ثم بعد ذلك ذكر نماذج من اختلاف السلف في مسائل عقائدية مثل : خلق القرآن ، والريوة ، والميزان ، والتأويل والتوقيض ، ومن هو أفضل من الصعبة ، والإرجاء ، والمقدّر ، وغيرها ، فكيف يقال بعد ذلك بمذهب السلف والسلف مختلفون ؟! وقد لفت السيد المسحاة كتابا تحت عنوان (البشارة والإتحاف بما بينهم من الخلاف) بين فيه الخلاف الواقع بين الوهابية أنفسهم ؛ (انظر : السلف ، السلفية الوهابية ، ص ٩٧-٩٨) .

(٢) عثمان بن عبد الله النجدي ، عنوان السجد في تاريخ نجد ، ج ١ ، تع : عبد الرحمن بن عبد المطلب آل الشيخ ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، السعودية ، ط ١ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م ، ص ٢٢ ، ١٨٠ ، صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ما ضيها وحاضرها ، ج ١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٧٦هـ / ١٩٥٧م ، ص ٣٦ ، ٥٦ ، حسن بن فرحان المالكي ، داعية وليس نبيا ، دار الرزقي ، غلبن ، الأردن ، ط ١ : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م ، ص ٩.

يقول د/ سليمان بن عبد الرحمن الحقييل : * الوهابية لقب لم يختاره ^(١) أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لأنفسهم ^(٢) ، لكن أطلق عليهم من قبل خصومهم ... واللقب الصحيح لدعوة الشيخ هو الدعوة السلفية * ^(٣) ، ويقول : * وعلى أي حال فإن عددا قليلا من العلماء التابعين لدعوة الشيخ محمد أو المتعاطفين معها ، بدأوا في السنوات الأخيرة لا يتحاشون استعمال كلمة وهابية في كتاباتهم . ولابد أن هذا الموقف جاء نتيجة اعتقاد هؤلاء بأن ما كان يدعو إليه الشيخ وأنصاره بات واضحا بدرجة كبيرة ، وأن ما تحمله هذه الكلمة من معاني في الزمن الماضي أصبح أضعف من ذي قبل في أذهان الكثيرين * ^(٤) .

إذا فلاحظ هنا أن د/ سليمان الحقييل اعترف أن هذا المصطلح ينسب إلى محمد بن عبد الوهاب ، وأنه بدأ عدد من علماء الوهابية يعترفون بهذا المصطلح ويستخدمونه كرمز لحركتهم ، وأما التبرير الذي أورده د/ الحقييل من كونهم أصبحوا لا يتحاشون استخدام هذا المصطلح في السنوات الأخيرة يعود إلى اعتقادهم بأن ما كان يدعو إليه الشيخ وأنصاره بات واضحا بدرجة كبيرة ... الخ ، فهذه وجهة نظر د/ الحقييل .

ونص آخر لأحد الوهابية وهو أحمد بن حجر آل طامي يعترف فيه بهذا المصطلح بل ويقتصر به ، فيقول : * ومن معاملة الله لهم - أي خصوم الدعوة - مقتضى مقصدهم هو أنهم قصدوا بلقب الوهابية ذمهم ، وأنهم متدعة ، ولا يحيون الرسول كما زعموا ، صار الآن لقباً لكل من يدعو إلى الكتاب والسنة ، وإلى الأخذ بالدليل ، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومعارضة البدع والخرافات ، والتمسك بمذهب السلف * ^(٥) .

وهذا مسعود الندوي يقول : * إن من أبرز الأكاذيب على دعوة شيخ الإسلام [يقصد بشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب] تسميتها بالوهابية ، ولكن أصحاب المطامع حاولوا من هذه

(١) هكذا وردت في النص ، وأظن الأصح " لم يختاره " للجزم .

(٢) من من أتباع المذاهب الإسلامية اختلفوا لأنفسهم لقبهم الذي يسمون به سواء خوارج ، إباضية ، حنابلة ، حنابلة ، حنابلة ، معتزلة ... الخ .

(٣) سليمان بن عبد الرحمن الحقييل ، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته ، مؤسسة المختار ، الرياض ، السعودية ، ط ٢ : ١٣٢١ هـ / ٢٠٠١ م ، ص ٨١ .

(٤) الحقييل ، المصدر السابق ، ص ٨١ - ٨٢ .

(٥) أحمد بن حجر آل طامي ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة المنمنم ، الكويت ، ١٤٠٦ هـ ، ص ١٢٠ ، نقلا عن : الحقييل ، مصدر السابق ، ص ٨٢ .

التسمية أن يشعروا أنها دين خارج عن الإسلام ... ولكن بغض النظر عن هذه الأكاذيب والافتراء فلا أرى حرجاً في هذه التسمية *^(١) ويقول في موضع آخر : " ولم نجد حجة قاطعة تدلنا على أول من نادى بهذا الاسم ولكن الظاهر أن المخالفين أقاموهم بهذه التسمية في حياة شيخ الإسلام نفسه . وهذا رأي مرغليوث ، ومع أنه ليس حجة في هذا الباب إلا أن هناك قرائن أخرى تؤيد هذا ، وقد ورد هذا اللفظ في قصيدة للملا عمران رضوان والغالب أنه أحد معاصري شيخ الإسلام فقد قال :

إن كان تابع أحد متوهباً فانا المقلد باني وهابي

ومعاصر مصري آخر قد ذهب إلى هذا الرأي وأن الأعداء كانوا قد بدأوا في استعمال هذا اللقب في أيام الحروب الأولى *^(٢) .

إذا هذه اعترافات وإقرارات بهذا اللقب نضيفها إلى ما سبق ؛ وهذا إقرار آخر لأحد القطن يقول فيه : " وأما كان الأمر ليس في التسمية ما يعيب الحركة الوهابية ... *^(٣) .

ومحمد الشيخ عبد العزيز بن محمد آل الشيخ يعترف ويقر بهذا المصطلح فيقول : " كلمة الوهابية أصبحت في عصرنا الحاضر لا تغفل لنا مشكلة ما ... وعرف الناس أن الوهابية لا تعني سوى طائفة من أهل السنة متمسكين بعقيدة السلف ... *^(٤) .

وأخيراً يقول د/ سليمان الحقيقل : " لما سبق يتضح أن بعض المعاصرين لا يتحاشون من استخدام كلمة الوهابية بينما ما زال بعض الباحثين يتحاشون استخدام لقب الوهابية *^(٥) .

وأختم هذا البحث بكلام قيم للأستاذ الباحث حسن بن فرحان المالكي تناول فيه تحليل مصطلح (الوَهَابِيَّة) وأصوله ، وتعقب من اعترض على هذا اللقب من الوهابية ؛ وبين أن علماء الدعوة الوهابية استخدموا هذا المصطلح ولم يجدوا أي اعتراض من استخدامه ، فيقول : " مع أن

(١) مسعود الندي ، محمد بن عبد الوهاب مُصلح مظلوم ومُقرى عليه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، طبعه : ١٤١١ هـ / ١٩٩٠ م ، ص ١٦٥ .

(٢) الندي ، مصدر سابق ، ص ١٦٧ .

(٣) أحمد القطن وآخرون ، إمام التوحيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة المنمنم ، الكويت ، ١٤٠٩ هـ ، ص ٢٩ ، نقل عن : الحقيقل ، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ص ٨٢ .

(٤) عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ ، المختر من مجلة المنار ، ج ٢ ، ١٤١٢ هـ ، ص ٥ - ٥ ، نقل عن : الحقيقل ، مصدر سابق ، ص ٨٢ - ٨٤ .

(٥) الحقيقل ، مصدر سابق ، ص ٨٥ .

كلمة (الوهابية) ليست صفة ذم ولا مدح ، فليست ذما حتى لو اعترفت الوهابية أنها مذهب ، فالمذهب الذي يعتمد على أدلة صحيحة لن يضره الاسم الجديد ، ولا تسمية الناس له ، وليس من شروط المذهب أن يكون في القرون الثلاثة الأولى ، كما أن التيار أو المذهب الذي يبني فكره وعمله على أدلة ضعيفة ، لن ينقعه التسمي بأحسن الأسماء ولو كان في القرن الأول ، فالعبرة بصحة العلم وصفاء الإيمان وحسن العمل وليس بالتسمي ولا بالتمي .

وعجبي ممن يكره من المقلدين بأن لفظة (الوهابية) إنما أطلقها الخصوم ، ويدندنون حول اللقب والتسمية مع أن اللفظة أو التسمية خارج الواقع هذا أمر .

أما الأمر الثاني : فقد كان علماء الدعوة يميزون استخدام (الوهابية) ويردونها في كتبهم دون خوف من اقام بمذهب ، بل ربما ألفوا الكتب والرسائل في عقائد الوهابية ودعوتهم ولا ضير في ذلك .

ومن علماء الدعوة الذين استخدموا مصطلح (الوهابية) سليمان بن سحمان ، وقبله محمد بن عبد اللطيف (الدرر السنية ٤٣٣/٨) وغيرهما ، وكذا المدافعون عنها كالشيخ حامد الفقي ومحمد رشيد رضا وعبد الله القصيمي وسليمان الدخيل وأحمد بن حجر أبو طامي ومسعود النوري وإبراهيم بن عبيد صاحب التذكرة وغيرهم ، يستخدمونها ، مع أن الشيخ حامد الفقي رحمه الله قد حاول أن يشكك في نيات كل من استخدم هذا المصطلح واقترح أن يطلق عليها (الدعوة المحمدية) لأنها تنسب إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ا وليس إلى والده (عبد الوهاب) وقد قلده من المشايخين الشيخ صالح الفوزان في إنكاره على أبي زهرة وغيره ، ومطالبة الفقي والفوزان بأن نطلق على الوهابية (الدعوة المحمدية لا الوهابية) لأن الشيخ اسمه (محمد) هذا اقتراح منهما غريب عجيب ، لسبب يسر وهو : أن أغلب المذاهب المشهورة لا تسمى بأسماء أصحابها ، وإنما تسمى بأسماء آباء أو أجداد أصحاب المذاهب ، فالمذهب الحنبلي مثلا نسبة حنبل وحنبل هذا هو جد أحمد بن حنبل (اسمه أحمد بن محمد بن حنبل) ، والشيخ الفوزان أو الشيخ الفقي رحمه الله ومن تابعهما لا يعترضون على هذه تسمية (الحنابلة) بهذا الاسم ، ولا يطلقون على المذهب الحنبلي (المذهب الأحدي) ، وكذلك المذهب الشافعي نسبة لشافع (وشافع هذا جد الشافعي الرابع فالشافعي اسمه : محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع) ، فلماذا لا يطلقون على

المذهب الشافعي (المذهب الحمدي)^١ وكذلك الحنفية نسبة لأبي حنيفة ، وحنيفة ليس اسم صاحب المذهب ، وإنما اسمه النعمان بن ثابت ، وكذلك الأشعرية المنتسبين لأبي الحسن الأشعري ، فالأشعر جد جاهلي قدم لقبيلة الأشعرية كلهم الذين منهم أبو الحسن ... وكذلك (الإباضية) نسبة لعبد الله بن إباض ، ... وهكذا لا تكاد تجد مذهباً يسمى باسم صاحبه إلا في النادر ، كالألنكي نسبة لـ (مالك بن أنس) والزيدية لـ (زيد بن علي) والجعفرية لـ (جعفر الصادق) ، فالذي يطلق الوهابية على مذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس أبعد عن الصواب ممن يطلق الخبائلة على أتباع أحمد بن محمد بن حنبل ، فضلاً عن غيره .

ثم الشيخ صالح الفوزان مثلاً يطلق على أتباع محمد بن سرور بن نايف زيس العابدسين كلمة (السرورية) فلماذا لا يسميها (الحمدية) أيضاً ونحن نسبح بين السلفية اليوم القابلية يتنازبون بها كالجحامين والمدخلين والبايزين والألبانيين والقطبيين والبنانيين ... الخ^(١).

إذا - أخي القارئ الكريم - لقد تبين لك أن مصطلح (الوهابية) ظهر بعد ظهور محمد بن عبد الوهاب ، وهذا ما يعترف به الوهابية أنفسهم ، فلم يكن له ذكر في التراث الإسلامي قبل القرن الثاني عشر الهجري ، القرن الذي ظهر فيه محمد بن عبد الوهاب ، وتبين لك أن عدداً من علماء الوهابية يقولون بهذا اللقب والانتماء إليه ، ولا يجدون غضاضة من أن ينسبوا إليه ، فكيف بعد هذا كله يردد البعض أن (الوهّابية) هم (الوهابية) ؟

في الختام أظن أن الصورة اتضحت جلية الآن ، واتضح أن المصطلح الإباضي (وهّابية) إنما هو نسبة للإمام الأول للمحكمة وهو عبد الله بن وهب الراسبي ، وليس لي الإباضية مصطلح (وهّابية) حتى بالنسبة للذين ينسبون (الوهّابية) إلى الإمام عبد الوهاب فلم يقولوا (وهّابية) وإنما قالوا (وهّابية) .

واتضح أن مصطلح (الوهّابية) ضارب بجذوره في عمق التاريخ والتراث الإباضي ، وقد ذكر هذا المصطلح بهذه الصيغة في مختلف المصادر سواء الإباضية وغير الإباضية وحتى مؤلفات المستشرقين ، ولم يذكر أي منها هذا المصطلح بصيغة (الوهابية) ، وإنما هذا المصطلح الأخير

(١) المالكي ، داعية وليس نبياً ، ص ١٤٤ - ١٤٦ .

(الوَهَابِيَّة) ظهر في القرن الثاني عشر الهجري ، نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب الذي يعدّه الوهابية (السلفية) إماماً لهم .

وأما مصطلح (الوَهْبِيَّة) فقد ظهر في القرن الثاني الهجري بسبب الانشقاق الذي اجتاحت صفوف الإباضية في شمال إفريقيا في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم بسبب فتنة الشُّكَّار ، فاننسب إباضية شمال إفريقيا الذين وقفوا في صف الإمام عبد الوهاب إلى الصحابي الجليل الإمام عبد الله بن وهب الرُّاسِي ، معبرين بذلك عن التزامهم بخط الإباضية الأوائل وعدم انحرافهم عنه كما انحرف الآخرون ، وبعد ذلك وفي القرن الثالث الهجري بدأت المصنفات الإباضية تورد ذكر هذا المصطلح في ثناياها ، وأصبح هذا المصطلح شعاراً لكل إباضي التزم بخط سير الإباضية الأوائل أينما كان وفي أي زمان كان ...

(١١)

الْخَوَارِجُ وَزَيْفُ التَّارِيخِ

الْخَوَارِجُ وَزَيْفُ التَّارِيخِ

لقد دأب كثير من كتاب المقالات إلى إلصاق مصطلح الخوارج بالإباضية ، إما لأهواء في أنفسهم خدمة لبعض السياسات الأموية والعباسية ، أو لتعصب مذهبية ، ومصطلح (الخوارج) مبهم عائم يحتاج إلى توضيح المقصود به ، لكل أحد يفسره وفق مبادئه أو مصالحه ، قال الشيخ ناصر السابعي : * ومن خلال ما تقدم يتراءى أن هذا المصطلح كان لكل فريق من مستخدمي وجهه هو موليا ، فعلى حين يبدو من الربط بين الخوارج والخارقة من قبل الأمويين قصد الذم واللمز ، يتضح من عبارات الأزارقة وأشعارهم إرادة البناء والتمدد ، كما تصرح عبارة عبد الله بن إمام بالبناء على الخوارج في قوله : « ... فهذا خير الخوارج نشهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداء ولن والاهم أولياء بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا ... » مع سحبه هذا اللقب عن الأزارقة في قوله : « ... غير أننا نبرأ إلى الله من ابن الأزرق وأتباعه من الناس ... » * (١).

لمصطلح الخوارج يأتي على عدة تفسيرات تتراوح بين المدح والذم ، فالخروج يأتي بمعنى الخروج في سبيل الله ، قال تعالى : ﴿ وَتَوَّأَزُوا لِلْخُرُوجِ لِأَعْدَاكُمْ لَهْ عُدَّةٌ ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٣) ، إذا فهو مدح هذا التفسير وهو الخروج في سبيل الله وليس ذما . وكذلك يأتي بمعنى الخروج السياسي على الحاكم ، سواء خرجوا على أئمة الحق كما لعل معاوية بخروجه على علي بن أبي طالب ، لمعاوية باغ بخروجه على الإمام علي الذي ارتضت الأمة إمامته ، وقد يكون الخروج بهدف إقامة الحق ، وهذا التفسير يفسر الإباضية خروجهم ، وخروج الرعيل الأول لهم وهم أهل الثُّهْرَوان الذين خرجوا عن الإمام علي لما انحرف عن المنهج الصحيح ورضي بالتحكيم في شيء حكم الله تعالى فيه بنص كتابه في قوله : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

(١) السابعي ، الخوارج والحقيقة الغائبة ، ص ١٤٨ - ١٤٩ .

(٢) سورة التوبة ، آية رقم : ٤٦ .

(٣) سورة النساء ، آية رقم : ١٠٠ .

اقتُلُوا فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَقِيَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فَقَاتِلُوا الْبَاقِيَ حَتَّى تَقْبِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ قَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩١﴾ ، ومعاقبة باغ بخروجه على الإمام علي الذي ارتضاه الأمة إماما عليها ، فكان حربا بالإمام علي مواصلة قتاله حتى بقيء إلى أمر الله ويرضخ للحق ، إلا أن رضاه الإمام علي بالتحكيم في أمر الخلافة يعد انحرافا منه عن الجادة ، وهذا ما لم يقبله أهل الثُّهْرَوَان ، قَاتَرُوا الْخُرُوجَ عَنْ عَلِي كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ ﴿٩٢﴾ .

فالإباضية في جميع لورائهم يفسرون خروجهم غروجا سياسيا على الظلم ، والأمثلة على ذلك كثيرة كخروجهم على الجورة من حكام بني أمية وبني العباس ، وإقامتهم الدول الإباضية في المغرب والشرق المطيعة لشرع الله .

والخروج على أئمة الجور لم ينفرد به الإباضية وحدهم بل وافقهم على ذلك جمهور الأمة ، قال ابن حزم : " وذهبت طوائف من أهل السنة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية إلى أن سل السيف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب ، إذا لم يكن دفع المنكر إلا بذلك ، قالوا : فإذا كان أهل الحق في عصاة بكنهم الدفع ولا يبايئون من الظفر ففرض عليهم ذلك ، وإن كانوا في عدد لا يرجون لقتلهم وضعفهم بظفر كانوا في سعة من ترك التغيير باليد ، وهذا قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكل من معه من الصحابة ، وقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وكل من كان معهم من الصحابة ... وهو قول عبد الله بن الزبير ومحمد والحسن بن علي وبقية الصحابة والمهاجرين والأنصار القاتنين يوم الحرة رضي الله عن جميعهم أجمعين . وقول كل من قام على الفاسق الحجاج ومن والاه من الصحابة رضي الله عن جميعهم كائس بن مالك وكل ممن ذكرنا من الأفاضل التابعين كعبد الرحمن بن أبي ليلى وسعيد بن جبير وابن البحري الطائي وعطاء السلمي الأزدي والحسن البصري ومالك بن دينار ... " ، وذكر أسماء كثير من التابعين وأبايعهم ، ثم قال : " ... وهو الذي تدل عليه أقوال الفقهاء كأبي حنيفة والحسن بن حي

(٩١) سورة المجرات: الآية رقم ٩ .

(٩٢) السلمي ، الخوارج والمطيفة الفغية ، ص ٧٠ ، ٨٨ .

وشريك ومالك والشافعي وداود وأصحابهم ، فإن كل من ذكرنا من قديم وحديث إما ناطق بذلك في فتواه وإما فاعل لذلك بسل سيفه في إنكار ما رآه منكراً^(١) .

إذا فخرج الإباحية السياسي على أحكام الجائزين ، ليس ذماً لهم بل هو مدح وشرف يستحقون الثناء عليه ، كذلك لم ينفردوا وحدهم بهذا القول فقد وافقهم عليه جمهور الأمة كما رأينا من كلام ابن حزم .

وبآتي مصطلح (الخوارج) بمعنى الخروج من الملة الإسلامية والمروق من الدين ، وقد حاول البعض إلصاق هذه التهمة بالخارجين عن الإمام علي من أهل الثَّهْرَوَان^(٢) ، وبالطبع ينسحب الحكم على الإباحية لأن أهل الثَّهْرَوَان هم الرعيل الأول للإباحية ، وقد يحاول بعض الكتاب لتطيف الجو بالقول إن الإباحية أكثر فرق الخوارج اعتدالاً وأقربهم إلى أهل السنة والجماعة^(٣) ، وكان أهل السنة والجماعة^(٤) أصبحت هي المقياس والميزان الذي يقاس ويوزن به المسلمون !

ولكن ما الجرم الذي ارتكبه أهل الثَّهْرَوَان حتى يتم إخراجهم من الملة الإسلامية ويعتوا بالمروق والخروج ، الأنهم خرجوا على الإمام علي ؟ وهل هم وحدهم الذين خرجوا على الإمام علي ؟ ، ألم يخرج عليه الزبير وطلحة وعائشة أم المؤمنين يوم الجَمَل ؟^(٥) ، وألم يخرج عليه معاوية وأهل الشام يوم صِفِّين ؟^(٦) فلماذا لا يمتعون بما نعت به أهل الثَّهْرَوَان ؟ لماذا خص أهل الثَّهْرَوَان بالمروق والخروج دون غيرهم ؟

(١) علي بن أحمد (ابن حزم) الظاهري ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م ، ص ١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) محمد عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، نج : عبد العزيز محمد لوكيل ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ص ١١٥ - محمد بن علي الشوكاني ، نيل الأوطار ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز لقرات ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩ هـ / ١٩٩٩ م ، ٣٦٧/١ ، ٣٥١/٧ .

(٣) المبرد ، الكامل ، ١٤٨/٢ - ابن خلّون ، تفرغ ابن خلّون ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ٧٦/٢ - الشوكاني ، مصدر سابق ، ٣٤٢/٧ .

(٤) يقول د/ سامي صقر أبو داود : " مصطلح أهل السنة يشير كثيراً من اللبس والتساؤلات وله ظروف نشأة كثيرة ، لعبت فيه المصطلح الميضية دوراً ساهم في تعميق الشرح بين المدارس الفكرية الإسلامية سواء في الجانب التقني أو التقدي ، فأصبحت بعض المذاهب تحتكر هذا المصطلح وتطعن نفسها شرعية دينية أكثر من غيرها مما أدى إلى شيوع التبذيع والتكفير ضد المذاهب المخالفة لها ، لذلك فإنني أدعو الباحثين إعادة النظر فيه من جديد ومعرفة مدى الصدقية التي يحملها أو الشرعية التي تجعلها لمذهب دون آخر " (انظر : سامي صقر ، الإمام جابر بن زيد ، ص ٣٦ الهامش) .

(٥) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، مركز التراث ، التاريخ ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م ، عمان ، الأردن ، ص ١٨١ - ابن كثير ، البداية والنهاية ، ٢٤١/٧ - لبرادي ، الجواهر المنتقاة (مع) ، ص ١٠٤ .

(٦) خليفة بن خياط ، مصدر سابق ، ١٩١/١ ، ١٩٣ - ابن كثير ، مصدر سابق ، ٢٥٥/٧ - لبرادي ، مصدر سابق ، ص ١٠٦ .

وأما الروايات التي تنسب إلى الرسول ﷺ في الخوارج وإنما تنطبق على أهل التثerton فقد تكفل بدراستها الشيخ ناصر السابعي في كتابه القيم (الخوارج والحقيقة الغالية) ، وبين ما فيها من أوجه الضعف واللبس ، فمن أرادها مجدها في الكتاب المذكور .

والملاحظ أن الرعل الأول للإباضية لم يستكف من لقب الخوارج بل كان يعترف به ويفسره أنتمهم الأوائل بالخروج السياسي على أئمة الجور كما مر وليس بالخروج من الدين أو باستباحة دماء المسلمين وسي ذراريهم وغنم أموالهم كما يرى بعض أصحاب الأهواء ؛ وسنذكر بعد قليل بعض النصوص استعمل فيها أئمة الإباضية مصطلح الخوارج قاصدين بذلك الخروج السياسي ، كص الإمام عبد الله بن إباض ونص الإمام سالم بن ذكوان .

ولكن لما تطور الأمر وزعم الأزارقة والتجدات والصفورية استباحة دماء المسلمين وسي ذراريهم وغنم أموالهم ، تبرأ الإباضية منهم وردوا عليهم ، وبينوا موقفهم من هذه الفتنة بكل صراحة ووضوح ، وهو أنهم لا يميزون قتل المسلمين بغير حق ولا سي ذراريهم ولا غنم أموالهم ، فالإمام المؤسس للمذهب الإباضي الإمام أبو الشعثاء جابر بن زيد (ت : ٩٣هـ / ٧١١م) كان يناقش الخوارج وحكمهم على عامة المسلمين بالشرك واستباحة دماهم مستكراً ذلك عليهم ومستعظماً تكفيرهم لبقية المسلمين ، فيذكر ضمام بن السائب (ق : ٢هـ) أن جابر بن زيد كان يأتي الخوارج فيقول لهم : أليس قد حرم الله دماء المسلمين بدين ؟ فيقولون : بلى ، وحرم الله الرأفة منهم بدين ؟ فيقولون : بلى ، فيقول : أليس قد أحل الله دماء أهل الحرب بدين بعد تحريمها بدين ؟ فيقولون : بلى ، فيقول : وحرم الله ولايتهم بدين بعد الأمر بها بدين ؟ فيقولون : بلى ، فيقول : فهل أحل ما عدا هذا بدين ؟ فيسكتون ولا يجيبونه بشيء . ثم يقول أبو سفيان محبوب بن الرحيل (ق : ٢هـ) معلناً : وهؤلاء أصحاب نافع بن الأزرق ومن قال بقولهم في استحلال أموال المسلمين بدين ^(١) .

ومجد الإمام عبد الله بن إباض (ت : ٨٦هـ / ٧٠٥م) في كتابه إلى عبد الملك بن مروان تبرأ من الخوارج عندما انحرفوا فكفروا بخالفهم واستباحوا دماء المسلمين وغنم أموالهم وسي

(١) الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٢٠٨/٢ - ٢٠٩ - الشماخي ، السير ، ٧٢/١ .

ذرايبهم ، فيقول : " ... هذا خبر الخوارج ^(١) شهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداؤنا ولن والاهم أولياؤنا بالمستنا وأيدينا وقلوبنا ، نعيش على ذلك ما عشنا ونموت عليه إذا متنا ونبعث عليه عند ربنا . إنا براء إلى الله من ابن الأزرقي وصنيعه وأبناؤه ، لقد كان حين خرج ، على الإسلام فيما ظهر لنا ، ولكنه أحدث وارتد وكفر بعد إسلامه ، فبرأ إلى الله منهم ... " ^(٢) .

وهذا سالم بن ذكوان الهلالي (حي بين : ٩٩هـ / ٧١٧م - ١٠١هـ / ٧١٩م) في سترته يوضح الفرق الدقيق بين الخروج السياسي على الجور والظلم والانحراف عن الحق ، وبين الخوارج الذين كفروا بمخالفهم لمبادئ المبادئ والقيم التي لأجلها خرج أهل التهوران عن الإمام علي ، فيقول : " ثم تابعت على ذلك خوارج المسلمين ^(٣) يحكمون الله وحده ويرضون سبيل من مضى قبلهم من المسلمين ، لا يقتلون ذرية قومهم ، ولا يستحلون فروج نسائهم ، ولا يستعرضونهم ، ولا يجمسون أموالهم ، ولا يقطعون الميراث منهم ، ويؤدون الأمانة إليهم وإلى غيرهم ... ثم خرج من بعدهم ابن الأزرقي وأصحابه ، فمكثوا ما شاء الله بسيرة من كان قبلهم من الخوارج ^(٤) ثم أقم جرمهم شتات قوم أن أنزلوهم بمنازل عبدة الأوثان ، فقطعوا الميراث منهم ، وحرّموا ما كحهم وقد ناكحهم من يتولون ووارثهم ، فإن يكن ذلك هدى عمل به من يتولون ، فقد خالفوه فيه ودانوا اليوم بالبراءة ممن عمل به ، وإن يكن ذلك ضلالة ضلوا يتوليتهم من عمل به واستحلوا ميا قومهم واستنكح نسائهم وحس أموالهم وقتل ذرايبهم واستعرضهم ... ثم كان من بعدهم أهل اليمامة لمجدة وأصحابه ، فشهدوا على قومهم أقم بمجلة عبدة الأوثان ، ثم استحلوا من نكاح نسائهم وأكل ذبايحهم ما حرم الله من نساء المشركين وذبايحهم ... " ^(٥) .

وكان الإمام أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة (ت : ١٤٥هـ / ٧٦٢م) يعتبر جهاد الخوارج طاعة وذلك لاستحلاص ما حرم الله من دماء المسلمين وأموالهم ، وكان عدد من أئمة الإباضية يقاتلون الخوارج كجعفر بن السماك (حي بين : ٩٩هـ / ٧١٧م - ١٠١هـ / ٧١٩م) ، والحفّات بن كاتب (حي بين : ٩٩هـ / ٧١٧م - ١٠١هـ / ٧١٩م) ، اللذين استشهدا في

^(١) يقصد الخروج السياسي ضد الظلم والجور كفروج أهل التهوران وكفروج أبي بكر مرداس بن حنير .

^(٢) كُتِبَ عبد الله بن إِباض إلى عبد الملك بن مروان أنظر : محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

^(٣) يقصد الخروج السياسي ضد الظلم والجور .

^(٤) يقصد الخروج السياسي ضد الظلم والجور .

^(٥) سيرة سالم بن ذكوان أنظر : محمد ناصر ، منهج الدعوة ، ص ٢٦٥ ، ٢٦٨ .

قتالهم ضد الخوارج ^(١) ، وكذلك ما قام به الإمام الجندى بن مسعود (ت : ١٣٣هـ / ٧٥٠م) أول إمام مبایع بعمان من مقاتلة شيان الخارجي - من الصفرية - والقضاء عليه في معركة جلفار (رأس الحيمة) ^(٢) ، ومقاتلة الإمام أبي الخطاب المَعَالِيفِي (ت : ١٤٤هـ / ٧٦١م) للصفرية لما استصره أهل القَيْرَوَان ، فقتلهم عليهم ^(٣) .

ويقول الإمام الربيع بن حبيب (توفي بين ١٧٥هـ / ٧٩١م - ١٨٠هـ / ٧٩٦م) في الخوارج : " دعوهم حتى يتجاوزوا القول إلى الفعل فإن بقوا على قوهم فخطأهم محمول عليهم ، وإن تجاوزوه إلى الفعل حكمنا فيهم بحكم الله " ^(٤) .

وقال أبو حنيفة المختار بن عوف الشَّارِي (ت : ١٣٠هـ / ٧٤٧م) في خطبته المشهورة لأهل المدينة مينا فكر الإباضية وعقيدتهم التي جهلها الكثيرون ممن افترى عليهم : " يا أهل المدينة الناس منا ونحن منهم إلا مشركا عابد وثن ، أو كافرا من أهل الكتاب ، أو إماما جائرا ... " ^(٥) .

ولجد الشيخ غُثْرُوس بن فتح الشَّقُوسِي (ت : ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) يرد على الصفرية عندما كَفَرُوا أهل القبلة فيقول : " وقالت الصفرية بتشريك أهل الكبانر من أهل التوحيد ، واستحلوا سبي ذرايعهم ، وغنمة أموالهم جرأة على الله ، ديناً لم يشرعه الله ولم يمن بسيرته نبي الله عليه السلام ، وتناولوا على ذلك فأوبل شبهة خالفت الحق وخرجت من العدل ، فدخل عليهم من الضلال ما لا نهاية له " ^(٦) .

هذا بالنسبة لأنظمة الإباضية في القرون المجرية الثلاثة الأولى ، فهل تغيرت معاملة الإباضية لمخالفيهم وموقفهم منهم في القرون التي تلت ؟ بالطبع لا ، فهذا الإمام أبو الحسن علي بن محمد البُسْتَوِي المَعَالِي (ق : ٥هـ) يقول منكراً على الخوارج تكفيرهم للمسلمين : " وسأل عما

(١) مسلم بن حمد الحارثي ، العقود القضائية في أصول الإباضية ، دار النشر غير مسجلة ، ص ١٤٠-١٤١-الرائدي ، الإمام أبو عبيدة وفقهه ، ص ٢١٩ .

(٢) السلمي ، تحفة الأعيان ، ٩٢/١ .

(٣) أبو زكرياء ، سير الأئمة ، ص ٦٤-٦٥-الدرجيني ، طبقات المشايخ ، ٢٦٦-٢٦٩-الشماعلي ، السير ، ١١٥/١-١١٨-ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ٣٢٨-٣٢٧/٤ .

(٤) إبراهيم الطيفي ، الفرق بين الإباضية والخوارج ، مكتبة الاستقامة ، روي ، مطبعة عمان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ص ٥ .

(٥) أبو فرج الأصفهاني ، الأغني ، ج ٢٣ ، دار الفكر ، ط ١ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م ، ص ٢٤٩ .

(٦) صمرون ، الدينونة الصافية ، ص ٦٩ .

انتحل الخوارج من الهجرة واستحلوا من قتل أهل القبلة ، من غير حدث ، وسيهم وتسميتهم بالشرك ؟

قيل له : القاتل بذلك من الخوارج ضال عن سواء السبيل ، فاما الهجرة بالاتفاق من السلف أن النبي ﷺ بعد فتح مكة ، قال : لا هجرة بعد فتح مكة . وقال بعد اليوم ، وقد كان بعد ذلك يدخلون في دين الله أفواجا ، ويرجعون إلى بلادهم ويسمون مسلمين ، ولهم الولاية والمودة وعليهم النصر ، وقد كان يقبل الإسلام ممن يأتيه ، ومن خرج إليه فأسلم أو صالح أو أعطى الجزية من أهل الذمة ، قُبِلَ منه وأُكْرِفَ في بلاده وعلى دينه ؛ فذلك ما يبطل قولهم في الهجرة بعد الفتح ، وقد كانت الهجرة قبل الفتح . وقد عذر الله المستضعفين الذين قال الله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ^(١) ، وقد كان النبي ﷺ يقبل من أراد الإسلام وقال : إنه مهاجر حيث ما كان ، مثل خزاعة وغيرهم . وقد كان العباس بمكة ... وقد قبل الله ورسوله منه ذلك ، ومن أقره الله من الضعفاء الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، دليل على بطلان قولهم : إن كل دار يحكم فيها بغير ما أنزل الله لا يقبل فيها من أحد حسة ... لهذا عطا من الخوارج ، وأما تسميتهم بإهم بالشرك والكفر من غير ذنب ، والارتداد ، فذلك عطا عظيم ؛ وقد قال رسول الله ﷺ خلافا لذلك : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها حرّم عليّ دماؤهم وأموالهم إلا بحقها » ^(٢) ، فهذا ما يبطل قولهم في الهجرة ، وفي تحليل أموال أهل القبلة ... ^(٣) .

(١) الآية كاملة : ﴿ إِذَا الْمُسْتَضْعَفُونَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ ، سورة النساء ، رقم الآية : ٩٨ .

(٢) رواه الإمام الربيع في مسنده ، كتاب الجهاد ، باب (١٧) ، حديث رقم (٤٦٤) ، عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ، رواه الإمام البخاري في صحيحه من طريق عبد الله بن عمر بن الخطاب قريب في كتاب الإيمان ، باب (١٧) ، حديث رقم (٢٥) ، ومن طريق أنس بن مالك بلفظ قريب في كتاب الصلاة ، باب (٢٨) ، حديث رقم (٣٩٢) ، ومن طريق أبي هريرة بلفظ قريب في كتاب الجهاد والسير ، باب (١٠٢) ، حديث رقم (٢٩٤١) ، ورواه الإمام مسلم في صحيحه من طريق أبي هريرة بلفظ قريب في كتاب الإيمان ، باب (٨) ، حديث رقم (٢٠) ، ومن نفس الطريق بلفظ قريب في كتاب فضائل الصحابة ، باب (٤) ، حديث رقم (٢٤٠٥) ، (انظر : تبيين من حبيب ، الجامع الصحيح ، ١٢٢٢/٢ - ابن حجر ، فتح الباري ، ١٠٢/١ ، ٦٥٤ ، ١٣٨/١ ، النووي ، شرح صحيح مسلم ، ١٧٨/١ ، ١٧٩ ، ١٤٣/١٥ ، ١٤٤) .

(٣) علي بن محمد البسيوي ، جامع أبي الحسن البسيوي ، ج ١ ، وزارة للتراث والثقافة ، مطبعة صان ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

والإمام العلامة أبو يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (ت : ٥٧٠هـ / ١١٧٥م) من علماء الإباضية في القرن الهجري السادس يؤكد ما قاله أئمة الإباضية الأوائل حيث يقول : " وزلة الخوارج نافع بن الأزرق وذويه حين تأولوا قول الله في : ﴿ وَإِنْ أَطَقْتُمُوهُمْ إِلَيْكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) ، فآلبوا الشرك لأهل التوحيد حين أتوا من المعاصي ما أتوا ولو أصغرها " ^(٢) ، وقال : " وأما المارقة فإنهم زعموا أن من عصى الله تعالى ولو في صغير من الذلوع وكبير أشرك بالله العظيم ، وتأولوا قول الله عز وجل : ﴿ وَإِنْ أَطَقْتُمُوهُمْ إِلَيْكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ ، فلقضوا بالاسم على جميع من عصى الله عز وجل أنه مشرك ، وعقبوا بالأحكام ، فاستحلوا قتل الرجال ، وأخذ الأموال ، والنسي للرجال ، فحسبهم قول رسول الله ﷺ : « إن ناسا من أمي يرقون من الدين مروق السهم من الرمية لتنظر في النصل فلا ترى شيئا ، وتنظر في القدح فلا ترى شيئا ، وتتمارى في الفوق » ^(٣) ، فليس في أمة محمد ﷺ أشبه شيء بهذه الرواية منهم ، لأنهم عكسوا الشريعة ، فلبوها ظهرا لبطن ، وبدلوا الأسماء والأحكام ، لأن المسلمين كانوا على عهد رسول الله ﷺ يعصون ولا يجري عليهم أحكام المشركين ... » ^(٤) .

هذا بالنسبة لأئمة الإباضية المتقدمين ، ولجيد أن أئمة الإباضية المتأخرين ساروا على نفس النهج لم ينحرفوا عنه قيد أنملة ، فنذكر على سبيل المثال الإمام العلامة سعيد بن خلفان الحلي (ت :

(١) سورة الأنعام ، من الآية : ١٢١ .

(٢) أبو يعقوب الوارجلاني ، النبل والبرهان ، ٢٨/١ .

(٣) رواه الإمام الربيع في مسنده ، باب (٥) ، حديث رقم (٣٦) ، عن أبي عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " يخرج فيكم قوم تحترقون صلاتكم مع صلاتهم ومساكنكم مع صوامعهم وأصنامكم مع أصنامهم يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر في النصل فلا ترى شيئا ثم تنظر في القدح فلا ترى شيئا ثم تنظر في الريش فلا ترى شيئا وتتمارى في الفوق " قال الربيع : النصل حديدية السهم والقدح السهم الذي فيه الحديدة وريش السهم الذي يوضع فيه الورق ١ - رواه البخاري في صحيحه ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (٦) ، حديث رقم (٣٣٤٤) ، وكتساب المناقب ، باب (٢٥) ، حديث رقم (٣١١٠) ، وكتساب المغازي ، باب (٦٦) ، حديث رقم (٤٣٥١) ، ١ - رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الزكاة ، باب (٤٧) ، حديث رقم (١٠٦٣) ، ورقم (١٠٦٤) ، ١ - رواه أبو داود في سننه ، كتاب السنة (٣٩) ، باب (٢٧، ٢٦) ، حديث رقم (٤٧٥١) ، ورقم (٤٧٥٢) ، ورقم (٤٧٥٤) (انظر : الربيع بن حبيب ، الجامع الصحيح ، ١٥٠/١ - ١٦٠ - ابن حجر ، فتح الباري ، ٤٦٣/٦ ، ٤٦٤ ، ٧٦٦ ، ٨٤/٨ - القوي ، شرح القوي ، ١٤١/٧ ، ١٤٢ - أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي ، كتساب المنسن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، ص ٧٩٨) .

(٤) الوارجلاني ، النبل والبرهان ، ٤٤ - ٤٣/١ .

١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م) حيث يقول : " إياك ثم إياك أن تعجل بالحكم على أهل القبلة بالإشراك من قبل معرفة بأصوله فإنه موضع الهلاك والإهلاك " (١).

ويقول قطب الأئمة محمد بن يوسف الطغيش (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) : " نجب معرفة تحريم سوق سلب الموحد وسبه للتوحيد مع معرفة تحريم ضرر في بدنه ، أو تحريم قتله ، أو تحريم ما يؤدي إلى موته ، أو تحريم إهراق دمه على التوحيد والإسلام ... ومن أحل مال الموحد أو سلبه أو سبه أشرك ... " (٢).

ويقول الإمام العلامة عبد الله بن حميد السالمي (ت : ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م) : " وأعلم أن اسم الخوارج كان في الزمان الأول مدحا ، لأنه جمع خارجة ، وهي الطائفة التي تخرج للغزو في سبيل الله تعالى ، قال عز وجل : ﴿ وَتَوَّأَزُوا الْأَخْرُوجَ لِأَعْدَائِهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ دَانُوا كَثُرُوا ﴾ ، ثم صار دما لكثرة تأويل المخالفين أحاديث الدم فيمن اتصف بذلك آخر الزمان ، ثم زاد استباحه حين استبد به الأزارقة والصفرية ، فهو من الأسماء التي اختفى سبها وقبحت لغورها ، فمن ثم تسرى أصحابنا [بقصد الإباضية] لا يسمون بذلك وإنما يسمون بأهل الاستقامة لاستقامتهم في الديانة " (٣).

وله كلام قيم في (تحفة الأعيان) حول نظرة الإباضية لمخالفهم حريّ بنسأ تامله ، حيث يقول : " ... ونؤذي الأمانة إلى من استأمننا عليها من قومنا أو غيرهم ، ونولي بعهود قومنا وأهل الذمة وغيرهم ، ونحير من استجارنا من قومنا وغيرهم ... ولا نرى القتل بقومنا ولا قتلهم في السر وإن كانوا ضلالا ، لأن الله لم يأمر به في كتابه ، ولم يفعله أحد من المسلمين ممن كان بمكة بأحد من المشركين ، فكيف نفعله نحن بأهل القبلة ؟ ... ونرى أن من أكل من أموالهم لا نحرم علينا ما داموا يستقبلون قبلتنا ... ولا نرى أن نقذف أحدا ممن يستقبل قبلتنا بما لم نعلم أنه فعله خلافا للخوارج الذين يستحلون قذف من يعلمون أنه بريء من الزنا من قومهم وهم بذلك مظلون ... ولا نرى استعراض قومنا بالسيف ما داموا يستقبلون القبلة ، ولا نرى قتل الصغير من

(١) سعيد بن خلفان الخليفي ، تهذيب قواعد الإيمان ، ٢٤٤/١ نكلا عن : القزويني ، السيف الحاد ، ص ٤١ .

(٢) محمد بن يوسف الطغيش ، الذهاب الخالص المنزه بالعلم القاص ، مكتبة الضاري ، المطبعة عمان ، ص ٦٥ : ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م ، ص ٤٦ .

(٣) سورة التوبة ، آية رقم : ٤٦ .

(٤) عبد الله بن حميد السالمي ، شرح الجامع الصحيح ، ج ١ ، المطبع المذهبية ، روي ، مطبعة عمان ، ١٩٩٣م ، ص ٥٩ .

أهل قبلتنا ولا غيرهم ... ولا نرى التحال الهجرة من دار قومنا لهجرة النبي وأصحابه من دار قومه ... * (١)

ونجده يقول في جوهر النظام (٢) :

وَمَا لَ أَهْلِ النَّبِيِّ لَا يَحِلُّ
خَوَارِجَ غَلَّتْ وَصَارَتْ مَارِقَةً
فَحَكُّوْا بِحُكْمِ الْمُشْرِكِيْنَ
فَقَرَّضُوا لِلنَّاسِ بِالسَّيْفِ كَمَا
وَأَمَّةُ الْمُخْتَارِ فَارَقَتْهُمْ
وَوَزَدَتْ فِيهِمْ عَنِ الْمُخْتَارِ
وَلِيهِمُ الْمُرُوقُ يُغْرَقُ
وَمِنْهُمْ لَا شَكَّ نَرَأَا

ويقول في كشف الحقيقة (٣) :

وَلَحْنُ لَا لَطَالِبُ الْعَادَا
فَمَنْ أَتَى بِالْمُنْتَهَيْنِ قُلْنَا
إِلَّا إِذَا مَا نَفَضُوا الْمَقَالَا
فَقَتَا بُيُوتَ الصُّوَابِ لَهُمْ
فَوَقَّ شَهَادَتِهِمْ اغْتِفَادَا
إِخْوَانَا وَبِالْحَقِّوَقِ قُمْنَا
وَاعْتَقَدُوا فِي دِينِهِمْ ضَلَالَا
وَلَحْنُ ذَلِكَ مِنْ حَقِّهِمْ

ونجد الشيخ أبا إسحاق إبراهيم الطيفي (ت : ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م) يقول : * وأرى أن الخلاف بين الأمة في الاصطلاحات ليس إلا ، سوى الأزارقة والصفرية فعندهم الكيان كلهما شرك . لذلك استحلوا الدماء والأموال والسي لأبناء المسلمين ونسائهم وخربوا البلدان بوقائعهم التاريخية المهولة * (٤) ؛ وقد ألف - رحمه الله - رسالة مختصرة قيمة تحت عنوان (الفرق بين

(١) السلمي ، تحفة الأعيان ، ٧٨/١ - ٧٩ .

(٢) عبد الله بن حميد السلمي ، جوهر النظام في علمي الأحكام والأدب ، ج ٣ ، مطبعة الألوان الحديثة ، سلطنة عمان ، ص ٢٢١ .

(٣) عبد الله بن حميد السلمي ، منظومة كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة ، نشرت ضمن كتاب مفتاح السعادة إلى صحيح العبادة ، مكتبة الإمام نور الدين السلمي ، السب ، سلطنة عمان ، ص ٢٠٢ - ٢٠٤ .

(٤) بكر بن سعيد أعروش ، أضواء إسلامية على المعالم الإباضية ، الدار العمانية للنشر والتوزيع ، سلطنة عمان ، ص ٦٨ .

الإباضية والخوارج) وهي منشورة ومندولة ^(١) ، وكذلك معروضة في بعض مواقع الشبكة العالمية (الإنترنت) ^(٢) .

ومرجع الإباضية في هذا الوقت سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الحلي حفظه الله ، بحمدته في العديد من المناسبات وفي مؤلفاته ومحاضراته يبرز نظرة الإباضية إلى إخوانهم أتباع المدارس الإسلامية الأخرى ، ومنهجهم في التعامل معهم ، والفرق بين الإباضية والخوارج ، فمن ذلك مثلا قوله : " إن الخوارج طوائف عرفت بتشدها وغلوها في حين أن الإباضية طائفة معتدلة ليس فيها إسراف في التشدد وليس في أمرها غلو ، والخوارج كما عرف عنهم أنهم يحكمون على أهل التوحيد بأنهم مشركون ، وترتب على ذلك استباحتهم لدمائهم وأموالهم وسي ذرائعهم ، بينما الإباضية أعف الناس عن ذلك ، كما عرف من تاريخهم " ^(٣) .

وقال فضيلة الشيخ العلامة سعيد بن مبروك الفتوي حفظه الله : " ظن كثير من الناس أن الإباضية أهل الحق والاستقامة فرقة من فرق الخوارج ... والحق أن الإباضية لا علاقة لهم بالخوارج ، ومن تصفح كتبهم - أعني الإباضية - تبين له ذلك من أول نظرة ، وذلك أن الإباضية قد حكموا بضلال الخوارج وفقوهم بسل وحاربوهم ، والنصوص على ذلك كثيرة جدا ... " ^(٤) .

إذا هذه هي أقوال أئمة الإباضية - على مر القرون - في إخوانهم من أتباع المذاهب الإسلامية الأخرى ، هم إخوانهم في الدين ، لا يجوز استباحة دمايتهم ولا سبي ذرائعهم ولا غنم أموالهم ، حقوقهم مصادرة ، يعبدون وهم وفق المذهب الذي البعوه لا أحد يضيق عليهم أو يجبرهم على أن يتخلوا عن معتقداتهم ، هذا في الجانب النظري ، فماذا عن الجانب العملي ، هل خالف الإباضية عمليا ما سطره في بطون مؤلفاتهم ؟ هل كفروا من سكن بين ظهرانيهم من غير الإباضية ؟ هل استباحوا دمه وغنموا ماله وسبوا ذريته ؟

^(١) نشرتها مكتبة الاستقامة ، روي ، مطبعة عمان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

^(٢) انظر مثلا موقع الأمل المشرق (www.alaml.net) ، قسم التاريخ .

^(٣) ص ١١٣هـ / ١٩٩٢م ، ص ٩٣ .

^(٤) سعيد بن مبروك الفتوي ، الميف الحاد ، مطابع النهضة ، مسقط ، مطبعة عمان ، ٣ : ١٤١٨هـ ، ص ١٢ .

الجواب : لا أبداً ، لم يخالف الإباضية عملياً في عصر من العصور ما سطره في كتبهم من أقوال وأحكام ، وسانقل بعض النماذج للتمثيل وليس الحصر ، يقول المقدسي - وهو غير إباضي - في وصف تَهَرَّتْ عاصمة الدولة الرستمية : " ... هي بلخ المغرب ، قد أخذت بها الأنهار ، والثفت بها الأشجار ، وغابت في البساتين ، ونبتت حولها العين ، وجل بها الإقليم ، وانتش في الغريب ، وامتنطابها اللبيب ، يفضلونها على دمشق وأخطاوا ، وعلى قرطبة وما أظهرهم أصابوا ، هو بلد كبير ، كثير الخير رحب ، رقيق طيب ، رشتق الأسواق ، غزير الماء ، جيد الأهل ، قديم الوضع ، محكم الرصف ، عجب الوصف ... " (١) .

ويقول ابن الصغر - ذكرت أنه شيعي وقيل مالكي - مؤرخ الدولة الرستمية وعاش في عاصمتها تهرت : " ... ليس أحد يول بهم من الغرباء إلا استوطن معهم وابتنى بين أظهرهم ، لما يرى من رخاء البلد وحسن ميرة إمامه وعمله في رعيته ، وأمانته على نفسه وماله ، حتى لا ترى داراً إلا قبل هذه للفلان الكوفي ، وهذه للفلان البصري ، وهذه للفلان القروي ، وهذا لمسجد القرويين ، ورحبتهم ، وهذا لمسجد البصريين ، وهذا لمسجد الكوفيين ... " (٢) .

وكانت تحدث مناظرات بين أتباع مختلف المذاهب بكل حرية يقول ابن الصغر عن ذلك : " من أتى إلى حلق الإباضية من غيرهم ، قربه وناظره اللفظ مناظرة ، وكذلك من أتى من الإباضية إلى حلق غيرهم كان سبيله كذلك " (٣) .

هذا بالنسبة لإباضية المغرب ، فماذا عن إباضية المشرق ؟

لو أردت ضرب الأمثلة لطال بنا المقام ، ولكن سأكتفي بنموذجين وعليهما فقس ، ما قام به الإمام عبد الله بن يحيى الكندي طالب الحق (ت : ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م) عندما دخل صنعاء وحررها من جور بني أمية فأعاد الأموال المكسدة في خزائن ولاية بني أمية إلى فقراء صنعاء ولم يأخذ منها درهما واحدا بالرغم من حاجته هو وأصحابه إلى المال ليتقروا به (٤) .

(١) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م ، ص ٢٢٨ .

(٢) ابن الصغر ، أخبار الأئمة الرستميين ، ص ٣٦ .

(٣) ابن الصغر ، مصدر سبق ، ص ١١٧ ، ١١٨ .

(٤) الشماخي ، السير ، ٩١/١ - ٩٢ - مهدي هاشم ، الحركة الإباضية ، ص ١١٦ - عوض خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، ص ١٢١ .

وما قام به الإمام ناصر بن مرشد القُرْبِي (حكم عُثْمَان : ١٠٢٤هـ / ١٦١٥م - ١٠٥٠هـ / ١٦٤٠م) الذي أعاد إلى الشيعة بضخار من عُثْمَان أموالهم بعد أن فكها من أيدي البرتغاليين^(١).

ثم أسأل عن الإباضية اليوم في منغم ودولهم بلاد المغرب والشرق ، كيف هي معاملتهم لمُساكِينهم في بلدانهم التي هم فيها الأغلبية ؟ لتعرف أن ما ذكره ابن الصغور عن الأقليات في تَهَرَّتْ في القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ، لا يزال قائما كما هو لم يغير ، فهذا هو المذهب الإباضي وهذا هو منهجه وسلوكه في معاملة الآخرين .

إذا أخي القاري الكريم ، هذه هي سرية الإباضية وهذا هو فكرهم وهذه هي أوقافهم وألعالم شاهدة عليهم ، ينظرون إلى مخالفيهم نظرة احترام وتقدير ، لا يكفروهم ولا يستيحيون دعاءهم أو يغمون أموالهم أو يسبون ذرايعهم ، بل وجدناهم يعبدون لهم أموالهم ، هم إخوانهم في الدين ، يعيشون في دول الإباضية بكل حرية حقوقهم مصانة ، يعبدون لهم وفق المذهب الذي اختاروه واقتنموا به ، بل تجد لهم مساجدهم الخاصة بهم في دول الإباضية ، ويختلطون مع الإباضية ويبادلون الحوار والنقاش العلمي بكل حرية وسلاسة ، لا يخافون على حياتهم وأموالهم وأسرة إن هم صرحوا بمعتقداتهم ومذاهبهم ، ووجدنا الإباضية يتزوجون من مخالفيهم ويتزوجهم ، فإن زرت بلدان الإباضية سواء في الماضي أم الحاضر تجد السكان مختلطين معا فلا تميز بين الإباضي وغير الإباضي ، بل تجد الإباضي يصلي في مساجد السنة أو الشيعة والعكس صحيح ، تجدهم في الأفراح يتبادلون التهاني وفي الأتراح التعازي ، وبعد الإباضي يد اللون إلى أخيه السني أو الشيعي والعكس صحيح ، فهل بعد ذلك نقول إن الإباضية من الخوارج ؟!

(١) السلمي ، تحفة الأعيان ، ١٠/٢ .

الخاتمة

بعد هذا الترحال عبر القرون مقلين أوراق الماضي ، نالضين الغبار عن تاريخ مدرسة إسلامية هي من أوائل المدارس الإسلامية نشأة وظهورا ، ألا وهي المدرسة الإباضية ، مستخرجين نفايس ودرر سير وآثار أنمتها وعلماتها ودولها التي قامت ، فقد آن الأوان أن نلحم عنان القلم ، ونضع عصا الترحال .

وهذا الكتاب الذي بين يديك أخي القارئ الكريم إنما هو مجرد إضاءات متفرقة من قرون عدة لتاريخ وسير الإباضية ، إذ إن التاريخ والتراث الإباضي يحتاج إلى جيش من الباحثين لإخراجه إلى النور ، ويحتاج إلى جهد وعمل دائبين مع توفير الإمكانيات اللازمة من أجهزة ودعم مادي لإخراج التراث الإباضي إلى القراء محققا تحقيقا وصينا بلوب قشيب .

ولكن وكما يقال : ما لا يدرك جله لا يترك كله ، فقد حاولت في هذا الكتاب وما تضمنه من يموت أن أعطي القارئ الكريم صورة للتراث والتاريخ الإباضي ، ونماذج من دولهم التي قامت وأنتمهم الذين ظهوروا ، وأهم ما قدموه من خدمات للأمة الإسلامية ، كذلك حاولت أن أسلط الضوء على التراث الإباضي من مؤلفات علمية ، حيث كانت لهم بصمتهم الواضحة وأثرهم الواسع في دائرة التراث الإسلامي ، وحاولت أيضا تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة حول الإباضية علقت في عقول البعض بسبب التشويه الذي لحق بالإباضية من قبل بعض كتاب المقالات القدماء ، وتبعهم بعض الكتاب المعاصرين بعضهم عن غير قصد وعن جهل منهم ، والبعض الآخر عن قصد لتحقيق مآرب معينة .

وأهم النتائج التي يمكن أن نخرج بها من خلال هذا الكتاب هي :

انتشر المذهب الإباضي في المغرب على يد دعاة الإباضية وعلى رأسهم سلمة بن سعد الحَضْرَمِي (حي : ١٣٥هـ / ٧٥٢م) ، الذي قدم من المشرق تحديدا البصرة ، بعد أن أخذ العلم والمذهب الإباضي على يد إسماعيل الإباضية أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة الشيمي (ت : ١٤٥هـ / ٧٦٢م) .

في سنة ١٤٠هـ / ٧٥٧م بايع الإباضية بالمغرب الإمام أبا الخطاب عبد الأعلى بن السَّحّ المَعَارِي بالإمامة ، وأعلنوا ظهور دولتهم الإباضية الجديدة ، وبعد سقوط دولة أبي الخطاب بايع الإباضية الإمام أبو حاتم يعقوب بن حبيب المَلْزُوزِي في سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م بالإمامة ، وأعلن ثورته في سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م .

كان الشيخ مهدي الثَّقُوسِي الإبُلُوي من علماء الإباضية الذين برعوا في المناظرة ، فكان له الفضل في تفيد شبه المعتزلة في عهد الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن ، الإمام الثاني من أمة الدولة الرستمية (حكم من ١٧١هـ / ٧٨٧م - ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) .

اعتنت الدولة الرستمية (١٦٠هـ / ٧٧٦م - ٢٩٦هـ / ٩٠٨م) بالقضاء ، وجعلته من أولى اهتماماتها بعد الإمامة ، فظهر بها عدد من القضاة المرموقين ، منهم الشيخ مُحَكِّم بن هُود المُوَارِي (حي : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م - ٢٥٨هـ / ٨٧١م) .

لقد اعتنى علماء الإباضية بفسر القرآن الكريم منذ القرون الهجرية الأولى ، فمن علمائهم الذين عنوا بهذا الجانب الشيخ العلامة المفسر هُود بن مُحَكِّم بن هُود المُوَارِي (ت : ٢٨٠هـ / ٨٩٣م) ، الذي ترك لنا تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم عنونه — (تفسير كتاب الله العزيز) ، ولقد قام الأستاذ الباحث بالباحث بن سعيد شريفي بتحقيق هذا السفر الثمين ، فظل يعمل فيه لما يقارب من عشرين سنة ، وقد طبع في أربعة مجلدات بدار الغرب الإسلامي .

الشيخ العلامة عَمْرُوسُ بن فَتْح المَسَاكِينِي الثَّقُوسِي (ت : ٢٨٣هـ / ٨٩٦م) هو أحد أعلام الإباضية الذين نبهوا فركوا سيرة عطرة وتراثاً يجلد ذكراهم ، فكان يعد أعلم أهل زمانه ، من مؤلفاته : كتاب (المَعْرُوسِي) ، وكتاب (أصول الذَّيْنُونَةُ الصَّافِيَّة) ، وكتاب (الحكم والمعارف) ، وكتاب (أعلام الملة) ، وكتاب (عَمْرُوس بن فتح) ، وكتابان في الأصول والفقه ، وكتاب في (الرد على الشَّاكَّة وأحمد بن الحسين) .

الشيخ المُوَارِثُ سالم بن محمد بن يعقوب (ت : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م) يعد من أشهر المحققين المعاصرين في التاريخ ، وبخاصة في سيرة الإباضية ، فاتخذ الباحثون قبلة ينهلون من علمه ويستفيدون منه ، ومن أبرز تلاميذه : الدكتور فرحات الجعيري ، وقاسم لوجة ، والصادق بن مرزوق ، ويوسف الباروني ؛ وبعد الشيخ سالم آخر عضو من أعضاء حلقة العزَّابة بِجَرْمَة ، له

العديد من الأعمال والمؤلفات منها : (تاريخ جزيرة جربة) يقع في ثلاثة أجزاء ، ومن أعماله تحقيقه لكتاب (بدء الإسلام وشرايع الدين) لابن سلام ، وقد اشترك معه في ذلك المستشرق الألماني شفارتز ، وله (دروس عن تاريخ جربة) ألقيت في سنة ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م ولا يزال مخطوطاً ، ومن أعماله كذلك (تقييدات عن نشأة الإباضية) ، و (تقييدات عن تراجم بعض علماء الإباضية) ، و (تقييدات عن المدارس العلمية بجزيرة) ، وهذه الأعمال الثلاثة لا تزال مخطوطة ؛ وله أعمال أخرى .

أنجبت الدولة الرسمية العديد من الأعلام الذين نبغوا في مختلف الجوانب ، ومن هذه الجوانب الساحة الشعرية والأدبية ، ومن شعرائها المشهورين بكر بن حماد القنبري (ت : ٢٩٦هـ / ٩٠٨م) ، كان عالماً بالحديث وتتميز الرجال ثقة مأموناً لنا صدوقاً إماماً حافظاً ، وقد نبغ بكر بن حماد في الشعر أيما نبوغ ونظم قصائد جيدة في أغراض مختلفة كالوصف والمديح والمهجع والثناء والاعتذار والزهدة والوعظ .

استطاع الإباضية تكوين عدد من الدول ، ومن هذه الدول الدولة الرسمية في المغرب ، التي نشأت في سنة ١٦٠هـ / ٧٧٦م ، واستمرت إلى سنة ٢٩٦هـ / ٩٠٩م ، والمؤسس لها هو الإمام عبد الرحمن بن رستم ، فازدهرت عاصمتها تَبْهَرَتْ وبلغت شهرتها الآفاق ، وشُدَّت إليها الرحال للتجارة والسكن والعيش الرغيد الآمن ، مما جعل الكتاب والرحالة يقصدونها ويشيدون بها ، وقد تولى الحكم فيها عدد من الأئمة العدل ، يتم اختيارهم من قبل العلماء والرمعة ، فكانت سائرة على نهج الخلافة الراشدة ، وقد اشتهرت هذه الدولة بنظام الشورى المطبق فيها ، وبعادلة أئمتها ، وصلاحهم وتقواهم وعلمهم ، ويازدهارها ، وقد كان يعيش تحت ظلها أنواع كل المذاهب الإسلامية ، وكانوا يمارسون عبادتهم بكل حرية وأمان ، وكانت لهم مساجدهم وبيوتهم الخاصة التي يعيشون فيها ، مصانة حقوقهم ، محفوظة حرياتهم ، بل كان يعيش فيها أصحاب الديانات الأخرى كاليهود والنصارى ، وقد اهتم أئمتها بالجانب الاقتصادي والعلمي والاجتماعي .

لقد اعتنى أئمة عمان وعلماءها بالتأليف منذ القرون الهجرية الأولى ، فأبدعت عقولهم الكثير من المؤلفات ، ومما يتميز به التراث المعاني التنوع والامتداد في التأليف ، فقد اهتم المعانيون

بالكثير من فنون العلم ، فظرقوا أبوابها ووجعوا مبادئها وتسموا ذراها ، فأبدعوا في التأليف وأضافوا الجديد على ما تركه من سبقهم من العلماء ، فالفوا في الشريعة واللغة والأدب والطب والفلك وعلوم البحار وغيرها ، ولما يتميز به البراع العماني أنه يراعى ناقد فاحص معلق ، يأخذ المفيد ويترك السقيم بعد أن يعلق عليه ويتعقبه .

يوجد فرق شاسع بين مصطلحي (الوُفَيْيَّة) و (الوُفَايَّة) ، فمصطلح (الوُفَيْيَّة) ينسب إلى الصحابي الجليل الإمام عبد الله بن وهب الرُّاسِي الذي استشهد في معركة التَّهْرَوان سنة ٣٨هـ / ٦٥٨م ، بينما مصطلح (الوُفَايَّة) نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب التميمي (ت : ١٢٠٦هـ / ١٧٩٩م) ، الذي ظهر بنَجْد في القرن الثاني عشر الهجري ، وبعده الوهابية السلفية إماماً لهم ، وقد ورد مصطلح (الوُفَيْيَّة) بهذه الصيغة في مصادر المسلمين المتقدمة والمتأخرة سواء كانت إباضية أو غير إباضية ، بل وورد بهذه الصيغة في العديد من مؤلفات وبحوث المستشرقين الذين عنوا بالكتابة حول المسلمين عامة والإباضية خاصة في شمال إفريقيا ؛ وقد وقع الخلاف في نسبة هذا المصطلح ، فقبل نسبة إلى الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (ت : ٢٠٨هـ / ٨٢٣م) الإمام الثاني للدولة الرسمية ، وقبل نسبة إلى الصحابي الجليل الإمام عبد الله بن وهب الرُّاسِي ، وعلى القول الثاني أغلب أئمة الإباضية وهو الصحيح ؛ والذي يظهر أن تداول مصطلح (الوُفَيْيَّة) بدأ في القرن الثالث الهجري ؛ وأما مصطلح (الوُفَايَّة) فهو متأخر جداً فلم يكن له وجود في أوساط المسلمين قبل ظهور محمد بن عبد الوهاب ، حيث بدأ تداول مصطلح (الوُفَايَّة) على ألسنة أهل العلم ولي مصنفاتهم ، والوهابية أو السلفية يعترفون بأن مصطلح (الوُفَايَّة) ظهر مع ظهور محمد بن عبد الوهاب ، وأن هذا المصطلح هو نسبة إلى إمامهم محمد بن عبد الوهاب ، بل نجد بعضهم تقبل هذا المصطلح والانتساب إليه ولم يجد غضاضة في ذلك .

مصطلح الخوارج يأتي على عدة تفسيرات تتراوح بين المدح والذم ، فالخروج يأتي بمعنى الخروج في سبيل الله ، ويأتي بمعنى الخروج السياسي على الحاكم ، ويأتي بمعنى الخروج من الملة الإسلامية ؛ والإباضية في جميع لورائهم يفسرون خروجهم خروجاً سياسياً على الظلم ، والأمتنة على ذلك كثيرة كخروجهم على الجورة من حكام بني أمية وبني العباس ، وإقامتهم الدول الإباضية في المغرب والمشرق المطبقة لشرع الله ؛ والخروج على أئمة الجور لم يتفرد به الإباضية

وحدهم بل وافقهم على ذلك جمهور الأمة ، والرعب الأول للإباضية لم يستكشف من لقب الخوارج بل كان يعترف به ويفسره أنتمهم الأرائل بالخروج السياسي على أئمة الجور كما مر وليس بالخروج من الدين أو باستباحة دماء المسلمين وسي ذراريهم وغنم أموالهم كما يرى بعض أصحاب الأهواء ، ولكن لما زعم الأزارقة والنجدات والصفريه استباحة دماء المسلمين وسي ذراريهم وغنم أموالهم ، تراء الإباضية منهم وردوا عليهم بل وقتلواهم ، وسبوا موقفهم من هذه الفتنة بكل صراحة ووضوح ، وهو أنهم لا يجوزون قتل المسلمين بغير حق ولا سي ذراريهم ولا غنم أموالهم .

هذه هي أهم النتائج التي يمكن أن تخرج بها من خلال هذا الكتاب ، الذي أرجو أن أكون من خلاله قدمت مساهمة جديدة تضاف إلى المكتبة الإسلامية ، يجد فيها القارئ معلومة مفيدة تضيفها إلى رصيده ، فإن أصبت في هذا العمل فذلك بفضل الله يؤتيه من يشاء ، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان ، فاستغفر الله تعالى وأتوب إليه ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾^(١) ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) سورة البقرة ، من الآية : ٢٨٦ .

المصادر والمراجع

(١) - المقدمة :

- ١- أحمد بن سعبد الدرجهئ ، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، ج ٢ ، نع : إبراهئم طلائ .
- ٢- بهاز إبراهئم بكور ، الدولة الرستمئة دراسة ئل الأرضاع الاقصادئة والحياة الفكرئة ، جمئة التراث ، القراة ، الجزائر ، ط ٢ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ٣- حبس بن راشء العءوء ، روءة تاريخئة ، الأجلال للنسوق ، روء ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م .
- ٤- سامئ صقر أبو ءاوء ، الإمام جابر بن زئء الأزءئ وأثره ئل الحياة الفكرئة والسبابة ، مطابع النهضة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ٢٠٠٠م .
- ٥- عبء الرحمن بن مءمء بن مءملءون ، ئارئخ إئمن مءملءون ، ج ١ ، موقع لءاء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ٦- علف بن مءمء الحجري ، الإباضئة ومنهجة البء عبء المؤرخئن وأصحاب القلااء ، مكئة الجبل الواعء ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٧- علف عئئ معمر ، الإباضئة بئن الفرق الإسلامية ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٣ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٨- عمر مءمء صاآ با ، دراسة ئل الفكر الإباضئ ، مكئة الاسقامة ، روء ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ٩- مهنأ بن راشء بن مءمء السعءئ ، الشئخ عمروس ومنهجة القفهي والعقءئ من خلال كتاب أصول الءبئوة الصافئة ، مكئة الجبل الواعء ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .
- ١٠- مقال الاصال بالعالم الأارءئ ، انظر هذا الرابط :

<http://www.thethspace.٢٠m.com/phone.htm>

(٢) - الإمام أبو حاتم المنزوي الموقوف إلى الموت :

- ١- أحمد بن حمد الخليلي ، إعادة صياغة الأمة ، الحلقة الأولى ، ط١ ، مكتبة الجبل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان .
- ٢- أحمد بن حمد الخليلي ، شرح منظومة غاية المراد في نظم الاعتقاد للإمام نور الدين السالمي ، مكتبة الجبل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- ٣- أحمد بن حمد الخليلي ، محاربة الخرافة والأعداء بالأسباب ، محاضرة ضمن سلسلة الدروس الفكرية التي يلقبها سماحه بجامعة السلطان قابوس ، أقيمت في يوم الإثنين ٢٣ من رجب ١٤٢٣هـ / ٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٩م ، والمحاضرة منشورة بموقع الأمل المشرق (www.alami.net) .
- ٤- أحمد بن سعيد المرجني ، كتاب طبقات المشائخ بالمغرب ، ج٢ ، تح : إبراهيم طلاي .
- ٥- أحمد بن سعيد الشامي ، كتاب السير ، ج١ ، تح : أحمد بن سعود السبي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٦- أحمد بن علي القلقشندي ، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ٧- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج٣ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط٣ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٨- ابن الصفر ، أخبار الأئمة الرستمين ، ت : محمد ناصر وإبراهيم مجاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٩- ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج١ ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٩٨٣م .
- ١٠- مجاز إبراهيم بكور ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعية التراث ، القزرة ، الجزائر ، ط٢ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ١١- مجاز إبراهيم بكور وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٢- حميس بن راشد العدوي ، رؤية تاريخية ، ط١ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م ، الأجيال للتسويق ، روي ، سلطنة عمان .
- ١٣- خواص السوائل الساكنة ، موقع سوزان مبارك الاستكشافي للعلوم ، على هذا الرابط : <http://www.smscc.com/encyc/phys/٢.htm>

- ١٤- غير الدين الزركلي ، الأعلام ، ج ٨ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ٧ : ١٩٨٦ م .
- ١٥- الربيع بن حبيب الأزدي ، الجامع الصحيح ، مكتبة مسقط ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م .
- ١٦- سالم بن يعقوب ، تاريخ جزيرة جربة ، دار الجويني ، تونس ، ١٩٨٦ م .
- ١٧- سامي صقر أبو داود ، الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية ، ط ١ : ٢٠٠٠ م ، مطابع النهضة ، مسقط ، سلطنة عمان .
- ١٨- سليمان الباروني أبو الربيع ، مختصر تاريخ الإباضية ، جهة النشر غير مسجلة .
- ١٩- سليمان داود بن يوسف ، حلقات من تاريخ المغرب الإسلامي ، مطبعة أبو داود ، ١٩٩٣ م .
- ٢٠- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، لب اللباب في تحرير الأنساب ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ٢١- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) . ج ٣ ، ٤ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- ٢٢- عبد الكريم بن محمد السمعي ، الأنساب ، ج ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
- ٢٣- عبد الله بن يحيى الباروني ، رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .
- ٢٤- علي بن محمد الحجري ، الإباضية ومنهجية البحث عند المؤرخين وأصحاب المقالات ، مكتبة الجيل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- ٢٥- علي بن محمد الشيباني ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ت : د/ عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٢٦- علي يحيى معمر ، الإباضية بين الفرق الإسلامية ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٣ : ١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م .
- ٢٧- علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الأول : الحلقة (١) ، (٢) ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٩٣ م .
- ٢٨- عمر بن جميع أبو حفص ، مقدمة التوحيد وشرحها ، شرح : أحمد بن سعيد الشامي وداود بن إبراهيم النلافي ، تعليق : إبراهيم اطفيش أبو إسحاق ، طعة مسقط ، سلطنة عمان .
- ٢٩- عمر محمد صالح ، دراسة في الفكر الإباضي ، ط ٢ : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م ، مكتبة الاستقامة ، روي ، سلطنة عمان .

- ٣٠- عرض محمد خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطابع دار الشعب ، عمان ، الأردن ، ١٩٧٨م .
- ٣١- فرحات الجعبري ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، المطابع العالمية ، روي ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٦هـ / ١٩٩١م .
- ٣٢- لقاء مع د/ إبراهيم بكري مجاز ، الرستاق ، سلطنة عمان ، ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ٢٤ من إبريل ٢٠٠٥م .
- ٣٣- لوباب بن سلام ، كتاب فيه بدء الإسلام وشوائع الدين ، ت : شافانز وسالم بن يعقوب ، الناشر دار فرائز شتايز بفسبادن ، ألمانيا ، طبع بمطابع دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣٤- محمد بن محرم بن منظور ، لسان العرب ، قرص مدمج ، مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس للكمبيوتر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م .
- ٣٥- محمد بن يوسف اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، ت : مصطفى بن الناصر وينان ، جمعية التراث ، القزارة ، الجزائر ، ط ١ : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- ٣٦- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٣٧- محمد علي ديوز ، تاريخ المغرب الكبير ، ج ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ : ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- ٣٨- مدرسة علمية عبر الحائف مع د/ مجاز إبراهيم بكري ، الأحد ١ من محرم ١٤٢٥هـ / ٢٢ من فبراير ٢٠٠٤م .
- ٣٩- مقربين بن محمد العظوي ، كتاب سير أهل نفوسة ، مخطوط .
- ٤٠- مهنا بن راشد بن حمد السعدي ، أئمة المغرب الأوائل ، أنظره في موقع الأمل المشرق (www.alaml.net) ، قسم التاريخ .
- ٤١- يحيى بن أبي زكرياء (أبو زكرياء) ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٤٢- يحيى بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .

(٣) - العلامة مهدي النفوسي إمام المناظرين :

- ١- أحمد بن سعيد الدرجمي ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج ١ ، ط ٢ ، ت : إبراهيم طنجي .
- ٢- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، لح : محمد حسن ، كلية الآداب العلوم الإنسانية والاجتماعية ، تونس ، شركة أوريس للطباعة : تونس ، ١٩٩٥ .
- ٣- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج ١ ، لح : أحمد بن سعود السبائي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٤- مجاز إبراهيم بكري ، القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية ، دار الباقوت ، عمان ، الأردن ، ط ١ : ٢٠٠١م .
- ٥- مجاز إبراهيم بكري وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٦- سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الرباضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج ٢ ، دار بو سلام للطباعة والنشر ، شارع فرنسا ، تونس ، ط ١ : ١٩٨٦ .
- ٧- مقري بن محمد البغدادي ، سير أهل نفوسة ، مخطوط .
- ٨- يحيى بن أبي بكر (أبو زكرياء) ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، ت : إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .

(٤) - العلامة مُحَكَّم بن هُوْد الهُوَارِي قاضي (تَيَهَّرَتْ) :

- ١- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج ١ ، لح : أحمد بن سعود السبائي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٢- ابن الصغر ، أخبار الأئمة الرستمين ، لح : د/ محمد ناصر ، إبراهيم مجاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣- مجاز إبراهيم بكري ، القضاء في المغرب العربي من تمام الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية ، دار الباقوت ، عمان ، الأردن ، ط ١ : ٢٠٠١م .
- ٤- مجاز إبراهيم بكري وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .

- ٥- سلطان بن مبارك الشيباني ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٣) ، مخطوط بخط المؤلف ، وقد تم نشر هذه الحلقات في جريدة (الوطن) العمانية بين عامي ١٤١٩هـ / ١٤٢٠هـ .
- ٦- علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الثالث ، الحلقة الرابعة ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط٢ : ١٩٩٣م .
- ٧- فرحات الجعبري ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الألوان الحديثة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ٨- هود بن محكم الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ج١ ، تح : بالحاج بن سعيد شريقي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٩٩٠م .

(٥) - العلامة هُود بن مُحَكَّم الهُوَّارِي مفسر القرآن العزيز :

- ١- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنضفة ، مخطوط .
- ٢- أحمد بن سعيد الفرجي ، كتاب طبقات المشايخ بالغرب ، ج٢ ، تح : إبراهيم طلاي .
- ٣- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج٢ ، تح : أحمد بن سعود السباني ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط٢ : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ٤- محاز إبراهيم بكير ، محاضرة نظام العزابة وآثره في المجتمع المزباني ، شريط سمعي ، ألقاها في سلطنة عمان ، ولاية السويق ، الأربعاء ٤ من محرم ١٤٢٥هـ / ٢٥ من فبراير ٢٠٠٤م ، وقد نشرت هذه المحاضرة في موقع الشبكة العمانية (سلة الدين) على هذا الرابط :
<http://www.omania.net/avb/showthread.php?t=١٣٣٣٢٠&page=١>
- ٥- محاز إبراهيم بكير وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٦- سلطان بن مبارك الشيباني ، الإنتاج الإباضي في علم التفسير ، الحلقة (١٣) ، مخطوط بخط المؤلف ، وقد تم نشر هذه الحلقات في جريدة (الوطن) العمانية بين عامي ١٤١٩هـ / ١٤٢٠هـ .
- ٧- سليمان داود بن يوسف ، مساهمة علماء الإباضية في علم التفسير والحديث والفقه والبيان ، مطبعة أبو دارد ، ١٩٩٢م .
- ٨- صالح باجيح ، الإباضية بالمجريد في العصور الإسلامية الأولى ، دار بوسلامة ، تونس ، ط١ : ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م .

- ٩- عبد الله بن حديد السامي ، اللمة المرضية من أشعة الإباضية ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٨٣ م .
- ١٠- علي أكبر ضيائي ، معجم مصادر الإباضية ، مؤسسة الهدى ، طهران ، إيران ، ط ٢ : ١٤٢٤ هـ .
- ١١- علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الثالث : الحلقة (٤) ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٩٣ م .
- ١٢- عمرو خليفة النامي ، دراسات عن الإباضية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ٢٠٠١ م .
- ١٣- فرحات الجعبري ، نظام العزابة عند الإباضية الوهبة في جربة ، المعهد القومي للآثار والفنون ، المكتبة التاريخية ، تونس ، ١٩٧٥ م .
- ١٤- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- ١٥- محمد ناصر ، الشيخ إبراهيم أظفيش في جهاده الإسلامي ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان : ط ٢ : ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م .
- ١٦- مناقشة علمية عبر الهاتف مع الأستاذ سلطان بن مبارك الشباني ، ربيع الأول ١٤٢٥ هـ / مايو ٢٠٠٤ م .
- ١٧- مناقشة علمية عبر الهاتف مع د/ محاز إبراهيم بكري ، السبت ٢٥ من ربيع الأول ١٤٢٥ هـ / ١٥ من مايو ٢٠٠٤ م .
- ١٨- هوري بومدين أكبر مساند لجهة البوليساريو في السبعينات ، موقع قناة الجزيرة على هذا الرابط : <http://www.aljazeera.net/NR/exeres/١CEC١C١D-E١٧٥-٤٨C٢-٩D٤٨-EB٧FE٨BBFDC٨.htm>
- ١٩- هود بن حكم الهواري ، تفسير كتاب الله العزيز ، ج ١ ، ط ١ : مع : الحاج بن سعيد شريفي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٩٩٠ م .
- ٢٠- يحيى بن أبي الخير الجنائوي ، كتاب الوضع ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ .
- ٢١- يحيى بن أبي بكر أبو زكرياء ، كتاب السيرة وأخبار الأئمة ، ط ١ : مع : عبد الرحمن أيوب ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .

(٦) - العلامة عمرو بن قنح النفوسي (قصة إمام) :

- ١- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنقاة ، مخطوط .
- ٢- أحمد بن سعيد الدرجي ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج ٢ ، تح : إبراهيم طلاي .
- ٣- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج ٢ ، تح : أحمد بن سعود السبائي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ٤- إسماعيل بن موسى الجبلي ، قواعد الإسلام ، تح : بشر بن موسى الحاج موسى ، ج ١ ، المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر ، ط ١ : ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .
- ٥- إسماعيل بن موسى الجبلي ، كتاب قواعد الإسلام ، ج ١ ، تح : بكلي عبد الرحمن بن عمر ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ٦- محاز إبراهيم بكير وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٧- جتار بن فتي وعبد القاهر بن خلف ، أجوبة علماء لقآن ، تح : عمرو خليفة النامي ، مطابع دار البعث ، فلسطين ، الجزائر .
- ٨- سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الرباضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج ٢ ، دار بوسلام للطباعة والنشر ، شارع فرنسا ، تونس ، ط ١ : ١٩٨٦ .
- ٩- عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عجلدون ، تاريخ ابن عجلدون ، ج ٢ ، موقع لنداء الإيمان (www.al-eman.com) ، ج ٦ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ١٠- عبد الله بن حيد السامي ، اللمعة المرحية من أشعة الإباضية ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٨٣م .
- ١١- علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، المجلد الأول : الحلقة (٢) ، مكتبة الضامري ، السبب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٩٣م .
- ١٢- عمرو خليفة النامي ، وصف مخطوطات إباضية مكتشفة حديثا في شمال إفريقيا ، مخطوط ، مقال منشور في المجلد (١٥) العدد (١) من مجلة (الدراسات السامية) ، ١٩٧٠م ، ترجمة سلطان بن مبارك الشباني ، مخطوط بخط المترجم .
- ١٣- عمرو بن قنح النفوسي ، أصول الدينونة الصافية ، تح : أحمد جو كروم ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

- ١٤- فرحات الجعيري ، البلد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الألوان الحديثة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ١٥- فرحات الجعيري ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، المطابع العالمية ، روي ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- ١٦- محمد بن يوسف اطقيش ، شرح كتاب النبل وشقاء العليل ، ج ١٢ ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط ٣ : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ١٧- مقرين بن محمد البطوري ، كتاب سر أهل نقوسة ، مخطوط .
- ١٨- مهنا بن راشد بن حمد السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والمفدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصافية ، مكتبة الجبل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .
- ١٩- يحيى بن خير بن أبي الخير الجنائني ، كتاب السكاح ، تعليق : علي يحيى معمر ، المطابع العالمية ، روي ، سلطنة عمان .

(٧) - الشيخ سالم بن يعقوب مؤرخ في سطور :

- ١- اتصال هاتفي مع الشيخ أحمد مهني مصلح مدرس بمعهد العلوم الشرعية بسلطنة عمان ، اللقاء ٤ من شعبان ١٤٢٤هـ / ٣٠ من سبتمبر ٢٠٠٣م ، الأربعاء ٥ من شعبان ١٤٢٤هـ / ١ من أكتوبر ٢٠٠٣م .
- ٢- مجاز إبراهيم بكرو وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ١٦٧/٢ - ١٦٨ ، رقم الترجمة : ٣٦٦ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٣- سالم بن يعقوب ، تاريخ جزيرة جربة ، دار الجويني للنشر ، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٦م ، ص ١٢ .
- ٤- سليمان بن أحمد الحيلاني الجري ، علماء جربة ، ت : محمد فوجة ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٩٩٨م ، III هامش رقم (١) .
- ٥- سيف بن ناصر بن سليمان الخروصي ، الإرشاد في شرح مهمات الاعتقاد ، ج ١ ، مكتبة المستشار الخاص بولاية السلطان للشؤون الدينية والتاريخية ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٦- فرحات الجعيري ، البلد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الألوان الحديثة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م ، ص ٨٥ هامش رقم (١٤٩) .

(٨) - المحدث بكر بن حماد شاعر (تَيْهَرْت) :

- ١- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنقاة ، مخطوط .
- ٢- أحمد بن سعيد الدرجيني ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج ١ ، طبع : إبراهيم طحلاي .
- ٣- أحمد بن عبد الله المعجلي الكوفي ، معرفة الثقات ، طبع : عبد العليم البستوي ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- ٤- أحمد بن علي بن حجر ، لسان الميزان ، ج ٢ ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- ٥- إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، مركز التراث للحاسب الآلي ، عمان ، الأردن ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٦- حماد إبراهيم بكري ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعة التراث ، القفارة ، الجزائر ، ط ٢ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ٧- سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الرباعية في أئمة وملوك الإباضية ، ج ٢ ، دار البعث ، الجزائر ، ط ٣ : ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ٨- سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الرباعية في أئمة وملوك الإباضية ، ج ٢ ، دار بو سلام للطباعة والنشر ، شارع فرنسا ، تونس ، ط ١ : ١٩٨٦ .
- ٩- عبد الرحمن بن محمد بن غلبدون ، تاريخ ابن غلبدون ، ج ٢ ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ١٠- محمد بن طاهر بن القيسرائي ، تذكرة الحفاظ ، ج ٣ ، المكتبة الألفية للسنة النبوية ، مركز التراث ، عمان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
- ١١- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، قرص مدمج ، مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس للكمبيوتر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م .
- ١٢- ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ١٣- يوسف بن إبراهيم الوارجلاني ، الدليل والنهجان ، ج ٢ ، طبع : سالم بن حمد الحارثي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

(٩) - الدولة الرُستُمِيَّة دولة إسلامية تجاهلها التاريخ :

- ١- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنفذة ، مخطوط .
- ٢- أبو القاسم بن حوقل النصبي ، كتاب صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٩٢م .
- ٣- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح يعقوبي ، كتاب البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ٤- أحمد بن أبي يعقوب بن واضح يعقوبي ، كتاب البلدان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٥- أحمد بن حمد الخليلي ، موقف الإباضية من الخلفين عثمان وعلي ، شريط سمعي ، تسجيلات مشارق الأنوار ، روي ، سلطنة عمان .
- ٦- أحمد بن سعيد الدرجيني ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج ١ ، ط ٢ ، تح : إبراهيم خلاي .
- ٧- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج ١ (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م) ، ج ٢ (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م) ، تح : أحمد بن سعود السبائي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان .
- ٨- أحمد بن عبد الخليم ابن تيمية ، منهاج السنة في نقض كلام الشيعة والقدرية ، ج ٧ ، تح : محمد أمين الشراوي ، دار الحديث ، القاهرة ، مصر ، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .
- ٩- أحمد بن علي المغربي ، انعطاف الخلفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .
- ١٠- أحمد بن محمد ابن خلكيان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .
- ١١- أحمد بن محمد بن عبد ربه ، العقد الفريد ، ج ٥ ، تح : عبد المجيد الترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ١٢- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج ٢ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
- ١٣- ابن الصغور ، أخبار الأئمة الرستميين ، تح : د/ محمد صالح ناصر و إبراهيم محاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م ، ص ٣٦ .
- ١٤- ابن عذاري المراكشي ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، ج ١ ، تح : ج . س . كولان و ١ . ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٩٨٣م .
- ١٥- محاز إبراهيم بكري ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعية التراث ، القنارة ، الجزائر ، ط ٢ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

- ١٦- محاذ إبراهيم بكير وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٧- خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، مركز التراث ، التاريخ ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، عمان ، الأردن .
- ١٨- سليمان الباروني أبو الربيع ، مختصر تاريخ الإباضية ، جهة النشر غير مسجلة .
- ١٩- سليمان بن عبد الله الباروني (باشا) ، الأزهار الوياضية في أئمة وملوك الإباضية ، ج ٢ ، دار أبو سلام للطباعة والنشر ، شارع فرنسا ، تونس ، ط ١ : ١٩٨٦ .
- ٢٠- عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ج ٥ ، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
- ٢١- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٣ ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ٢٢- عبد الله بن حيد السالمي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج ٢ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٢٣- عبد الله بن يوسف الزيلعي ، نصب الرأية لأحاديث الهداية ، ج ١ ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ٢٤- عبد الله بن عبد الله ابن خرداذبة (أبو القاسم) ، المسالك والممالك ، تح : محمد عزوم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ٢٥- علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير) ، الكامل في التاريخ ، ج ٦ ، ٧ ، تح : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٢٦- علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ٣ ، مكتبة التضاريف ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٩٣م .
- ٢٧- عوض محمد خليقات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطابع دار الشعب ، عمان ، الأردن ، ١٩٧٨م .
- ٢٨- لقاء مجلة جبرين مع سماحة الشيخ الخليلي حول الصحوة الإسلامية ، مجلة جبرين : مجلة نصف سنوية تصدرها اللجنة الثقافية بنادي طلبة عمان في الأردن ، موقع مكتبة الندوة ، صفحة سماحة الشيخ ، لقاءات وحوارات ، على هذا الرابط (http://www.alnadwa.net/alkhalili/jabreen.htm) .
- ٢٩- لقاء مع الشيخ أحمد بن سعود السبائي في سنة ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ٣٠- لقاء مع خالد بن مبارك الوهبي ، مسقط ، سلطنة عمان ، ٤ من شعبان ١٤٢٦هـ / ٨ من سبتمبر ٢٠٠٥م .

- ٣١- نواب بن سلام ، كتاب فيه بدء الإسلام وشرايع الدين ، ت : شافارز وسمان بن يعقوب ، الناشر دار فرانز شتاينر بيمسبادن ، ألمانيا ، طبع بمطابع دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣٢- مجموعة علماء ، السير (مخ) : كتاب الإمام أبي عبيدة مسلم وحاجب الطائي إلى أهل المغرب في قضية الحارث وعبد الجبار .
- ٣٣- مجموعة علماء ، السير والجوابات : سورة أبي قحطان خالد بن لعطان ، ج ١ ، تع : سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م .
- ٣٤- مجموعة علماء ، السير والجوابات : سورة الشيخ محمد بن محبوب إلى أهل المغرب ، ج ٢ ، تع : سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٣٥- محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ٣٦- محمد بن أحمد اللبسي ، تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٧- محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، ج ٣ ، مركز التراث ، التاريخ ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، عمان ، الأردن .
- ٣٨- محمد بن شامس البطاني ، الكشف عن الإصابة في اختلاف الصحابة ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م .
- ٣٩- محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، تحفة الأحوذ بشرح جامع الترمذي ، ج ١٠ ، تع : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ٤٠- محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ابن بطوطة) ، رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار) ، تع : طلال حرب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .
- ٤١- محمد بن عيسى الترمذي ، سنن الترمذي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٤٢- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، فرص مدبح ، مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس للكمبيوتر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢م .
- ٤٣- محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة ، سنن ابن ماجة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٤٤- محمد بن يزيد الجرد ، الكامل في اللغة والأدب ، ج ٢ ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

- ٤٥- محمد بن يوسف اطفيش قطب الأئمة ، شرح عقيدة التوحيد ، تح : مصطفى بن الناصر وين ، جمعية التراث ، غرداية ، الجزائر ، ط ١ : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- ٤٦- محمد صالح ناصر ، دور الإباضية في نشر الإسلام بغرب إفريقيا ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان .
- ٤٧- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاسطامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٤٨- محمد علي دبو ، تاريخ المغرب الكبير ، ج ٣ ، دار إحياء الكتب العربية ، ط ١ : ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .
- ٤٩- محمد ناصر بوحجام ، العلاقات الثقافية بين عمان والجزائر (تبادل الرسائل نموذجاً) بحث مقدم في ندوة " الملتقى العلمي حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديماً وحديثاً " ، تحرير : د/ إبراهيم بخاز و د/ حسن المنيخ ، منشورات جامعة آل البيت ، الأردن ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، جمعية عمال المطابع ، الأردن ، عمان .
- ٥٠- مكاله هانفية مع الشيخ عبد الله بن مبارك العبري ، ١٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ / ٢٤ من إبريل ٢٠٠٥م .
- ٥١- ناصر بن سليمان السابحي ، الخوارج والحقيقة الغائبة ، مكتبة الجليل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٥٢- هاشم بن غيلان ، السيرة : سيرة هاشم بن غيلان إلى الإمام عبد الملك بن حيد ، مخطوط .
- ٥٣- يحيى بن أبي بكر (أبو زكرياء) ، كتاب سيرة الأئمة وأخبارهم ، ت : إسماعيل العربي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٥٤- يحيى صالح بوتردين ، نموذج للعلاقات العلمية بين الجزائر وعمان (من خلال بعض مراسلات القطب اطفيش) بحث مقدم في ندوة " الملتقى العلمي حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديماً وحديثاً " ، تحرير : د/ إبراهيم بخاز و د/ حسن المنيخ ، منشورات جامعة آل البيت ، الأردن ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، جمعية عمال المطابع ، الأردن ، عمان .

(١٠) - حركة التأليف عند العُمانيين في القرون الهجرية الثلاثة الأولى ؛

- ١- إبراهيم بن أحمد الكندي ، جابر بن زيد كوامم من أئمة الحديث ، ندوة من أعلامنا الأولى ، المديرية العامة للنشاط الثقافي ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م .
- ٢- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنقطة ، مخطوط .
- ٣- أحمد بن سعيد المدرجي ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج ١ ، ط ١ : إبراهيم طاي .
- ٤- أحمد بن علي ابن حجر ، قديم الهند ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٥- أحمد بن علي ابن حجر ، لسان الميزان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٦- أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٧- أحمد بن محمد ابن علي حلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٨- إسماعيل بن موسى الجبلي ، قواعد الإسلام ، ج ١ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ٩- محاز إبراهيم بكور وحسن المنح ، الملحق العلمي حول تراث سلطنة عمان الشقيقة قديماً وحديثاً ، بحث " تطور علم الأصول في المصادر العمانية " ، د/ مصطفى باجو ، منشورات جامعة آل البيت ، الأردن ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م ، جمعية عمال المطابع ، الأردن ، عمان .
- ١٠- محاز إبراهيم بكور وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ١١- جميل بن جيس السعدي ، قاموس الشريعة الحازي طرقها الوسيعة ، ج ١ ، ط ١ : عبد الحفيظ شلي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ١٢- حاجي خليفة ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ج ١ ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ١٣- سامي صقر أبو دود ، الإمام جابر بن زيد الأزدي وأثره في الحياة الفكرية والسياسية ، مكتبة الجبل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ٢٠٠٠م .
- ١٤- سعيد بن مبروك الفنوي ، الإمام الربيع بن حبيب مكانته ومستنده ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
- ١٥- سلطان بن مبارك الشيباني ، الإنشاج الإباضي في علم التفسير (مخ) ، الحلقة ١٤ .

- ١٦- سيف بن حمد البطاشي ، إتخاف الأعيان في تاريخ بعض علماء عمان ، ج ١ ، مكتبة المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية ، سلطنة عمان ، مسقط ، ط ٢ : ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ١٧- صالح بن أحمد البوسعيد ، رواية الحديث عند الإباضية ، مكتبة الجليل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٨- عبد الله بن حيد السالمي ، اللمعة المرضية من أشعة الإباضية ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٨٣م .
- ١٩- عبد الله بن حيد السالمي ، جوهر النظام في علمي الأحكام والأديان ، ج ١ ، تح : الشيخ إبراهيم العمري والشيخ أبي إسحاق إبراهيم الطفيش ، مطبعة الألوان الحديثة ، سلطنة عمان .
- ٢٠- علي أكبر ضيائي ، معجم مصادر الإباضية ، مؤسسة الهدى ، طهران ، إيران ، ط ٢ : ١٤٢٤هـ .
- ٢١- عمرو خليفة النامي ، دراسات عن الإباضية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ٢٠٠١م .
- ٢٢- عوض محمد خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطابع دار الشعب ، غطان ، الأردن ، ١٩٧٨م .
- ٢٣- فرحات الجعيري ، العهد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الألوان الحديثة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ٢٤- فرحات الجعيري ، تحليل رسائل الإمام جابر بن زيد تمهيدا لتحقيقها ، الملتقى العلمي الأول حول تراث سلطنة عمان ، جامعة آل البيت ، وحدة الدراسات العمانية ، الأردن ، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م .
- ٢٥- فرحات الجعيري ، علاقة عمان بشمال إفريقيا ، المطابع العالمية ، روي ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٢هـ / ١٩٩١م .
- ٢٦- لقاء مع خالد بن مبارك الوهبي ، مسقط ، سلطنة عمان ، ٢٢ من شعبان ١٤٢٦هـ / ٢٦ من سبتمبر ٢٠٠٥م .
- ٢٧- مبارك بن عبد الله الراشدي ، الإمام أبو عبدة مسلم وفقهه ، مطابع الوفاء ، المنصورة ، مصر ، ط ١ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- ٢٨- مجموعة علماء ، السير والجوابات : سيرة محبوب بن الرحيل إلى أهل حضرموت في أمر هارون بن اليمان ، ج ١ ، تح : سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان .
- ٢٩- محمد بن إبراهيم الكندي ، بيان الشرع ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ج ٣ : ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م ، ج ٥١-٥٢ : ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .
- ٣٠- محمد بن أحمد الذهبي ، العبر في خبر من غير ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣١- محمد بن إسحاق ابن التميم ، الفهرست ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٢- محمد بن إسماعيل البخاري ، التاريخ الكبير ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .

- ٣٣- محمد بن أحمد الذهبي ، تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٤- محمد بن جعفر الإزكري ، الجامع لابن جعفر ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان .
- ٣٥- محمد بن حبان ، الثقات ، موقع مكتبة يعقوب الدين ، (http://www.yasoob.com/books/html/m.٢١/٢٤/no٢٤٥٨.html) .
- ٣٦- محمد بن سعد ، الطبقات الكبرى ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٧- محمد بن محمود الرحي ، محبوب بن الرحيل حياته وآثاره ، نسخة مرفوعة ، معهد العلوم الشرعية ، مسقط ، سلطنة عمان ، ٢٠٠١ م .
- ٣٨- محمد بن مكرم بن منظور ، لسان العرب ، قرص مدمج ، مكتبة الحديث الشريف ، شركة العريس للكمبيوتر ، بيروت ، لبنان ، ٢٠٠٢ م .
- ٣٩- محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م .
- ٤٠- محمد صالح ناصر ، معجم أعلام الإباضية (قسم المشرق) ، قرص مدمج ، جمعية التراث ، القسرة ، الجزائر .
- ٤١- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨ م .
- ٤٢- ياقوت الحموي ، معجم الأدباء ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٤٣- يحيى بن أبي بكر (أبو زكريا) ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .
- ٤٤- يحيى محمد بكوش ، فقه الإمام جابر بن زيد ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ م .
- ٤٥- يوسف بن إبراهيم الوارجلاني ، الدليل والبرهان ، ج ٢ ، تح : سالم بن حمد الخارقي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م .
- ٤٦- يوسف بن عبد الرحمن المسزي ، غريب الكمالي في أسماء الرجال ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .

(١١) - (الوَهَّابِيَّة) و (الوَهَّابِيَّة) المنشأة والنسبة :

- ١- إبراهيم بن القاسم بن الرقيل الفخرواني ، تاريخ إفريقيا والمغرب ، تح : المنجي الكمي ، تونس ، ١٩٦٨ م .
- ٢- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المنقاه ، مخطوط .
- ٣- أحمد بن سعيد الدرجمي ، كتاب طبقات المشايخ بالمغرب ، ج ١ ، تح : إبراهيم طلاحي .
- ٤- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج ١ ، تح : أحمد بن سعود السبائي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
- ٥- أحمد بن عبد الوهاب النويري ، غاية الأرب في فنون الأدب ، موقع الوراق (www.alwaraq.com) .
- ٦- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٠ م .
- ٧- أحمد بن يحيى اللونشريسي ، المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيا والأندلس والمغرب ، ج ١١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان .
- ٨- ألفرد بل ، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي ، ت : عبد الرحمن بدوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ ، ١٩٨٧ م .
- ٩- ابن الصغور ، أخبار الأئمة الرسميين ، تح : د/ محمد ناصر ، إبراهيم محاز ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .
- ١٠- محاز إبراهيم بكير ، الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية ، جمعية التفرات ، القزارة ، الجزائر ، ط ٢ : ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م .
- ١١- محاز إبراهيم بكير وآخرون ، معجم أعلام الإباضية ، ج ٢ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٠ م .
- ١٢- تاديبوس ليفنيسكي ، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : ماهر جبرار ورمما جبرار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ٢٠٠٠ م .
- ١٣- جودت عبد الكريم يوسف ، العلاقات الخارجية للدولة الرستمية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، شارع زبروت يوسف ، الجزائر ، ١٩٨٤ م .
- ١٤- حسن بن علي السقاغ ، السلفية الوهابية أفكارها الأساسية وجذورها التاريخية ، دار الإمام الرواس ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م .
- ١٥- حسن بن فرحان المانكي ، داعية وليس نبي ، دار الرازي ، عمّان ، الأردن ، ط ١ : ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م .

- ١٦- مروحان بن عمر بن سعيد السرحني الإزكوي ، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ، مطبوع ، رقم : ١١٥ ، ورقه : ٢٧٤ ، مكتبة السيد محمد بن أحمد أنوسعيدى المستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والتاريخية ، مسقط ، سلطنة عمان .
- ١٧- سلمة بن مسلم العموي ، كتاب الإباضية في اللغة العربية ، ج ١ ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م . التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ١٨- سليمان بن عبد الرحمن الحفيل ، حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحقيقة دعوته ، مؤسسة المختار ، الرياض ، السعودية ، ط ٢ : ١٣٢١هـ / ٢٠٠١م .
- ١٩- صالح أنوسعيدى ، رواية الحديث عند الإباضية ، مكتبة الجليل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م .
- ٢٠- صلاح الدين المختار ، تاريخ المملكة العربية السعودية في ما فيها وحاضرها ، ج ١ ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م .
- ٢١- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، موقع لواء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ٢٢- عبد الله بن عبد السامي ، ثقة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، ج ٢ ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٢٣- عبد الله بن يحيى الباروني ، رسالة سلم العامة والمبتدئين إلى معرفة أئمة الدين ، مكتبة الضاري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .
- ٢٤- عثمان بن عبد الله النجدي ، عنوان الجسد في تاريخ نجد ، ج ١ ، ط ١ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م . آل الشيخ ، دار الملك عبد العزيز ، الرياض ، السعودية ، ط ٤ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٢٥- علي يحيى معمر ، الإباضية في موكب التاريخ ، ج ٢ ، مكتبة الضاري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٩٩٣م .
- ٢٦- علي يحيى معمر ، الإباضية ملهوب إسلامي معتدل ، مكتبة الضاري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ٤ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٢٧- عمرو خليفة النامي ، دراسات عن الإباضية : دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ٢٠٠١م .
- ٢٨- عوض محمد خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطابع دار الشعب ، عمان ، الأردن ، ١٩٧٨م .
- ٢٩- فراحات الجعيري ، البعد الحضاري للعقيدة الإباضية ، مطبعة الألوان الحديثة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ٣٠- مؤلف مجهول ، كتاب المعلقات في أخبار وروايات أهل الدعوة ، طعة مرقونة ، ط ١ : سليمان بن إبراهيم بابيز الوردجاني ، معهد الحياة ، القرارة ، الجزائر ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

- ٣١- مازيوس كتاب ، أعمال تادبوس ليفيسكي عن المغرب والإباضيين بصورة خاصة ، ملحق بكتاب : تادبوس ليفيسكي ، المؤرخون الإباضيون في إفريقيا الشمالية ، ترجمة : ماهر جزّار وريما جزّار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ٢٠٠٠ م .
- ٣٢- محمد بن سعد الشوير ، تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية ، موقع صيد الفوائد على هذا الرابط : <http://saaaid.net/book/open.php?cat=٨٨&book=١٣٣>
- ٣٣- محمد بن سعيد القلعي ، الكشف والبيان ، مخطوط ، رقم : ٧٧٧ ، الباب السادس والأربعون ، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي المستشار الخاص لجلالة السلطان قابوس للشؤون الدينية والثقافية ، مسقط ، سلطنة عمان . وانظر النسخة المطبوعة من كتاب الكشف والبيان بتحقيق : سيدة إسماعيل كاشف ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ، ٤٢٣/٢ .
- ٣٤- محمد بن عبد الله الحميري ، الروض المصطار في غسر الألفاظ ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٥- محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي ، نزهة المشتاق في احشواق الآفاق ، موقع السوراق (www.alwaraq.com) .
- ٣٦- محمد بن يوسف اطفيش ، شرح عقيدة التوحيد ، تح : مصطفى بن الناصر ويتن ، جمعية التراث ، غرداية ، الجزائر ، ط١ : ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م .
- ٣٧- محمد بن يوسف اطفيش ، شرح كتاب النيل وشفاء العليل ، ج١٧ ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، المملكة العربية السعودية ، ط٣ : ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ٣٨- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاسطفاة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٣٩- مسعود الندوي ، محمد بن عبد الوهاب مُصلح مظلوم ومفتري عليه ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، السعودية ، ط٢ : ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- ٤٠- مصطفى الشكعة ، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية ، بيروت ، لبنان ، ط١ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م .
- ٤١- مهدي طالب هاشم ، الحركة الإباضية في المشرق العربي ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، كنية الأرمن ، شارع المجلس ، ط١ : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ٤٢- مهنا بن راشد بن حمد السعدي ، الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والمفتدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصافية ، مكتبة الجليل الواعد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م .
- ٤٣- ناصر بن سالم البهلاني ، العقيدة الوهابية ، تح : صالح بن سعد القنوي وعبد الله بن سعد القنوي ، مكتبة مسقط ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط٥ : ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م .

- ٤٤- ناصر بن سالم البهائي ، العقيدة الوهبة ، مراجعة : سلطان الشيباني ، مكتبة مسقط ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- ٤٥- ناصر بن سليمان السابعي ، الحوارج والحقيقة الغالية ، مكتبة الجليل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .

(١٢) - الخوارج وزُيفُ التاريخ :

- ١- إبراهيم اطفيش (أبو إسحاق) ، الفرق بين الإباضية والخوارج ، مكتبة الاستقامة ، روي ، سلطنة عمان .
وتم نشر هذا الكتاب كذلك في موقع الأمل المشرق (www.alaml.net) ، قسم التاريخ .
- ٢- أبو القاسم بن إبراهيم البرادي ، الجواهر المسطاه ، مخطوط .
- ٣- أبو فرج الأصفهاني ، الأغاني ، ج ٢٣ ، دار الفكر ، ط ١ : ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م .
- ٤- أحمد بن سعيد الدرجمي ، كتاب طبقات المشايخ بالغرب ، ج ٢ ، ت : إبراهيم طاي .
- ٥- أحمد بن سعيد الشماخي ، كتاب السير ، ج ١ ، وزارة التراث القومي والثقافة ، سلطنة عمان .
- ٦- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١ ، ج ٦ ، ج ٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٣ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٧- إسماعيل بن عمر بن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، مركز التراث للحاسب الآلي ، عمان ، الأردن ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٨- ابن الصغور ، أخبار الأئمة الرستمين ، تح : د/ محمد ناصر ، إبراهيم بحار ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٩- بكير بن سعيد أعوش ، أضواء إسلامية على العالم الإباضية ، الدار العمانية للنشر والتوزيع ، سلطنة عمان .
- ١٠- خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، ج ١ ، مركز التراث ، التاريخ ، الإصدار الثاني ، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م ، عمان ، الأردن .
- ١١- الربيع بن حبيب الأزدي ، الجامع الصحيح ، ج ١ ، ج ٢ ، مكتبة مسقط ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م .
- ١٢- سالم بن حمد الحارثي ، العقود الفضية في أصول الإباضية ، جهة النشر غير مسجلة .
- ١٣- سامي صقر أبو داود ، الإمام جابر بن زيد الأزدي وآله في الحياة الفكرية والسياسية ، مكتبة الجليل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ٢٠٠٠م .
- ١٤- سعيد بن مبروك الفتوي ، السيف الحاد ، مطابع النهضة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٣ : ١٤١٨هـ .

- ١٥- سليمان بن الأشعث الأزدي أبو داود ، كتاب السنن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ١٦- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، ج ٢ ، موقع نداء الإيمان (www.al-eman.com) .
- ١٧- عبد الله بن عبد السامي ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عُمان ، ج ١ ، ج ٢ ، مكتبة الاسطى ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ١٨- عبد الله بن عبد السامي ، جوهر النظام في علمي الأدب والأحكام ، ج ٣ ، مطبعة الألوان الحديثة ، سلطنة عمان .
- ١٩- عبد الله بن عبد السامي ، شرح الجامع الصحيح ، ج ١ ، الناشر : سعود بن حمد بن نور الدين السامي ، المطابع الذهبية ، روي ، سلطنة عمان ، ١٩٩٣م .
- ٢٠- عبد الله بن عبد السامي ، منظومة كشف الحقيقة لمن جهل الطريقة ، نشرت ضمن كتاب مفتاح السعادة إلى صحيح العبادة ، مكتبة الإمام نور الدين السامي ، السب ، سلطنة عمان .
- ٢١- علي بن أحمد الظاهري (ابن حزم) ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ج ٤ ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .
- ٢٢- علي بن محمد البسيوي ، جامع أبي الحسن البسيوي ، ج ١ ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م .
- ٢٣- علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير) ، الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ت : د / عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .
- ٢٤- عمر بن الحاج محمد صالح با ، دراسة في الفكر الإباضي ، مكتبة الاسطى ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م .
- ٢٥- عمرو بن فتح النفوس ، أصول الدينونة الصافية ، تح : أحمد حو كزوم ، وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٢٦- عوض محمد خليفات ، نشأة الحركة الإباضية ، مطابع دار الشعب ، عُمان ، الأردن ، ١٩٧٨م .
- ٢٧- مبارك بن عبد الله الراشدي ، الإمام أبو عبيدة مسلم وفقهه ، مطابع الوفاء ، المنصورة ، مصر ، ط ١ : ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م .
- ٢٨- محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- ٢٩- محمد بن علي الشوكاني ، لب الأوطار ، ج ١ ، ج ٢ ، المكتبة الألفية للمسة النبوية ، مركز التراث ، عُمان ، الأردن ، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .

- ٣٠- محمد بن يزيد المبرد ، الكامل في اللغة والأدب ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، لبنان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٣١- محمد بن يوسف الطقيش ، الذهب الخالص المنزه بالعلم الفاضل ، مكتبة الضامري ، السب ، سلطنة عمان ، ط ٢ : ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م .
- ٣٢- محمد صالح ناصر ، منهج الدعوة عند الإباضية ، مكتبة الاستقامة ، مسقط ، سلطنة عمان ، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م .
- ٣٣- محمد عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، تح : عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان
- ٣٤- مهدي طالب هاشم ، الحركة الإباضية في المشرق العربي ، دار الاتحاد العربي للطباعة ، كتبة الأزمن ، شارع الجلبس ، ط ١ : ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- ٣٥- ناصر بن سليمان السامي ، الحوار والحقيقة الغائبة ، مكتبة الجبل الواحد ، مسقط ، سلطنة عمان ، ط ١ : ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ٣٦- يحيى بن أبي بكر (أبو زكرياء) ، كتاب سير الأئمة وأخبارهم ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٣٧- يحيى بن شرف النووي ، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج ١ ، ج ٧ ، ج ١٥ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ٢ : ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م .
- ٣٨- يوسف بن إبراهيم الوارجلاني (أبو يعقوب) ، الدليل والبرهان ، ج ١ ، تح : سالم بن حمد الحارثي ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان ، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتب وبحوث وأعمال للمؤلف :

- ١ - أئمة الإباضية الأوائل بالمغرب .
- ٢ - الإمام القطب محمد بن يوسف اطفيش حياته وآثاره .
- ٣ - استغلال شهر رمضان .
- ٤ - الحسد الداء والدواء .
- ٥ - دليلك عبر المواقع الإباضية (دليل مرشد للوصول إلى الكتب والبحوث والمقالات والمحاضرات في مختلف مواقع الإباضية بشبكة المعلومات الإنترنت) .
- ٦ - الشيخ عمروس ومنهجه الفقهي والعقدي من خلال كتاب أصول الدينونة الصافية .
- ٧ - قراءة في سيرة الشيخ محمد بن محبوب بن الرُّحَيل .
- ٨ - مدارس إباضية عبر التاريخ .
- ٩ - الوجود الإباضي باليمن .